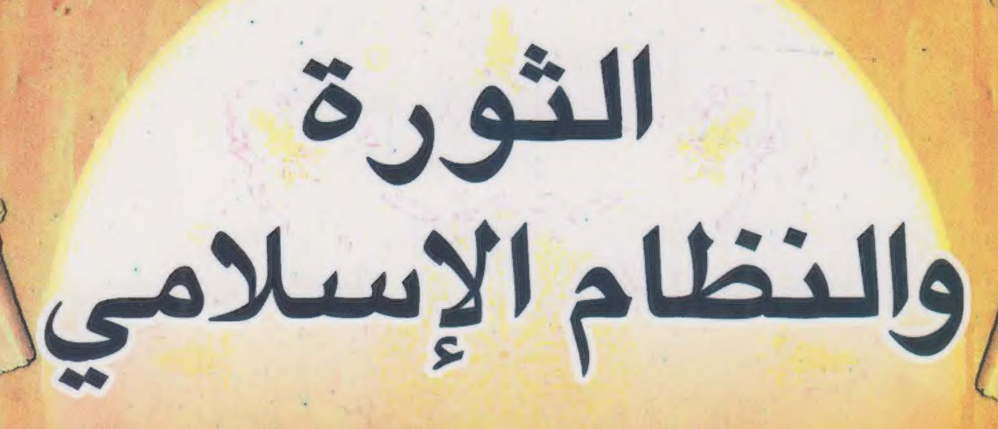


الثورة والنظام الإسلامي

في كلمات الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله

(أسئلة وردود)



الإسلام،

النظام الإسلامي،

الثورة الإسلامية



هوية الكتاب

اسم الكتاب:..................الإسلام، النظام الإسلامي، الثورة الإسلامية

ترجمة وإعداد ونشر:.........................دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:...الأولى ١٤٣٢هـ.ق



الإسلام،
النظام الإسلامي،
الثورة الإسلامية
(أسئلة وردود)

في كلمات

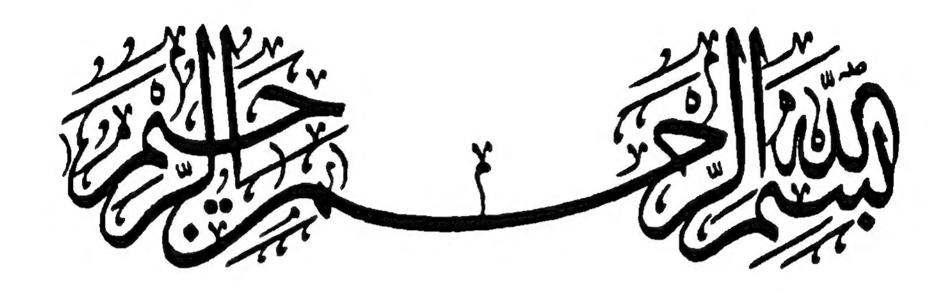
الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله

ترجمة وإعداد ونشر

دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـق


بسم الله الرحمن الرحیم


اللهم صل علی محمد و آل محمد

المقدمة

الإسلام ـ النظام الإسلامي ـ الثورة الإسلامية؛ مفاهيم انطلقت عبر ألسن قادة الحركة الإسلامية في إيران لتصل الى مسامع العالم فيتلقفها الكثيرون بشغف محاولين معرفة ماذا تعني تلك المفاهيم وهل هي لمعاني جديدة أم لمسميات بالية ألبست ثوباً جديداً؟

ومع مضي كل هذه السنوات ومع كل الحيز الذي شغلته الثورة الإسلامية في الوسط السياسي عبر التواجد الفاعل في أهم القضايا العالمية في غرب الأرض وشرقها إلا أن المفاهيم التي قامت عليها هذه الثورة والنظام الوليد لم تأخذ حظها من البحث والتدقيق والتوضيح؟

فما هو الإسلام في نظر من قاد الثورة؟

وماذا يعني النظام الإسلامي الذي ضحوا من أجله واستطاعوا تحقيقه في سابقة لم يشهد لها التاريخ مثيلا؟

وكيف قامت هذه الثورة التي سلبت النوم من عيون السالبين لحقوق الشعوب فقراء كانوا أم أغنياء؟

أسئلة بديهية يفترض أن كل من شغلته الثورة الإسلامية بحدثها وأطروحاتها ـ مؤيداً أو معارضا ـ أن يعرف الإجابة عليها.

فلماذا يؤيد وعلى ماذا يعارض؟

إلا أن الحاصل غير ذلك.

فينشغل بجزئيات الإنجازات اليومية ليؤيدها.

أو بانتكاسات جزئية فيصب جام غضبه عليها.

متغافلين عن أصل هذه الثورة وهذا النظام والجهة التي يسيرون نحوها والهدف الذي يسعون لتحقيقه والأهم التجارب التي مرت بهم واخترعوها وجربوها وأدت بهم الى ما أدت من إنجازات أو إخفاق.

والأهم على ماذا يمكن أن تحاسب الثورة ويحاكم قادتها!

هل على ما يتصوره الغير عن المشروع أم على ما أرادته نفس الثورة؟ وهل الطعن لجهة عدم تحقق الانجاز يقوم على أن هذا الانجاز كان هدفا الثورة أم على أن الطاعن والمحاسب والقاضي تصوروا أن الثورة كانت تريده ولم تحققه وبالتالي فالثورة قد فشلت؟

إن الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم يتضمن إجابات على الكثير من الأسئلة التي تثار حول الثورة الإسلامية لماذا ـ كيف ـ متى ـ ماذا أنجزت ولماذا لم تنجز ـ على ماذا اعتمدت. وماذا بعد؟

وغير ذلك مما تجده طي هذه الصفحات.

مع الإشارة إلى أن الأسئلة التي يتضمنها الكتاب هي قسمان.

الأول: أسئلة وجهها آخرون من طلاب الحوزة وطلاب الجامعات وأساتذتها وباقي طبقات الشعب أثناء لقاءاتهم الحميمة المختلفة مع القائد المعظم دام ظله.

الثاني: صياغات لأسئلة مفترضة قمنا باقتناصها من كلمات سماحته حول بعض المواضيع التي نراها مهمة وخاصة للقارئ العربي.

هذا بالنسبة للأسئلة

أما الإجابات فهي بأجمعها من سماحته حفظه الله تعالى من دون زيادة أو نقيصة وكانت كلها من كلمات سماحته في المناسبات المختلفة مما أوجب علينا في بعض الأحيان وضع كلام سماحته بشكل مطول حتى لا يخل بالمعنى المطلوب إضافة الى أن القسم الثاني من الأسئلة (التي صغناها نحن) لم نتقيد في اختيار إجابته حفظه الله بمقدار معين من الكلمات والسطور والصفحات لما وجدناه من الفوائد في كلام سماحته وإن طال.

نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمة بقاء هذا القائد الفذ كما نسأله أن يمن علينا بالاستفادة القصوى من حكمه العلمية والعملية وأن نستطيع أن نكمل هذه السلسة من كلمات آراء سماحته بالعناوين الأخرى وبهذه الصياغة إنه سميع مجيب.

تنبيه: هناك فاصل زمني طويل نسبيا بين بعض الكلمات وصدور الكتاب لذا ينبغي الالتفات إلى ذلك.

دار الولاية للثقافة والإعلام

محرم الحرام ١٤٣٢هـق

كانون الثاني ٢٠١١م



القسم الأول

الإسلام

□ كثيراً ما يتردد من قبل البعض عبارة (إن الإسلام لا يمكنه قيادة المجتمع) ويستدلون على ذلك بما حصل للمسلمين طيلة فترة القرون الماضية أي منذ بعثة الرسول الأكرم ﷺ وإلى يومنا هذا وبالتالي فإنه ليس من الصحيح الادعاء بأن الإسلام صالح لكل زمن بل إنه لم يصلح حتى لواحد من الأزمنة. ما تعليقكم على ذلك؟

إن بعثة النبي الأكرم ﷺ تعتبر حركة عظيمة في تاريخ البشرية، عبر إنقاذها للإنسان وتهذيب النفس والروح والأخلاق البشرية، وكذلك عبر مواجهتها للمشاكل والصعوبات التي كانت تواجه البشرية في كل الأدوار ولا تزال، إن جميع الأديان في مواجهة مستمرة مع الشر والفساد من أجل إيجاد سبيل وصراط مستقيم نحو الأهداف السامية، إلا أن الدين الإسلامي فضلاً عن هذا يمتاز بخصوصية هي أنه يعتبر علاجا نافعاً لجميع العصور. وعندما نطالع في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] نجد أن هذا لا يعني أنه بمجرد مجيء الدين الخاتم والرسول الخاتم ﷺ، فإن نفوس البشر قد تزكت أو سوف تتزكى وكذلك لا يعني أن البشرية بعد نزول القرآن سوف لا تلاقي في سيرها نحو الكمال المصاعب والموانع والشقاء، والذي نقوله

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

بأن الرسول والإسلام جاء من أجل تحكيم العدل وإنقاذ المستضعفين وتحطيم الأصنام البشرية وغير البشرية. ليس بمعنى أن البشرية وبعد سطوع هذه الشمس المضيئة سوف لا تعاني من الظلم، أو سوف لا يكون هناك طاغوت يحكم، أو سوف لا يتحكم صنم ما بمصير البشرية.

والواقع أيضاً يدل على ذلك، حيث إنه بعد ظهور الإسلام ظهر في أقطار العالم وحتى في المحيط الإسلامي ـ وبالطبع بعد مرور عدة قرون ـ بعض الأصنام والطواغيت وتحملت البشرية أنواعاً من الظلم وبقيت نفس تلك المعضلات التي كانت تعاني منها.

إذن فإن معنى وغاية وهدف البعثة والذي يتجسد في خلاص الإنسان شيء آخر. فالذي جاء به الإسلام والرسول ﷺ. إلى الناس هو العلاج الشافي لكل عصر، وهو الذي يقدر على القضاء على جهل الإنسان والوقوف بوجه الظلم والعنصرية وهو الذي يمنع من سحق الضعفاء على أيدي الأقوياء، بل هو الذي يعالج كل المشاكل التي كانت البشرية تعاني منها من بداية الخلق إلى اليوم.

ولكن الذي ينبغي الانتباه إليه هو أن هذا العلاج يشبه العلاج الطبي الذي يشخصه الطبيب للمريض، فإذا ما ترك ولم يعمل به أو سيء فهمه أو حتى لم يكن هناك الإقدام والشجاعة في استعماله فإنه لن يكون ذا أثر يذكر. فخيرة الأطباء عندما يصف علاجا معينا لأحدٍ ما، ويأتي ذلك ويهمل العلاج ولا يستعمله، حينئذ يفقد العلاج الأثر المرجوّ منه، فأي تقصير في هذا لذلك الطبيب الحاذق؟ وهكذا فإن المسلمين ولقرون عديدة قد أهملوا ما جاء به الإسلام وأودعوه طي النسيان، مما أدّى إلى محو المعالم القرآنية الواضحة في حياتهم، أو أنهم أساءوا فهمه وتحركوا ضده، ولعلهم أدركوا

ما جاء به الإسلام ولكن لم يمتلكوا تلك الشجاعة والجرأة المطلوبتين للتحرك به. أو أنهم قد تحركوا واستطاعوا أن يحققوا شيئاً ما ولكنهم لم يضحوا للحفاظ عليه وحتى في عصر صدر الإسلام، فلو أن المسلمين لم يدركوا كلام الرسول أو لم يكن لديهم الشجاعة اللازمة للعمل به وكما أشار القرآن إلى البعض من أمثال هؤلاء: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[١] لما تحقق شيء وكل ما تحقق كان نتيجة للتضحية والتفاني والدفاع عن الإسلام.

إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول في هذا المجال وبكل صراحة «**ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم لما قام للدين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود**»[٢] وعلى هذا الأساس فإن هذه أمور لازمة وضرورية بل هي علاج لجهل البشر طبعاً لا نقصد بالجهل هنا ما يقابله في الجانب الآخر أي الاكتشافات والاختراعات العلمية ولكن نريد أن نقول بأن البشرية حتى إذا ما استطاعت أن تصل إلى مراحل مختلفة من التطور العلمي، أو وصلت إلى القمة في العلم، فإنها تعيش الجهل إذا كانت تجهل العلاقات الإنسانية الصحيحة، أو أنها لا تعتمد المساواة والعدالة بين البشر، ترى في الإنسان نظرة ازدواجية وطبقية من حيث الحقوق والأحكام وهذا ما ابتليت به البشرية وجلب لها المآسي والآلام فبناء الحياة البشرية على أساس الظلم وتسلط الأقوياء على الناس وسحقهم للضعفاء وانعدام نور المعرفة والإنسانية هو أيضاً عين تلك الجاهلية حتى مع وجود التطورات العلمية المادية وكما جاء في نهج البلاغة حول ظروف ظهور الإسلام والبعثة النبوية فهناك عبارات وجمل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٥.

واضحة من قبيل «**الدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّور، ظَاهِرَةُ الْغُرُور..**»[١] وفي مجال آخر جاء «**فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلاَفِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا**»[٢].

ومتى ما تحصل هكذا ظروف من تفشي الظلم وتسلطه على رقاب الناس، وتجاوز القوى الكبرى على المستضعفين، وتقاتل الإخوة، وفساد الأخلاق، فذلك هو اليوم الذي يجب فيه تقديم ذلك العلاج المفيد لكل وقت والذي هو الإسلام[٣].

السير تجاه المثل التي ينادي بها الإسلام

☐ هل استطاعت الثورة الإسلامية أن تصل إلى المضامين العالية والسامية التي بعث من أجلها الرسول الأكرم ﷺ؟

يمكننا استخلاص المضامين الرسالية لهذه البعثة المباركة من بين ثنايا القرآن الكريم. وأشير هنا إلى جانبين من جوانب هذه الرسالة العظيمة لتروا مدى أهميتها لنا ـ المسلمين ـ وكيف أنها تضع أمام أبصارنا واضح السبيل والمنهج.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ۞ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٤]؛ هو خروج الناس من الظلمة إلى النور.

ليس النور والظلمة في مختلف المجالات ممّا يتعسر على الإنسان استبانته، لكنما هدف الإسلام والمضمون الرسالي للبعثة هو انتشال الإنسان

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٨.

(٢) نفس المصدر، الخطبة: ٢.

(٣) خطاب القائد، في تاريخ: ٢٧/ ٧/ ١٤١٢هـ.ق، ٣١/١/١٩٩٢م طهران.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١.

من الظلمات والعادات الذميمة، والخصال المستهجنة، والفتن المتفشية بين أبناء الجنس البشري، والخرافات السائدة على أذهان الناس التي تحرف الإنسان عن النهج القويم.

تكرر هذا المضمون في آيات قرآنية متعددة؛ ممّا يدلّ على وجوب إيجاد تغيير في حياة الإنسان على الصعيد الاجتماعي والفردي، ومن حيث الهدفية.

المضمون البارز الآخر هو محاسن الأخلاق وتزكية النفس. وهو ما أكدت عليه الآيات الشريفة وبيّنه الحديث النبوي الشريف المعروف لدى جميع الفرق الإسلامية، وهو قوله ﷺ: **«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

تصوروا ذلك المجتمع الذي تسوده الخصال الحميدة والخلق الكريم، والسجايا النبيلة كالإحسان والأخوة والتسامح والعدل والعلم والحق والإنصاف، بعيداً عن الصفات الرذيلة والخلق المقيت، كيف يعيش في سعادة ويتقلب في نعيم.

إنّ بؤرة معاناة الإنسانية اليوم هنا، والمصائب التي يعاني منها عالم اليوم من قبيل الطغيان السياسي وتسلط الطواغيت على مقدرات الإنسان تعود في جذورها إلى علل أخلاقية، كما أن حالة الشقاء التي تعيشها الشعوب ناجمة من جهلها على الأغلب. والإسلام يقضي على مثل هذه العلل والأسباب.

على المسلمين أن يحيوا هذه المضامين. ونحن في الجمهورية الإسلامية قد وفّقنا ـ ويا له من توفيق عظيم ـ في تشييد أُسس مجتمع على الأحكام والمعارف والتعاليم الإسلامية، وأن نصوغه ونوجهه مرّة أخرى وفقاً لهذا السبيل. وهذا توفيق قلّ نظيره، وقد منّ به الباري علينا.

ونحن بطبيعة الحال لا نزعم أننا استطعنا تطبيق النموذج الإسلامي الكامل، فهذا ادعاء كبير جداً، ولازالت تفصلنا عنه مسافة شاسعة. وما برحنا بعيدين جداً عن ذلك الإنسان وذلك المجتمع الذي يرنو إليه الإسلام ويعتبره حالة مثالية ونموذجية. ولكننا في الوقت ذاته قد ابتعدنا كثيراً ـ بفضل الله ـ عن الصيغ والنظم الاجتماعية الشائعة حالياً والبعيدة عن دين الله.

شططاً قال من ادعى أمام الشباب بخلو نظامنا الإسلامي من أي خلل، وإننا الآن نطبق ذات القالب الذي ينشده الإسلام؛ فليس الأمر كذلك أبداً، فنحن أناس ضعفاء. وإن كياني يرتعد حينما يأتي البعض بالاسم المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام أو اسم إمام العصر أرواحنا فداه ثم يردفون ذلك باسمنا، إن تلكم الحقائق نور مطلق وشتان ما بينها وبيننا نحن الغارقون في الظلمات، فإننا غرس دنيانا الملوثة أجواؤها، فأين نحن من أصغر تلاميذهم؟ أين نحن من قنبر؟ أين نحن من ذلك العبد الحبشي الذي فدى الحسين بنفسه في كربلاء؟ فنحن لا نرقى إلى تراب قدمي ذلك الغلام، بيد أن الحقيقة هي أننا كمسلمين عرفنا دربنا قد عقدنا العزم وكرسنا قوانا في هذا السبيل وسلكناه بكل وجودنا وسوف نواصل المسير.

هنالك نواقص في عملنا وهي قابلة للحل، وإذا ما عالجنا هذه النواقص فذلك لا يعني بلوغنا الغاية المنشودة، كلا فطريق الكمال لا ينتهي؛ والطريق الذي نسير فيه لا ينبغي التوقف فيه بل الاستمرار في المسير إلى الأمام؛ والكثير من المصاعب التي يعانيها شعبنا ووطننا ممكنة العلاج، وجانب منها أتحمله أنا وأمثالي من المسؤولين، فيما يتحمل الشعب جانبها الآخر أيضاً.

لقد استطعنا وضع أقدامنا على طريق الإسلام، والسير في الاتجاه المؤدي إليه، وإشاعة أحكام الإسلام في المجتمع والسعي جهد الإمكان لتطبيقها في واقع الحياة. ونجحنا في عرض القيم الإسلامية كأسمى وأنبل قيم في الجمهورية الإسلامية، وتمكّنا من نشر كلام الله بين أبناء الشعب وتوجيه الأفئدة نحو الله.

وهذا طبعاً من فعل الثورة، ولا يمكن لشخص أن يدّعي هذا لنفسه. ثورتنا أنتجت ـ بفضل الله ـ مثل هذا العطاء في نظامنا. ووقفنا لهذا بعون الله، وعلينا مواصلة هذا الطريق بجد؛ إذ لمسنا مكاسبه بهذا القدر، وجعل الله لنا فيه العزّة.

لقد أُمتُهِنَ شَعبنا وبلدنا ومجتمعنا على مدى سنوات طويلة على يد الحكام الطواغيت، وسحقت كرامته وعانى من التخلف، ولم يكن أبناء الشعب على معرفة بحقوقهم، ورجال الدولة ما كانت تربطهم بأبناء الشعب أية صلة، ولم يَكن للنظام الحاكم أي موقف صلب أمام القوى المتجبّرة في العالم، بل كان نظاماً تابعاً بالكامل. ولم تكن للمعارف الإلهية أهميتها اللازمة في ذهن وفي رأي الناس، ولم تكن التربية والتعليم يسيران على أساس الإسلام. وظل هذا الشعب يعاني على مدى سنوات طوال من حكم الطواغيت على هذا البلد، من الفقر والفاقة والذل.

ولكن الله تعالى منَّ علينا بفضل الالتفات إلى القيم المعنوية للإسلام، وبفضل الاهتمام برسالة الإسلام السياسية، بالنجاة من تلك المعاناة. ومعنى هذا أن البعثة لا يراد بها أن تحتفظ فئة من الناس بالعقيدة في أذهانها وتؤدي واجباتها الخاصة في ضوئها، ويبقى النظام الاجتماعي تحت تسلط أعداء الله؛ فالبعثة جاءت لصياغة حياة الناس. ونحمد الله أن هذه المهمّة قد

أنجزت في ظل النظام الاجتماعي للإسلام، ولمس شعبنا نتائج ذلك وذاق طعم ثمارها الطيبة.

ينبغي علينا اليوم السير باتجاه تغيير ذاتنا وباتجاه المثل التي ينادي بها الإسلام، لتغيير أنفسنا كأشخاص، أي أن يبدأ كل فرد بذاته. صحيح أن الحكومة مكلفة أمام الشعب بواجبات خطيرة في مجال التعليم والتربية، لكن هذه الواجبات لا تمنع أن يعمل كل واحد منّا على تزكية ذاته جهد المستطاع[١].

□ **هل لديكم أمل في قيادة الإسلام للعالم خلال العقود القادمة؟**

إن الطريق الذي سلكناه هو طريق الأمل، لأنه سبيل الله والسنن الطبيعية، وإن حركتنا تسير وفق القوانين الإلهية والسنن الطبيعية؛ إنها القوانين الخالدة بالرغم من مرور مئات السنين عليها، وما بذله أعداء الدين من جهود منذ ما يربو على القرنين كان لإقصاء الدين عن الساحة، وها هو الدين يقتحم الدنيا وتقام الحكومة الدينية في هذه البقعة الحساسة من العالم، وها هي الدول التي أقصيت عن الدين لمدة ثمانين عاماً تقوم بعملية إعادة بناء على الصعيد الديني. هذه هي القوانين الإلهية والسنن الطبيعية؛ فهل يا ترى هذا ما يريده الصهاينة وأرباب السياسة وصناع الأفكار المادية الذين ساقوا البشرية نحو الرذيلة متناسين بشكل كامل ما تحفل به حياة البشرية من معنويات؟ وهل كانوا يرغبون في أن يرى الدين النور من جديد وتتجدد الشعائر الدينية وبالذات منها الإسلامية؟

إنها السنن الإلهية التي تفعل فعلتها وتشق طريقها بالرغم من

---

(١) كلمة القائد أمام مسؤولي البلاد بمناسبة البعثة النبوية الشريفة، ١٤١٨/٧/٢٥هـق ١٩٩٧/١١/٢٨م.

تخرصات أعداء الله والدين والمعنويات. فلماذا لا يغمرنا الأمل ونحن نتحرك في ضوء هذه السنن؟ إننا نخطو وفق تلكم القوانين التي كانت تبعث الأمل في نفس رسول الله ﷺ في أحلك الظروف التي مر بها خلال حياته، في تلك الأيام التي أحكم قومه مقاطعتهم عليه وتعرضت حياته للخطر، فطاردوه ولم يدعوه يركن في بيته، مما اضطره إلى أن يرحل يوماً إلى الطائف، وآخر يطرد إلى شعب أبي طالب، يومها ظل ينادي: ﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١]. علامَ كان ﷺ يعتمد عندما كان يريد أن يهزّ الدنيا ويتطلع لإحداث ثورة عالمية؟ ليس سوى الاعتماد على الله والسنن الإلهية والتصميم على الجهاد.

وهكذا نحن إذ نتحرك معتمدين على تلك القوانين، فلم لا نكون متفائلين؟ لقد أفلح هو وسنفلح نحن، إنه استطاع تغيير وجه التاريخ فأبهر الدنيا بأسرها بتعاليمه ونظامه على مدى قرون عديدة، وسوف نتمكن من ذلك نحن أيضاً لأننا نقتفي ذلك الدرب بعينه، فلماذا لا يحدو الأمل الشعب الإيراني؟[٢].

لقد درج العالم والمحللون وأصحاب النظريات المادية في العالم على الفصل بين المدنية وبين الأفكار الإلهية والمعنوية مدعين التضاد بينهما. وعليه فهم يعتبرون كل ما يمتّ للدين والمعنويات بصلة ـ إسلامياً كان أم غير إسلامي ـ سلفياً ورجعياً، وكل ما يزعمون حداثته ومدنيته إنما يقصدون بذلك حتمية مناهضته للدين وتجرده عنه وعن المعنويات، وهذا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه قادة ومنتسبي حرس الثورة الإسلامية وقوى الأمن الداخلي بمناسبة يوم الحرس، في تاريخ: ١٤١٠/٨/٣هـق، ١٩٩٠/٣/١م.

هو الفهم الخاطئ للدين، بيد أن العدالة الاجتماعية التي ننادي بها الآن وحقوق الإنسان بالطراز الذي ينادي به الإسلام هي الأرقى من تلك التي ينادي بها دعاة الديمقراطية في العالم، وعدالتنا الاجتماعية تفوق في رقيها ما راج عالمياً من مصطلح الاشتراكية، وإن حقوق الإنسان والحريات الفردية المتوفرة لدينا أسمى من تلك التي يصطلح عليها الديمقراطية، وهي تحظى بقبول شعوب العالم؛ فلا تنظروا إلى الحملات الإعلامية التي تشنها الإذاعات أو المجلات الارتزاقية وإلى ما تكتب وتسطر من تعابير مثل الرجعية، فهي لا تستحق الذكر أو الاهتمام[1].

□ ما هو تعريفكم للتوحيد الصحيح، ولماذا يعمل الأعداء لمحو تأثيرات الدين من الساحة في الأقطار الإسلامية؟

معنى التوحيد هو تحرّر الإنسان من قيود العبودية لأي شيء والتسليم للّه وحده.. التوحيد يعني التحرّر من قيود الأنظمة وضروب السلطة البشرية.. ويعني كسر حاجز الخوف من القوى الشيطانية والمادية.. كما يعني الإتكاء على طاقات الإنسان التي لا حدّ لها، والتي أودعها (سبحانه) في وجود الإنسان وأراد له تفعيلها وعدً التخلّف عنها تخلفاً عن فريضة واجبة.

ومعنى ذلك أن تحقق الوعد الإلهي بانتصار المستضعفين على المستكبرين لا يكون إلاّ بشرط النهوض والجهاد والاستقامة..

والتوحيد يعني وصل القلوب بالله وعدم الخشية من احتمال الهزيمة.. وهو يعني استقبال المشكلات والأخطار التي تواجه الإنسان في طريق

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مدراء هيئة الأركان للقوات المسلحة، في تاريخ: ١٤١٠/٨/١٤هـق، ١٩٩٠/٣/١٢م.

تحقيق الوعد الإلهي.. كما يعني احتساب المشاق والمتاعب في سبيل الله وعدم اليأس من النصر النهائي كمقولة حتمية.. ويعني التوجه إلى الله وحده في طريق تحقيق هدف إنقاذ المجتمع من الظلم والتمييز والجهل وضروب الشرك، واحتساب ما يصيب الإنسان من انكسار وما يكابده من منغصات وسط الطريق، في سبيل الله.

والتوحيد يعني أن يشعر الإنسان أنه على صلة بقدرة إلهية مطلقة لا أمد لها؛ والارتباط بمنبع الحكمة.. والسير بشوق ودون حيرة واضطراب نحو هدف أعلى.

إن ما وُعِدَ المسلمون به من عزة وعلو واقتدار لا يكون إلاّ في ظلال إيمان مثل هذا؛ وفي إطار إدراك عميق وواضح للتوحيد.

فمن دون الارتباط العقائدي والعملي بالتوحيد، لا يتحقق شيء من الوعود التي وُعد المسلمون بها ولا تتجسّد عملياً.

في عصر الاستكبار كانت الغفلة عن التوحيد الصحيح وعن مفهوم الحياة تعني فيما تعنيه فتح الأبواب لأوثان الاستعمار، وفتح السُبل أمام هجوم آلهة المال والقوة والتزوير.

لقد عمل الأعداء من خلال خطط معَدة من قبل على محو تأثيرات الدين من الساحة الحياتية في الأقطار الإسلامية مطبّقين شعارهم المبدئي (فصل الدين عن السياسة) في هذه البلاد، فكانت النتيجة أن استطاع التقدّم العلمي الغربي أن يحوّل هذه الأقطار إلى قوالب تحكي تماماً تلك الأقطار الصناعية، فتسلم قيادة مصيرها السياسي والاقتصادي ـ وإلى مدة طويلة لا تجبر خسائرها ـ لأيدي الناهبين الغربيين. ولهذا نجد أغلب الأقطار الإسلامية اليوم ـ وبعد عشرات السنين التي امتلأت فيها جيوب الشركات

والدول الغربية من ثرواتها ـ مازالت تئنّ تحت وطأة التخلف ومازالت محتاجة في مجالات الصناعة والعلم والسلع للغرب، كما أنها في المجال السياسي تقبع في غياهب التبعية والتطفل والذيلية له.. وهذا هو الخسران العظيم الذي أدّى إليه منذ عدم إدراك المبدأ الإسلامي الأصيل وهو التوحيد الإسلامي. وعلى مدى تقدّم الزمان، وتكامل العلم عملت الدول والأقطار المتقدّمة على الارتفاع بمستوى قدراتها وتجهيزاتها في حين راح ضعف الأقطار الإسلامية يزداد، وتبعيتها تشتد ومقاومتها وإبداعها يقل، وسبيل العلاج هو أن يعود المسلمون إلى الإسلام الأصيل، حيث يتجلّى التوحيد وتنتفي عبودية ما سوى الله بكلّ وضوح وقوة، لا تعادلها قوة أخرى، وأن يبحثوا عن عزتهم وقدرتهم في الإسلام وهذا ما يخشاه دائماً المخطّطون للمؤامرات المعادية للإسلام ويضعون العقبات الجادة في سبيل تحقّقه[1].

□ كما تعلمون أن هناك أكثر من تفسير للإسلام وأنتم (الجمهورية الإسلامية) ترفعون شعار إحياء الإسلام فما هو هذا الإسلام الذي تريدونه وتروجون له؟

يوجد اليوم تفسيران وفهمان خاطئان ومنحرفان للإسلام يسعى أعداء الدين الترويج لهما بما يتناسب مع مصلحتهم.

أحدهما: فهم ذو نظرة ضيّقة وتعصّبية يدلّ على عدم معرفة الإسلام والقرآن، هذا الفهم الخاطئ يعتبر الإسلام مجموعة من الأحكام والقوانين الفرديّة فقط أو الأحوال الشخصيّة على أحسن تقدير، ولا أثر لإمكانيّة

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

إدارة شؤون الحياة فضلاً عن إدارة شؤون المجتمع أو العالم.

وهذا الفهم الخاطئ هو لجمع من علماء البلاط من أعوان الظلمة وبعض عوام الناس في بعض البلاد الإسلاميّة. وهو ما يستند إليه أعداء الإسلام دائماً، فأينما أرادوا توجيه ضربة إلى الجمهوريّة الإسلاميّة قايسوها بهذا الإسلام الخاطئ وقالوا: إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة انفصلت وانحرفت عن الإسلام.

وهناك تفسير وفهم خاطئ آخر للإسلام يقابل التفسير الأوّل، وبتعبير آخر هو تفسير بعيد عن الإسلام يروّج له المولهون بالثقافة الغربية وربائبها تحت عنوان التسامح حيث يقول هؤلاء: إنّ الإسلام دين تسامح. نعم، لا شكّ أنّ الإسلام دين تسامح، لكن أين؟ وتجاه من؟ إنّهم يجعلون تسامح الإسلام مجهولاً وغامضاً، إنهم يؤمنون بالتسامح المطلق.

هذا تفسير آخر وهو تفسير لأولئك الّذين لا طاقة لهم ولا صبر في العمل بأيٍّ من أحكام الإسلام، ولا يرغبون في العمل بأيّ من العهود الإسلاميّة، يرغبون في الانفتاح على أعداء الإسلام ليأتي الأعداء ويحذفوا ما يشاؤون من الإسلام دون أن يواجهوا أيّ ردّ فعل، تحت عنوان التسامح والتجدّد والبصيرة.

هذا التفسير والفهم له مروّجوه في أكناف العالم الإسلامي بحجّة أنّه لا ينبغي عمل شيء يسيء إلى الإسلام في الخارج، يقولون إنّ ذكر الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأحكام الجزائيّة والحجاب الإسلامي والحكومة الإسلاميّة كلّها تسيء إلى الإسلام، إساءة عند من؟ عند قادة وزعماء الثقافة الغربيّة المهاجمة الّذين يرغبون في السيطرة على العالم بثقافتهم الفاسدة دون رادع ومانع يعترض طريقهم.

هذا فهم آخر للإسلام له أنصاره. وكلا التفسيرين والفهمين خاطئان.

إنّ الإسلام الّذي تروّج له الجمهوريّة الإسلاميّة هو ما جاء به القرآن، وهو يشتمل على مجموعة كاملة من الأحكام لكلّ جوانب حياة الإنسان من الصلاة إلى الجهاد، من تكوين الأسرة إلى بناء المجتمع، من الشؤون الفرديّة المحضة إلى الشؤون الدولية الهامّة، من التعامل الأخوي مع المسلمين في العالم إلى التعامل المنصف مع غير المسلمين؛ ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[1]، والنهي الشديد عن التعامل مع الأعداء الغزاة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾[2]، من إدارة الحكومة في بلد ما ـ والحكومة في الإسلام هي حكومة العلم والعدل، وحكومة العلم والتقوى ـ إلى إدارة اقتصاد شعب على أساس المساواة في تقسيم الثروات وتمليك الإنسان لسعيه وجهده. إنّ الإسلام ليس له أيّة علاقة بالاشتراكية الشرقيّة السابقة ولا بالرأسماليّة الغربيّة الحالية، وإنّما له برنامج اقتصادي جامع وكامل.

فالاقتصاد الإسلامي والحكومة الإسلاميّة، والعلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة، وإدارة الأسرة طبقاً لموازين الإسلام كلّها مبنيّة على سلسلة من المعارف المتّقنة والفلسفة المتينة والأدلّة العقليّة غير القابلة للخدش. فلا يجوز الإنتقاء بين أحكام الإسلام، يقول الباري تعالى في القرآن الكريم مخاطباً اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[3]، لا يجوز

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

رفض الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكومة الإسلاميّة، وقبول صلاة الجماعة فقط، ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۞ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۞ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]. فلا يمكن لمن يدّعي الإسلام أن يقبل جانباً من أحكام الإسلام الموافقة لرغبات زعماء المعسكر الغربي أو الثقافة الغربية ويرفض الباقي.

في تلك الأيّام الّتي كان القطب الشرقي (الإتحاد السوفيتي، الإشتراكيّة والشيوعيّة) موجوداً، كان البعض يفسّر الإسلام طبقاً لميول هؤلاء، لقد فرضوا على الإسلام اقتصاداً وحكومةً باسم الإسلام؛ كالّتي روّجت له تلك الثقافة الإشتراكيّة، لكن [هذا القطب] زال وانتهى.

فلا يمكن للآخرين القيام بنفس العمل مع الثقافة الغربية.

إنّ الإسلام مجموعة كاملة من الأحكام، الإسلام هو لأجل الحياة، الإسلام هو للفرد والمجتمع، للدّنيا والآخرة، الإسلام مبتني على دليل عقلي، الإسلام ينظر إلى العلم كوسيلة فاعلة، لكن لا يفرضه على القيم الإسلاميّة والإنسانيّة، والجمهورية الإسلاميّة قائمة بهذا الفكر، وتروّج لهذا الفكر، وترفع رايته.

طبعاً إنّ حرّاس قلعة الثقافة الغربية ـ الحصينة ظاهراً والمتصدّعة واقعاً ـ لن يكفّوا عن محاربة الإسلام، فلا تخلو إذاعة من شتم الجمهوريّة الإسلاميّة في أيّ وقت من اللّيل والنهار، ولا تخلو صحيفة تابعة للمؤسّسة الاستكبارية والإمبراطورية الإعلاميّة الصهيونيّة من موضوع ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة.

---

(١) سورة الحجر، الآيات:٩٠ و٩١ و٩٢.

يقولون: إنّنا متعصّبون، متحجّرون، أصوليون، ومقصودهم من الأصوليّة ليس معناها الإيجابي، أي التمسّك بالأصول والالتزام بالمباني المنطقيّة، بل مقصودهم هو ضعف البصيرة وقصر وضيق النظر.

والحقيقة أنّهم هم المتعصّبون والمتحجّرون بهذا المعنى؛ لأنّهم لا يتورّعون عن ارتكاب أيّ عمل لا ينسجم مع مصالحهم، إنّهم مستعدون للتضحية بأناس كثيرين بهدف الحفاظ على أركان وأصول الثقافة الغربيّة[1].

استقرار العدالة الاجتماعية

□ ما هي واجبات النظام الإسلامي في تحقيق واستقرار العدالة الاجتماعية ورفع الحرمان عن رؤوس الفقراء؟

إنّ من أكثر أهداف تشكيل النظام الإسلامي فورية هو استقرار العدالة الاجتماعية والقسط الإسلامي، ولقد كان قيام أنبياء الله ونزول الكتاب والميزان الإلهي لأجل إنقاذ الناس من ضغط الظلم والتفرقة وفرض القيود، وجعلهم يحيون في ظلّ القسط والعدل، ليسيروا إلى كمالاتهم الإنسانية في ظلّ ذلك النظام العادل.

إنّ الدعوة إلى قيام النظام الإسلامي دونما تركيز على العقيدة الراسخة والعمل المستديم في سبيل العدالة الاجتماعية إنما هي دعوة ناقصة، بل هي خاطئة كاذبة، وكل نظام ـ حتى ولو كان يحمل وجهة إسلامية ـ ما لم يعمل في طليعة خططه على تأمين القسط والعدل، وخلاص الضعفاء والمحرومين فإنه نظام منافق غير إسلامي.

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤١٦/١/٨هـق، ١٩٩٥/٦/٧م.

ومن هنا اعتبر الواعون والعارفون بكتاب الله والإسلام ادّعاءات السلاطين والحكّام سواء في الماضي أو الحاضر من حَمْلٍ للإسلام وتبعية للقرآن، في حين كانوا يطوون طريق الجبارين الآخرين، ويوسعون من البون بين الفقراء والأغنياء، ويقفون هم أنفسهم إلى صفّ الأغنياء، ويغفلون عن آلام الفقراء والحفاة، اعتبروا ادعاءاتهم تلك مرفوضة تماماً.

إنّ كلّ الأفراد ـ في النظام الإسلامي ـ متساوون أمام القانون وفي مجال التمتع بالإمكانات والمواهب الإلهية المتوفرة في الوطن الإسلامي، وليس لأي مقتدر أن يفرض سلطته، ولا لأحد أن يفرض إرادته خلافاً للقانون على الآخرين، فيجب أن تبذل الحكومة عنايتها الخاصة بالفئات المحرومة الفقيرة في المجتمع، ويعدّ العمل على رفع الحرمان، والدفاع عنهم تجاه المقتدرين المتسلطين واجباً كبيراً يقع على عاتق الحكومة والجهاز القضائي.

ويجب أن لا يسمح لأي أحد أن يستغل مكنته المالية للتدخل وبسط النفوذ في الأمور السياسية للبلاد وإدارة المجتمع، كما أنه يجب أن لا يؤدي أي تخطيط أو تحرك في المجتمع إلى اتساع الهوّة بين الفقراء والأغنياء، وليشعر المحرومون الحفاة أن الحكم الإسلامي يقف داعماً لهم، ومدافعاً عن حقوقهم، ويخطط لرفع الحرمان عنهم وتحقيق الرفاه لهم.

ولقد اعتبر الإمام الكبير هذا الأمر أحد المواضيع الأساسية للجمهورية الإسلامية، وركّز أشد التركيز في بياناته عليه، وتلك خاصّة لا يمكن انفكاكها عن طبيعة الجمهورية الإسلامية، ولا يمكن السماح لأي دافع ـ مهما كان ـ ليعمل على إغفال مسؤولي النظام ومدراء الأقسام المختلفة عن هذا الهدف الأساس.

لقد كان هؤلاء الحفاة وسكان الأكواخ وأكثرية الشعب التي عانت من جراء السياسات الخيانية والهدامة للنظام الشاهنشاهي آلام الفقر والحرمان، كانوا من أكثر أنصار هذه الثورة وهذا النظام صدقاً وإخلاصاً مما يفرض على النظام الإسلامي أن يجعل مسألة رفع الحرمان عنهم على رأس برامجه البنّاءة[1].

تطبيق الإسلام في الحياة

□ ما هي واجبات حكومة الجمهورية الإسلامية تجاه تحقيق الإسلام في حياة الناس وتحويل المجتمع إلى مجتمع إسلامي؟

إنّ هذه النهضة الشعبية والثورة الفريدة التي حدثت بعد كفاح مرير متنوّع دام خمسة عشر عاماً، والملحمة العظمى التي رسمتها خلال عمرها ذي الأحد عشر عاماً، وشهادة النفوس الطيبة، وتحمل شعبنا المؤمن المكافح لكلّ تلك المصاعب وأنواع التعذيب والمصائب، كلّ ذلك إنّما كان لأجل الإسلام.

إنّ هذا الشعب العظيم وإمامه الكبير أدركا أنّ السعادة تكمن في التبعية للإسلام، وأنّ الحاكمية الإسلامية هي السبيل الوحيد للخلاص من سلطة الشياطين والطواغيت والظالمين، وأنّ الرضا الإلهي إنّما يتمّ تحقيقه عبر استدامة هذه الحاكمية.

وإذا كانت الشعوب المسلمة والمخلصون المشفقون في شتّى أنحاء العالم قد اعتبروا هذه الثورة وهذا النظام ثورتهم ونظامهم وصانوه ودافعوا عنه ـ ومازالوا ـ فإنّما ذلك لأجل الإسلام.

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

ومن هنا فإن أعظم واجبات الجمهورية الإسلامية هو تحقيق الإسلام في حياة الناس وتحويل المجتمع إلى مجتمع إسلامي نموذجي.

ولكي يتمّ التحقّق العملي لهذا الهدف الذي تمّت خطواته الأساسية البعيدة المدى، منذ انتصار الثورة على يد المسؤولين وبإشراف واهتمام شديدين من قبل الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ فإن على السلطات الثلاث في البلاد أن تعمل بشكل منسّق مستمر، وعلى الحوزات العلمية والمراكز الثقافية والتحقيقية الإسلامية أن تبذل قصارى جهدها وتستفيد من المنبع المتدفّق دونما حدود للفقه والاجتهاد الواعي البصير في مجال تعميق المعارف الإسلامية وتوسعتها.

وعلى الأجهزة الفكرية والعملية لنظام الجمهورية الإسلامية أن تعمل متضامنةً متعاونةً لدفع العجلة الاجتماعية على طريق الأسلمة المتواصلة ونحو الأهداف الإسلامية العليا.

في حين تقع على عاتق كلّ فرد من أفراد الشعب المسلم مهمة الحفاظ والدفاع عن أحكامه المنوّرة، والسعي لتعميقها في المجتمع، ويجب إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبار أنهما من الأركان الأساسية للإسلام، والضمانة لقيام الفرائض الإسلامية، وعلى كلّ فرد من أفراد الشعب أن يشعر بمسؤوليته، ويحسّ بواجبه في نشر الفضائل والصلاح، ورفع المفاسد والضلال والفساد.

إننا مازلنا بعيدين عن نقطة تحقّق المجتمع الإسلامي الكامل الذي يؤمّن سعادة الدنيا والآخرة للناس، ويجتث جذور الضياع والانحراف والظلم والانحطاط.

ويجب أن نطوي هذا البون الشاسع بهمّة الشعب وسعي المسؤولين،

الأمر الذي تسهِّله صيرورة مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة اجتماعية عامة، وتصبح المساجد ـ باعتبارها منطلقات للمعنويات والتزكية الروحية والهداية ـ يوماً بعد يوم أكثر حرارة وأشدُّ تألُّقاً، وتلوح علائم الإيمان والعمل والأخلاق الإسلامية في كلّ ناحية وزاوية من زوايا المجتمع، ومنها المراكز والدوائر الحكومية والجامعات، فتشجع في الأفراد التبعية لتعاليم القرآن النيّرة، ويمتلك كتاب الله حضوراً واقعياً في حياة الناس ويشيع تعليمه والتدبُّر والتعمُّق فيه بين الجميع، وخصوصاً الشباب واليافعين.

ومن الطبيعي أنّ مسؤولية العلماء والواعين والكتّاب والخطباء ووسائل الإعلام في هذا المجال مهمّة وخطيرة جداً[1].

الدين الإسلامي والعلم

□ مع أن الدين الإسلامي يحث على العلم بل هو دين علمي إن صح التعبير إلا أننا نرى أن هناك محاولة ربط بين التقدم المادي والابتعاد عن الدين حتى بات البعض يتصور أن من ضرورات الرقي العلمي والتطور التكنولوجي الانسلاخ من الدين، فمن أين نشأ هذا التطور الخاطئ وإلى أين يتجه العالم الذي يرفض الدين؟

منذ قرنين على الأقل شهد العالم ولادة تيار عرف باسم التمدن الصناعي (الحضارة الصناعية) الذي اقترن بسمات وخصوصيات معينة، ورغم أن مقدمات هذا التيار تتقدم زمنياً على هذا التأريخ بكثير، إلا أنّ ما

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

يعنينا أنه اكتسب خلال هذين القرنين عدداً من الخصوصيات في طليعتها الميل صوب الصناعة والعلم.. الميل إلى استخدام الوسائل الجديدة في الحياة، والأهم من ذلك كله الميل إلى فلسفات تقوم على قاعدة مادية.

ومعنى ذلك، أن أبرز الاتجاهات الفكرية والفلسفية التي ظهرت في الغرب خلال هذين القرنين، اتخذت موقعاً مضاداً للفكر الديني.. وكانت الماركسية أكثر هذه الفلسفات ضجيجاً خلال هذا التأريخ. وبقية المدارس الفلسفية والاجتماعية التي ازدهرت في القرنين: التاسع عشر والعشرين، كانت في الغالب تميل نحو المادية، وهي غير دينية، بل وعلى الضدّ من الدين.

أرجو الانتباه جيداً لكي تتضح أهمية الموضوع. لقد بدأ هذا الاتجاه غير الديني ـ والمضاد للدين ـ من نقطة صغيرة ضيقة، ثم راح يزداد ويتسع شيئاً فشيئاً وهو يتحرك صوب نقطة الذروة، وكانَ نموه وتغلغله واضحاً في حياة الناس.. في فكرهم وفي العلاقات الاجتماعية.. وفي الأسرة.

وإلى جوار هذا التيار الفكري الفلسفي والاجتماعي، كان التيار السياسي يختط في دنيا الناس وبموازاة الخط الأول نهجاً يتحرك بالكامل في الاتجاه المضاد للدين ولعالَم المعنى.

لقد كانت بعض هذه الاتجاهات السياسية تبدو وكأن لا علاقة لها على الظاهر بالاتجاهات الفلسفية. وهُناك من يعتقد أنَّ الفكر المادي حتى في صيغة اليسار المتطرّف، هو حصيلة لفكر رجال السياسة وثمرة لجهودهم، ولا صلة له بفكر الفلاسفة.

يذكر هؤلاء في التدليل على رأيهم أن ظهور كل هذه الاتجاهات والتيارات كان تعبيراً عن عمل سياسي بالمعنى الحقيقي للكلمة.. وهو إلى

ذلك فعل اقتصادي باتجاه تنمية الثروة وزيادة رؤوس الأموال، ولبسط (النهج) الرأسمالي الذي أخذ نفوذه بالتزايد يوماً بعد آخر.

لا يعنينا في هذا المضمار مناقشة الآراء المختلفة في هذه المسألة، وإنما يهمنا أن نشير إلى أن الاتجاهات (النظم) السياسية سارت هي الأُخرى في التيار الذي يتضاد مع عالم المعنى، بحيث أخذت علاقة الضدية هذه تزداد يوماً بعد يوم.

ومن الطبيعي أن يشتد الهجوم ويتكاتف عندَ كل نقطة تتمركز فيها المعنويات أكثر من غيرها. وهذا بالضبط ما يفسّر لنا شدّة الهجوم الذي تعرّض له الفكر الإسلامي في كلّ نقطة من نقاط العالم.. ففي شرق العالم الإسلامي ـ الهند ـ دَخل الإنجليز في مواجهة مع الإسلام.. وفي غرب العالم الإسلامي ـ أفريقيا ـ هاجم الفرنسيون الإسلام ودخلوا الجزائر.

وبرغم أنّ بريطانيا وفرنسا، كانتا تتنافسان استعمارياً، إلا أنّ خصمهما كان واحداً ـ عالم الإسلام ـ.

لقد أخذ حضور التيار الديني ومسار عالم المعنى يضعف في العالم، وأخذ تأثيره يتضاءل، حتى أضحت البشرية تفتقر إلى الأخلاق والمعنى.

لقد أخذت العجلة المادية الثقيلة تسحق في حركتها عالم المسيحية، ودنيا الإسلام.. والإيمان، أو جعلت تأثيره باهتاً على الأقل. هكذا سارت حركة الحياة (الإنسانية) في العالم طوال قرنين.. وهذه ليست مدة قليلة.

راح التيار المادي يتحرك بسرعة وقسوة، وبات نفوذه يتسع يوماً بعد آخر خلال قرنين، وإلى جوار المادية التي بلغت ذروتها في الفكر والسياسة والسلوك الحياتي للبشر، أخذت الثروة تتزايد يوماً بعد آخر، ويتنامى العلم بشكل مطّرد، وتكثر الاختراعات والاكتشافات الجديدة،

وتتزايد المراكز والمؤسسات التي تدفع النهج المادي هذا.

ومعنى هذا الكلام، أنه لا يمكن أن نقارن علمياً بين أمريكا وأوروبا اليوم، وبين ما كانتا عليه قبل خمسين عاماً. إنهم أنفسهم الذين وظّفوا أموالهم وعلومهم واختراعاتهم، واستفادوا من إمكانياتهم المختلفة في دفع هذا النهج وتقويته والتعجيل به، حتى وصل إلى ذروة لا يمكن تصورها، بحيث لم يبق أمامهم في الخطوة اللاحقة سوى اجتثاث الدين والأخلاق والمعنويات من المجتمعات (البشرية) حتى لا يبقى لها ذكرا

استئصال الدين والمعنى والأخلاق، كان هو الخطوة التالية في المسار المشار إليه.. وهذا الكلام لا أقوله وحدي، بل سجّله حتى أولئك الذين اشتغلوا بكتابة قصص الخيال العلمي، وحاولوا أن يرسموا من خلال كتاباتهم صورة المستقبل لهذا العالم بعد خمسين عاماً مثلاً.. لقد قرأت شخصياً بعض هذه الكتابات، فرأيتها تعكس تصوراً لمستقبل العالم لا وجود فيه للإحساس المعنوي.

تُرى ما هي الخطوة اللاحقة في مسار حركة العالم، في قرن يوصف بأنه قرن الذرة والإلكترونيك وقرن الكومبيوتر والتقدم الفضائي المدهش؟ إنها بلا ريب تتمثل في إفراغ العالم من الفكر، أو على حدّ تعبيرهم، استئصال أوهام (!) الدين وعالم المعنى، ولا يمكن تصوّر غير ذلك[1].

◻ العلم والدين هل هما متضادان لا يمكن جمعهما في شخصية الإنسان كما تدعي بعض المذاهب المادية أم أن بينهما صميم العلاقة والارتباط أم أن أحدهما لا علاقة له بالآخر؟

---

(١) خطاب القائد مع مجموعة من العلماء وأئمة الجمعة، في تاريخ: ١٤١٠/١١/١٧هـق ١٩٩٠/٥/١٢م.

يتوهم البعض خطأً أنَّ التوجه صوب العلم لا يتوافق مع التوجه نحو الدين.

لقد شهدنا في السنوات الأخيرة دعوات بعضها ينطوي على غرض سياسي، وبعضها خالٍ من الغرض السياسي.. نحن نعرف هؤلاء، فقد يخفى الهدف السياسيّ عليّ عامة الشعب، بيدَ أنّا نعرف ماذا يهدف فلان من دعوته، ونحدس سريعاً ما الذي يريده، لأنّنا أدرى بسوابقه وأعرف بها.

المهم أن بعضهم يروّج التوجه نحو العلم ليحقق غرضاً مؤدّاه: إنَّ التوجه الذي يشهده مجتمعنا نحو الدين في الوقت الحاضر يتنافى مع التوجه نحو العلم، ومن ثمَّ يمكن صدم وعي الناس الديني من خلال ترويج الروح العلمية وإشاعة العلم!

هؤلاء على خطأ.. فإذا كان منظورهم من الدين هو الإسلام الذي ننتمي إليه، فهذا الدين هو الذي صنع الثورة.. وربى المقاتلين لميادين القتال.. وهو الدين الذي يدعوا الناس إلى العلم. فحينما نعود ونفحص العلة التي جعلت المسلمين يحملون مشعل العلم ويمسكون به في العالم، طوال عدّة قرون، ويمثلوه على أعلى مستوى، نجدها متمثلة بهذا الدين الإسلامي، فالأسماء التي لمعت بين زمن الفارابي[1] وحتى زمن

---

(١) هو أبو نصر محمد الفارابي ولد عام (٢٦٠ هـ/٨٧٤ م) في فاراب وهي مدينة في بلاد ما وراء النهر وهي جزء مما يعرف اليوم بتركستان وتوفي عام (٣٣٩ هـ/٩٥٠ م) فيلسوف مسلم أتقن العلوم الحكمية، وبرع في العلوم الرياضية، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب. اسمه الكامل هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، وكان أبوه قائد جيش، وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام فبها إلى حين وفاته. يعود الفضل إليه في إدخال مفهوم الفراغ إلى علم الفيزياء. تأثر به كل من ابن سينا وابن رشد. سمي الفارابي (المعلم الثاني) نسبة للمعلم الأول أرسطو والإطلاق بسبب اهتمامه بالمنطق لأن الفارابي هو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية.

الخواجه نصير الدين الطوسي[١]، هي ثمرة هذه القرون.

وما يهمنا الإشارة إليه أنَّ رؤى أمثال الخوارزمي[٢] أو أبن سينا[٣] لم

---

(١) الخواجة نصير الدين الطوسي هو من مواليد طوس، من توابع مشهد في إيران ولادته ٥٩٧ هجرية. علا نجمه وأصبح منفرداً في زمانه، ولم ينحصر علمه وعطاءه على الفقه أو الأصول أو الأمور الكلاسيكية، بل كان متفوقاً في كل الأصعدة: في الجبر، في الهندسة، في الرياضيات، في الفيزياء، وكل هذه العلوم أتقنها في ريعان شبابه، اشتهر أكثر بعبقريته بالرياضيات والفلك، خاصة في ابتكاراته العلمية والعملية في مرصد مراغة وجامعتها، له مؤلفات كثيرة من جملتها،أخلاق الناصري، أما وفاته في عام: ٦٧٢ هجرية في الكاظمية، وقد أوصى أن يدفن بجوار الإمامين الجوادين ويكتب على قبره هذه الآية ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي عالم مسلم، من أهل خوارزم (حالياً في أوزبكستان) ويكنى باسم الخوارزمي ـ تاريخ ولادته ووفاته مختلف فيه ـ قيل أنه ولد حوالي ٧٨١ م، وقيل أنه توفي بعد ٢٣٢هـ أي بعد ٨٤٧ م) وقيل توفي سنة ٢٣٦هـ يعتبر من أوائل علماء الرياضيات المسلمين حيث ساهمت أعماله بدور كبير في تقدم الرياضيات في عصره. ومما يمتاز به الخوارزمي أنه أول من فصل بين علمي الحساب والجبر، كما أنه أول من عالج الجبر بأسلوب منطقي علمي.

(٣) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف، طبيب وعالم، ومن عظماء رجال الفكر في الإسلام ومن أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه. ولد في قرية (أفشنة) الفارسية في صفر من سنة ٣٧٠ هـ (سنة ٩٨٠ م) من أم من أهل القرية وأب جاء من بلخ (أفغانستان حاليا). وفي بخارى ختم القرآن وهو ابن عشر سنين، وتعمق في العلوم المتنوعة من فقه وأدب وفلسفة وطب، وبقي في تلك المدينة حتى بلوغه العشرين. ثم انتقل إلى خوارزم حيث مكث نحواً من عشر سنوات (٣٩٢ ـ ٤٠٢ هـ)، ومنها إلى جرجان فإلى الري. وبعد ذلك رحل إلى همدان وبقي فيها تسع سنوات. وهكذا أمضى حياته متنقلاً حتى وفاته في همدان، في شهر شعبان سنة ٤٢٧ هـ (سنة ١٠٣٧ م).ترك

تنسخ في مجال اختصاصها (العلمي) الذي تحركت فيه، وهي لم تبطل، بل هي صحيحة، وإن استكملت برؤى جديدة، كانت تلك أساسها.. قد انبثقت من الإسلام برمتها.

كان الإسلام هو العامل الأساس الذي رفع المسلمين إلى ذروة العلم.

إنكم تعرفون أن أوروبا شهدت في قرون ضديتها للدين، ظهور روّاد العلم وهم من الحملة الأوائل لمشعل العلم الديني أيضاً.. من هؤلاء روجر بيكون الذي كان قسيساً فرانسيسياً (نسبة إلى سان فرانسيس القديس:

ابن سينا مؤلفات متعدّدة شملت مختلف حقول المعرفة في عصره، وأهمها: العلوم الآلية، وتشتمل على كتب المنطق، وما يلحق بها من كتب اللغة والشعر. العلوم النظرية، وتشتمل على كتب العلم الكلّي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي. العلوم العملية، وتشتمل على كتب الأخلاق، وتدبير المنزل، وتدبير المدينة، والتشريع. من آثار ابن سينا الرياضية رسالة الزاوية، ومختصر إقليدس، ومختصر الارتماطيقي، ومختصر علم الهيئة، ومختصر المجسطي، ورسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء. طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة ١٩١٧م. جمعت طبيعيات ابن سينا في الشفاء والنجاة والإشارات، وما نجده في خزائن الكتب من الرسائل ليس سوى تكملة لما جاء في هذه الكتب. ومن هذه الرسائل: رسالة في إبطال أحكام النجوم، ورسالة في الأجرام العلوية، وأسباب البرق والرعد، ورسالة في الفضاء، ورسالة في النبات والحيوان. أشهر كتب ابن سينا الطبية كتاب القانون الذي ترجم وطبع عدّة مرات والذي ظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر. ومن كتبه الطبية أيضاً كتاب الأدوية القلبية، وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، وكتاب القولنج، ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب، ورسالة في تشريح الأعضاء، ورسالة في الأغذية والأدوية. ولابن سينا أراجيز طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب، والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت.

١١٨٢ـ ١٢٢٦م) ـ والفرانسيسيون جماعة من القساوسة الزهّاد الذين كانوا يتبعون سان فرانسيس؛ الذي كان بدوره قديساً معروفاً تنسب إليه مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية لميلهم إلى إطلاق الأسماء المقدسة على المدن. كان سان فرانسيس هذا قديساً معروفاً، عاداه جهاز البابا لما كان يبديه من نقد لبذخ الجهاز، عداوةً شديدة. وكان مبعث العداوة موقف القسيس فرانسيس المعارض لمظاهر الجاه والثراء والبذخ في جهاز البابا، وميله إلى الزهد.

وإذا أردنا على سبيل المثال أن نعثر من بين الفرق الإسلامية على مثال لروجر بيكون، فهو يشبه فرقة (دراويش خاكساري) من الصوفية، الذين كان عملهم الدروشة. وفي مجال القسوسة برز روجر بيكون من روّاد العلم، الذي ربما كان في القرن الثالث عشر.

ومعنى ذلك أن أول التجليات العلمية التي ظهرت في أوروبا وقادت في نهاية المطاف إلى التحوّل العلمي الذي شهدته هذه القارة، حصل من قبل شخصيات دينية.. شخصيات دينية متفتحة وليست متبلدة الذهن.. هذه الشخصيات هي التي أوقدت أُولى جذوات التحوّل العلمي.

وحينما نعود إلى أبن سينا ـ الشخصية المنبثة من داخل تربتنا الإسلامية ـ نجده هو الآخر عالماً دينياً، بل كان كما نعرف، وكما يظهر من كتابه (الإشارات) عارفاً بمعنى من المعاني.

كذلك كان غيره.. فالبيروني[1] مثلاً هو عالم ديني، رغم تفوقه في

---

(١) البيروني هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م بإحدى ضواحي خوارزم في فارس (أوزبكستان حالياً). كان البيروني عالماً في الرياضيات، والطبيعيات، والفلك، والطب، بالإضافة إلى كونه مؤرخاً ولغوياً وأديباً.

الرياضيات والنجوم وعلوم أُخرى، وكان من الشخصيات اللامعة.. أو البهائي[١] الذي كان (آخوند ـ ملاّ) عالمَ دين فقيهاً بمعنى الكلمة ومن

وعلى الرغم من إطلاعه الواسع على مختلف مجالات المعرفة في عصره، فإن اهتمامه كان مركزاً أكثر على الرياضيات والفلك. ويعدّه أعلام المستشرقين من العباقرة المسلمين العالميين الواسعي الإطلاع. وكان البيروني ألمع علماء زمانه في الرياضيات كما يعترف بذلك (سمث) في الجزء الأول من كتابه (تاريخ الرياضيات). وبجانب ذلك اشتغل بالفلك، وبحث في هيئة العالم وأحكام النجوم، ووضع طريقة لاستخراج مقدار محيط الأرض تعرف عند العلماء الغربيين باسم (قاعدة البيروني)؛ ووصف ظواهر الشفق وكسوف الشمس وغير ذلك من الظواهر الطبيعية بجانب إشارته لدوران الأرض حول محورها. كما كان ملمّاً بعلم المثلثات، وهو من الذين بحثوا في التقسيم الثلاثي للزاوية. ترك البيروني مؤلفات عديدة، تزيد عن مائة وخمسين كتاباً، وقد ذكر أغلبها في رسالته المعروفة بالفهرس، وتتناول مواضيع متنوعة منها الجغرافيا، والرياضيات، والفلك. ومن أشهر مؤلفاته: (كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية)، ناقش فيه البيروني دوران الأرض حول نفسها، وتسطيح الكرة ؛ وهو بذلك واضع أصول الرسم على سطح الكرة. توفي سنة ٤٤٠ هـ ١٠٤٨م).

(١) الشيخ محمّد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي، المعروف بالشيخ البهائي. ولد في السابع والعشرين من ذي الحجّة ٩٥٣ هـ بمدينة بعلبك في لبنان. درس المراحل الأوّلية للعلوم الدينية في لبنان، ثمّ سافر إلى مدينة اصفهان لتحصيل العلوم، وقد حظي باحترام الشاه عباس الصفوي، ثمّ عيّنه في منصب شيخ الإسلام في الدولة الصفوية، وقد انتفع من الإمكانيات التي توفّرت للدولة الصفوية، فاستفاد منها في خدمة التشيّع. لقد قضى الشيخ البهائي ثلاثين سنة من حياته في السفر، حيث سافر إلى المدن والأقطار المختلفة ، للدراسة وزيارة العتبات المقدّسة. من أساتذته: الشيخ عبد العالي الكركي، ابن المحقق الكركي، أبوه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي، الشيخ أحمد الكجائي، المعروف ببير أحمد، الشيخ عبد الله اليزدي. ومن تلامذته: الشيخ محمّد بن إبراهيم الشيرازي، المعروف بصدر المتألّهين الشيخ محمّد تقي المجلسي، المعروف بالمجلسي الأوّل، الشيخ محمّد محسن، المعروف بالفيض الكاشاني، المولى محمّد صالح المازندراني. من مؤلفاته: ١. الزُبدة في الأصول، ٢. شرح الأربعين حديثاً، ٣. الجامع العبّاسيّ في فقه الإماميّة، ٤. هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة، ٥. شرح الصحيفة السجّاديّة، ٦. الحبل المتين في مزايا القرآن المبين، ٧. الكشكول. كانت وفاته في اصفهان سنة ١٠٣٠ أو ١٠٣١ هجرية، لكنّ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي أكّد وفاته بسنة ١٠٣٥ هجريّة. ثمّ نُقل

أهل العبادة والتهجّد أيضاً.. والذي حصل في عصر الشيخ البهائي؛ أنَّ العلومِ الدينية اكتسبت مسيرها العلمائي الصنفي الذي هي عليه الآن، وذلك خلافاً لما كانت عليه قبل ذلك، إذ كانت لا تقتصر معارف عالَم الدين على أصناف العلوم (الرسمية المتداولة) في الصنف العلمائي ـ الحوزوي اليوم ـ بل كان عالم الدِين عارفاً بجميع العلوم والفنون [العلوم الدينية وغيرها] فابن سينا مثلاً كان له تلاميذ في الفلسفة كما كان له تلاميذ في الطب.

أما الشيخ البهائي فقد برز في بيئة كانت فيها العلوم قد انفصلت بحيث أضحى العالم الديني مختصاً بتحصيل نوع معين من المعرفة [الدروس الرسمية المتعارفة حوزوياً] وعليه أن يعتلي المنبر ويقوم في المحراب وحسب.

وحين نرجع إلى أبي ريحان ـ مثلاً ـ نجد من بين مؤلفاته كتاب «تحقيق ما للهند»، والعنوان في الواقع جزء من بيت شعر نصه:

تحقيق ما للهند من مقولة   مقبولة في العقل أو مرذولة

لم تكن الروح الدينية إذاً على تنافٍ مع الروح العلمية، بل كانت سنداً لها.

ينبغي لكم أن تنموا الروح العلمية في المجتمع وتزيدوا من توجهه نحو العلم.

إن هذا الكون يقوم على قاعدة وله قانون ينبسط على جميع أجزائه، وقد أمرنا الدين أن نكشف عن هذا القانون كي يكون بمقدورنا أن ندير

جثمانه الطاهر من اصفهان إلى مشهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عملاً بوصيّته، فدُفن في داره القريبة من الحضرة المشرفة، وقبره معلوم يُوقَف عنده لقراءة الفاتحة من قبل زوّار المولى علي بن موسى الرضا عليه السلام. وكان يوم وفاته مشهوداً، وقد صلّى عليه المَجلسي الأوّل مع جميع الطلبة والفضلاء وكثيرٍ من الناس بلغ عددهم خمسين ألفاً تقريباً.

الوجود.. ومردّ ذلك أنّ الإنسان خلق لكي يكون حاكماً للأرض ومسخراً لما فيها وتحتها، لا أن يكون محكوماً من قبلها.

لذلك لا يمكن للإنسان أن يتبوأ موقع الحاكمية ومركز الخلافة في الأرض، هذا الموقع الذي يعكس فلسفة وجوده والوظيفة الأصيلة التي يجب أن ينهض بها من دون أن يعرف قوانين الأرض.. قوانين الطبيعة. فما لم يكشف الإنسان عن هذه القوانين لا يستطيع أن يحقق حاكميته (خلافته).. وهذه القوانين تعرف بالعلم.. وعليه تكون الروح العلمية من الأهداف المهمة(١).

علماء الدين

□ ما هي خطورة إضعاف دور علماء الدين وهل نجح العدو في ذلك؟

سعى الاستعمار في جميع أرجاء العالم الإسلامي إلى أن يعزل علماء الدين عن الحياة ويبعدهم عن المعترك. وحينما نتحدّث عن الاستعمار، نعني فترة (١٨٠ ـ ٢٠٠) سنة التي مضت، وقبل الاستعمار كان الدور في تنفيذ ذلك قد نهض به السلاطين المستبدون وحكام الجور والديكتاتورية المحلية.

حينما بدأ الغزو الأوروبي لإيران.. وشبه القارة (الهندية).. والبلاد العربية.. والبلاد الأفريقية، والبلاد التي تقع في الإطار الواسع للسلطنة العثمانية، وغيرها. أولى الاستعمار منذ سنواته الأولى، هذه المسألة اهتماماً كبيراً، وقد كان فهمه لها صحيحاً.. إذ سعى إلى أن يؤثر على دور علماء

---

(١) حديث قائد الثورة إلى القسم العلمي التابع للإذاعة، في تاريخ:١٤١٢/٧/٣٠هـ.ق، ١٩٩١/٢/٤م.

الدين بسلب هويتهم الواقعية، أو تحويلهم إلى وجود هامشي لا شأن له، أو استئصالهم إن أمكن ذلك.

اشتغل الاستعمار على هذا المحور سنوات متمادية. فكان أن تضاءل دور العلماء في بعض المناطق، حتى أضحى هامشياً ضعيفاً، لا حيثية له ولا هوية..

فقد زوي العلماء في مراكز صغيرة باهتة وانصرفوا إلى أعمال لا يُعبأ بها ولا شأن لها بحركة الحياة، وذلك من قبيل العناية بأمور الأموات، وغير ذلك من الممارسات الشكلية.

أجل، لقد أفلحت السلطات الحاكمة في بعض بلاد المسلمين لدفع العلماء إلى هذا (المنحدر) بعد أن بذلوا جهوداً حثيثة لسنوات طويلة، حتى أضحى ليس من حق عالم الدين حتى أن يُمارس دوره (الطبيعي) في التعليم.

حصل ذلك في جميع بلاد العالم الإسلامي. نعم في بعض البلدان التي نعرفها وتعرفونها جيداً، لم يكن بمقدورهم أن يستأصلوا شأفة العلماء ويقضوا تماماً على مراكزهم العلمية، بل ولم يستطيعوا إضعافهم إلى الحد الذي يجعل وجودهم مساوقاً للعدم، وإنّما توسلوا بنهج آخر، حين سعوا إلى أن يتحول العلماء ومركزهم العلمي إلى تابع للقدرات الحاكمة وللبلاطات والحكومات الفاسدة.

أية خيانة عظمى هي تلك التي اجترحها العلماء المرتبطون بالبلاط، بحق الإسلام والمسلمين.. إنّهم هم الذين أشار لهم إمامنا العزيز (الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه) مرّات في بياناته في مرحلة الجهاد قبل الانتصار وبعده، وقرن ذكرهم بالتنفر.

إن العَالمَ الذي يُوجِّه للأجهزة الفاسدة، سلوكها، هو أخطر من تلك الأجهزة نفسها. تماماً كما أشار لذلك الإمام السجاد علي بن الحسين ﷺ في خطابه إلى ذلك الرجل المشهور[1] في عصره، حينما ذكر له بأنّه تحوّل إلى مطية للظالمين، عندما راح الظالمون يسوّغون المظالم التي يجترحوها ويمرروها من خلال علاقته بهم.

والعالِمُ الذي يسوّغ ظلم الأجهزة الفاسدة هو أخطر من تلك الأجهزة ذاتها.

لا ريب أنّ تلك الفئة من العلماء التي تنفذ في المجتمع أهداف الاستكبار، هي أسوأ أيادي الاستكبار وأشدّها قذارة.. وهي تمارس مهمة خطيرة جداً لكونها تنطوي على ظاهر حق، وباطن باطل.

وهذه في الواقع، هي القضية التي سعى الاستكبار لتنفيذها في العالم الإسلامي منذ قرن وبضعة عقود، بما بذله من مال، وبما توسل به من ترغيب وترهيب.

لم يوفق الاستكبار كاملاً فيما كان يسعى لتحقيقه، في العالم

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري على ما يظهر من كتب التراجم من المنحرفين عن أمير المؤمنين وأبنائه ﷺ كان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير وجده عبيد الله مع المشركين يوم بدر وهو لم يزل عاملاً لبني مروان ويتقلب في دنياهم، جعله هشام بن عبد الملك معلم أولاده وأمره أن يملي على أولاده أحاديث فأملى عليهم أربعمائة حديث. وأنت خبير بأن الذي خدم بني أمية منذ خمسين سنة ما مبلغ علمه وماذا حديثه ومعلوم أن كل ما أملى من هذه الأحاديث هو ما يروق القوم ولا يكون فيه شيء من فضل علي ﷺ وولده ومن هنا أطراه علماؤهم ورفعوه فوق منزلته بحيث تعجب ابن حجر من كثرة ما نشره من العلم. وفي رجال الشيخ الطوسي والعلامة وابن داود والتفرشي أنه عدو. (من كتاب تحف العقول)

الإسلامي، لاسيّما في إيران حيث بقيت المراكز العلمية الإسلامية المتمثلة في علماء الإسلام ثابتة على مواضع الحق، وقد استطاعت بمواقفها الحاسمة أن توجد هذه الثورة العظيمة، وتكون سبباً في انبثاق هذه الجمهورية ونظامها، ونشر راية الإسلام عزيزة خفاقة في ربوع العالم الإسلامي[١].

العدو والعقيدة المهدوية

□ ما هي الوسيلة التي يعمد لها العدو عندما يفشل في إبعاد الناس بصورة علنية عن الدين والمفاهيم الإسلامية؟

لقد تعرّضت جميع العقائد البنّاءة لهجمات من خصومها. اعلموا أيّها الأخوة والأخوات أن هذه النقطة في غاية الأهمية! لاحظوا كم يجب علينا أن نكون متيقّظين اليوم! إذ أنهم نقّبوا حتى في تعاليم الإسلام وأحكامه وحيثما وجدوا في الشرع المقدّس معتقداً أو حكماً له تأثير إيجابي واضح وكبير في حياة ومستقبل الفرد والمجتمع والأُمة الإسلامية وقفوا بوجهه وقاوموه بشكل أو بآخر؛ لعلهم يستطيعون القضاء عليه، فإن لم يصلوا إلى غايتهم حاولوا التلاعب بمحتواه.

ولعل البعض يتساءل مستبعداً: وما شأن العدو، وكيف يتسنى له تجريد العقائد الإسلامية من فائدتها للناس؟ وهذا التصور خاطئ طبعاً. فالعدو قادر على ذلك ولكن لا على المدى القصير، بل على امتداد فترة طويلة قد تمتد إلى عشرات السنين حتى يستطيع طمس بؤرة مضيئة فيها

---

(١) من كلام القائد في مراسم بيعة علماء الحوزات العلمية، في تاريخ: ١٤٠٩/١١/٢٦هـق، ١٩٨٩/٦/٣٠م.

أو إفراغها من جوهرها، أو إبراز نقطة مظلمة. فقد يبذل أحدهم جهوداً محمومة على مدى سنوات طويلة وينفق الأموال، ولكن لا يصل إلى نتيجة، فيأتي آخرون من بعده ويمضون على نهجه. لقد تعرضت مُعتقدات المسلمين للكثير من أمثال هذه الأعمال، كما حصل مع عقيدة التوحيد، وعقيدة الإمامة، وكذلك المفاهيم الأخلاقية كمفهوم الصبر، والتوكّل، والقناعة.

هذه كلها نقاط بنّاءة بارزة لو استوعب المسلمون حقيقتها لكانت بمثابة المحرك الذي يسهم في تقدم المجتمع الإسلامي نحو الأمام. ولكنهم بعدما تحايلوا عليها وغيروا مضامينها وبدّلوا معانيها وألقوها في الأذهان على صورة أُخرى مغايرة لأصلها، استحال ذلك المحرّك إلى داء مخدر ومنوّم.

كما أنّهم حاولوا كثيراً ذلك مع عقيدة المهدي الموعود التي تنص على ظهور رجل في آخر الزمان من آل بيت الرسول يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويقضي على الظلم والتمايز والاستغلال والطبقية. وهذه العقيدة لا تختص بالشيعة وحدهم، بل يؤمن بها المسلمون كافّة، ولكن لبعض الفرق كلاماً آخر في تفاصيلها وتفريعاتها، إلا أن أصل القضية ينص على أن رجلاً من عترة رسول الله ﷺ سيقوم في وقت ما بحركة إلهية جبّارة و«**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[1]. هذه القضية متواترة عند جميع المسلمين، ومقبولة لديهم كافة.

هذه العقيدة ذات قدرة كبيرة على حل المعضلات. ونتيجة لما تتصف به هذه العقيدة من قدرة وفاعلية؛ فقد حاول الأعداء، والأصدقاء الجهلة

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٣٨.

أحياناً، إفراغها من محتواها ـ وقد تكون الضربة التي تأتي من الصديق الجاهل أكثر إيلاماً من ضربة العدو العاقل ـ إلا أن محور حديثنا يدور هنا حول محاولات العدو العاقل ضد هذه العقيدة.

اطّلعتُ على وثيقة تتعلق بعدّة عقود مضت؛ أي منذ أوائل تغلغل الاستعمار في شمال أفريقيا ـ وإنّما صار التركيز على تلك المنطقة بسبب شدّة ميول سكّانها إلى أهل البيت بغض النظر عن المذهب الذي يعتنقونه من بين المذاهب الإسلامية ـ ولأن عقيدة المهدوية بارزة المعالم هناك في بلدان مثل السودان والمغرب وما شاكل ذلك، فحينما دخل الاستعمار إلى تلك المناطق في القرن الماضي وجد أن عقيدة المهدوية من جملة العراقيل التي تعيق نفوذه هناك ـ يؤكد في الوثيقة القادة المستعمرون على ضرورة العمل لإزالة عقيدة المهدوية تدريجياً من أذهان الناس! وكان المستعمرون الفرنسيون والمستعمرون الإنجليز يسيطرون على تلك المناطق حينذاك ـ والاستعمار استعمار من أيٍّ كان ـ

أدرك المستعمرون الأجانب إنه طالما بقيت عقيدة المهدوية راسخة في أذهان تلك الشعوب، لا يمكن التحكّم بتلك الشعوب كما ينبغي! لاحظوا مدى أهمية عقيدة المهدوية. ولاحظوا مدى فداحة الخطأ الذي يرتكبه البعض باسم التجديد والإنفتاح الفكري، بإثارتهم الشكوك حول المعتقدات الإسلامية بلا وعي ولا دراسة ولا معرفة لطبيعة العمل الذي يقومون به؛ فهؤلاء يؤدّون بكل سهولة نفس الغرض الذي يرمي إليه العدو[1].

---

(١) كلمة القائد في ذكرى مولد الإمام الحجة عجل الله فرجه في تاريخ: ١٤١٨/٨/١٥هـق ١٩٩٧/١٢/١٥م.

خصائص العقيدة المهدوية

تتسم العقيدة المهدوية بجملة من الخصائص التي تكون بالنسبة لكل شعب بمثابة الدم في الجسم، وبمثابة الروح في البدن، ومن جملة تلك الخصائص خاصّية الأمل.

فقد تصل القوى المتغطرسة المتجبّرة بالشعوب الضعيفة إلى درجة أنها تسلب منها روحية الأمل؛ وإذا فقدت الأمل لا تستطيع القيام بأي عمل، وتفقد الثقة بجدوى أي إجراء قد تلجأ إليه، متصوّرة أن الوقت قد فات، وأنها لا قدرة لها على مجابهة هذا الخصم بأي نحو كان.

هذه هي روح اليأس التي ينشدها المستعمر. وكم يتمنى الاستكبار العالمي اليوم أن تمنى الشعوب الإسلامية، ومنها الشعب الإيراني العزيز بهذه الحالة من اليأس، فترى مَن يقول: فات الأوان. لا يمكننا فعل شيء! لا فائدة من التحرك! يلقون هذه المفاهيم في أذهان الناس بالإكراه والقوة.

ونحن المطلعون على الدعايات الإعلامية المعادية المسمومة، نلمس بكل جلاء أن معظم الأخبار التي يبثّوها تهدف إلى إشاعة اليأس في قلوب أبناء الشعب. يحبطون أمل الناس تجاه الاقتصاد والثقافة،و المتديّنين من اتّساع نطاق الدين، ودعاة الحرية والشؤون الثقافية والسياسية من إمكانية العمل السياسي أو الثقافي، ويصوّرون مستقبلاً مظلماً مبهماً أمام أبصار الطامحين نحو المستقبل!

ولكن ما هو الدافع من وراء ذلك؟ إنهم يحاولون تحويل الكيان الفعّال ـ بقتل الأمل في القلوب ـ إلى كتلة ميتة أو شبه ميّتة، ليتاح لهم عند ذاك التعامل معه كما يحلو لهم؛ إذ ليس بمقدورهم التعامل مع الشعب

إذا كان حياً، كما يرغبون. الجسم الميت يمكن لكل من هبٍّ ودبٍّ أن يتصرف فيه كيف يشاء، ولكن لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك مع الوجود الحيِّ الفاعل المفكِّر.

والمثل ينطبق على الشعوب أيضاً، فهم لا يستطيعون القيام بأي عمل ضدَّ الشعب الإيراني المسلم الثوري الذي يعيش تحت راية الجمهورية الإسلامية، الشعب الحي الواعي والمتيقِّظ الذي يعرف قدر نفسه وقدر عزّته ويتعامل مع الآخرين ـ على الصعيد العالمي ـ كما يليق بشأنه . ونتائج هذا ملموسة لديكم.

إذا كان الشعب خاملاً لا يرى لذاته قيمة ومستقبلاً، يتمكن الأعداء وبكل سهولة أن يرسموا له مستقبله ويجعلوا أنفسهم أوصياء عليه؛ يقررون له ويعملون بدلاً عنه بلا أي رادع أو مانع، وهذا مبعثُه الخمول. والخمول يأتي كنتيجة لفقدان الأمل، ولهذا تنصبّ مساعي الأعداء على انتزاع الأمل من نفوس أبناء الشعب.

اعلموا أن أي صوت يستهدف اليوم إشاعة اليأس في نفوس أبناء الشعب فهو صوت موجّه من العدو؛ سواء علم أم لم يعلم، وأي قلم يخط كلمة على الورق على طريق انتزاع الآمال من قلوب الشعب، فهذا القلم مسخّر للأعداء سواء علم صاحبه أم لم يعلم.

إن الاعتقاد بالمهدوية، وبفكر المهدي الموعود أرواحنا فداه، يحيي الأمل في القلوب، والإنسان الذي يؤمن بهذه العقيدة لا يعرف اليأس طريقه إلى قلبه أبداً؛ وذلك لثقته بحتمية وجود نهاية مشرقة، فيحاول إيصال نفسه إليها بلا وجل من احتمالات الإخفاق.

ومن الطبيعي أنهم حينما يفشلون في استلاب هذه العقيدة من النفوس

يحاولون تشويهها في الأذهان. ولكن كيف يتم تشويه هذا المعتقد؟ يتم ذلك عن طريق القول: أن المهدي سيظهر وهو الذي يصلح جميع الأمور، وليس علينا شيء! هذا تشويه لهذه العقيدة، وتحويلها من محرّك دافع إلى إطار لا فاعلية فيه، ومن دواء مقو إلى داء مخدّر ومنوّم.

نعم يظهر المهدي ﴿فَدَاهُ﴾ ويصلح الأمور، لكن ما هو واجبكم اليوم؟

واجبكم اليوم هو أن تمهّدوا له الأمور لكي يأتي وينطلق من تلك القاعدة المهيّأة؛ لا يمكن الانطلاق من نقطة الصفر. المجتمع الذي يمكنه أن يتقبّل حكومة المهدي الموعود ﴿فَدَاهُ﴾ هو المجتمع المستعد المتوفر على القابلية لذلك، وإلا فسينتهي إلى نفس المصير الذي انتهى إليه الأنبياء على امتداد التاريخ[١].

العلماء هم العنصر الأساس في الكفاح

□ ما هو دور علماء الدين والحوزات العلمية في انتصار الثورة وتشكيل النظام الإسلامي وما هي مسؤولياتهم في مواجهة الأعداء بعد انتصار الثورة؟

لقد كان العلماء العنصر الأساس في الكفاح المرير الذي دام خمسة عشر عاماً، وانتهى بانتصار الثورة ثمّ تشكيل النظام الإسلامي المقدّس، وارتفاع علم الإسلام خفّاقاً في العالم.

وكذلك كانوا العنصر الرئيس في المقاومة الحماسية للشعب الإيراني ضدّ أنواع الهجوم المعادي، وقبل ذلك كانوا ـ ولقرون طويلة ـ العامل

---

(١) كلمة القائد في ذكرى مولد الإمام الحجة ﴿عجل الله فرجه﴾ في تاريخ: ١٤١٨/٨/١٥ هـق، ١٩٩٧/١٢/١٥م.

الأساس في الحفاظ على المعارف الإسلامية، وإيمان الشعب الإيراني العميق الصادق بالرسالة الإسلامية التي تحيي النفوس، ونمو الفكر الديني في كلّ مكان.

ولقد كان وجود العلماء المجاهدين في محور الصراع ضدّ النظام العميل لأمريكا هو المحفّز لانضمام الفئات الشعبية المختلفة إلى ساحة الصراع، ومنحه صبغة شعبية عامة.

كما أنّ الحضور النشط لعلماء الدين في طليعة كلّ الحوادث الكبرى المهمة التي اشترك الشعب الإيراني في صنعها كنهضة الدستور (المشروطة)[1].

---

(١) الحركة الدستورية (المشروطة) في إيران التي تزعّمها اثنان من كبار علماء الدين هما السيّد محمّد الطباطبائي، والسيد عبد الله البهبهاني.

عملت الحركة على تصحيح الحكم الى ملكي دستوري مشروط ببرلمان، ونجحت في (٨/٥/ ١٩٠٦م)، في إجبار مظفّر الدين شاه على إعلان الدستور، والاحتفاظ بمكانة عليا تضمن للفقهاء الإشراف على قوانين المجلس.

ولكن انقسمت الحركة الدستورية إلى فريقين، يطالب أحدهما بحكم ديمقراطي مطلق، وآخر يطالب بحكم يلتزم بالشريعة الإسلامية، مما أدى إلى إعدام اية الله الشيخ فضل الله النوري أكبر دعاة (المشروطة المشروعة) في طهران على يد فريق الاخر. ما جعل حالة من التشكيك في الحركة الدستورية المطلقة تسود في أوساط العلماء، فاتهموها بالعمالة لبريطانيا. وقد حاولت الحركة الاعتماد على المرجعية الدينية في النجف الأشرف لتتخذ موقفاً حاسماً ضد السلطة القاجارية التي كانت تعارض أهداف الحركة في إنشاء مجلس شورى، والحركة الدستورية، فكان على رأس أنصار المشروطة الشيخ كاظم الخراساني والشيخ حسن الخليلي والشيخ عبد الله المازندراني والشيخ محمّد حسين النائيني وغيرهم. وفي ٢٤ جمادى الثانية ١٣٢٧هـق ١٣حزيران ١٩٠٩م. حققت المشروطة انتصاراً ساحقاً بسقوط الشاه على أيدي أنصار المشروطة وخروج الروس من إيران.

ونهضة التنباك[١]، كان هو الذي أدّى إلى حضور الشعب الشامل في سوح تلك الأحداث.

ومن هنا وجدنا الاستعمار الإنجليزي ـ وإدراكاً منه لهذه الحقيقة ـ يجعل مسألة القضاء على فئة علماء الدين في صدر مهامه، تمهيداً لاستدامة وجوده الاستعماري في إيران، وراح الإنجليز يخطّطون بواسطة عميلهم

---

(١) أولى إنتفاضة في تاريخ إيران المعاصر، كانت نهضة التنباك حدثت عام: ١٨٩١ قادها رجال الدين الإيرانيون بمن فيهم السيد جمال الدين الأسد آبادي تلك الشخصية السياسية الدينية التي كان لها دوراً مهماً في الإعداد لهذه الحركة وتشجيع رجال الدين وتحريضهم على مواجهة الملك القاجاري ناصر الدين شاه. واجه منح إمتياز (حصر التبغ والتنباك) للشركة الإنجليزية منذ البداية وقبل بدأ عمل الشركة في إيران بعض المخالفات والإحتجاجات. أما آية الله الميرزا الشيرازي إتماماً للحجة دعا في رسالة شفهية أولاً وفي أخرى خطية لاحقاً إلى إلغاء الإمتياز... فلم يكترث ناصر الدين شاه لهذا الإحتجاج وأوعز لممثل إيران بأن يذهب إلى سامراء ويعلمه بفوائد الإمتياز. منذ أواخر شهر محرّم من عام: ١٣٠٩ (أواخر أغسطس ـ آب ١٨٩١) إرتفعت وتيرة مقاومة عمليات شركة ريجي في عموم البلاد، فيما عارضها علناً كبار العلماء في مدن طهران وتبريز وأصفهان. أمّا ناصر الدين شاه، الذي أرهبته فتوى آية الله ميرزا الشيرازي، فإنه كلف أمين السلطان (صدر أعظم) بلقاء العلماء بحثاً عن سبيل لإنهاء هذه الغائلة. لذا إلتقى أمين السلطان الميرزا حسن الآشتياني، قبل أن يجتمع إلى سائر العلماء ويتعهد فيه باتخاذ ما يلزم من خطوات لفسخ إمتياز حصر التبغ والتنباك وإبطاله. وانه بعد استرضاء الشاه ومحاورة الإنجليز، أقنعهم بوجوب العدول عن حق حصر التبغ والتنباك في إيران، ما دفع لأن تتولى شركة ريجي أمر تصدير التبغ والتنباك واستيرادهما فحسب... هذا الأمر لم يرض الميرزا حسن الآشتياني وسائر العلماء الذين طالبوا بإلغاء كامل الإمتياز وإبطاله جملة وتفصيلاً. قضية تحريم التنباك وانصياع ناصر الدين شاه لإرادة علماء الدين، عززت منزلة الروحانيين وأضعفت منزلة الملك وإن كان يتوق بالذات لإلغاء الريجي... وأنها، أي: القضية تلك التي عرفت بقضية الريجي آلت لهزيمة الشاه القاجاري وقتله بعد نحو سنين أربع.

رضا خان في السنين التي تلت عام (١٣١٣) الهجري الشمسي (١٩٣٤م) للقضاء على العلماء، وحدثت فواجع واعتداءات على علماء الدين العظام والحوزات العلمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ إيران مطلقاً.

ومن المؤسف أنّ تفصيلات تلك الفجائع الكبرى وكيفية المقاومة المظلومة للعلماء وطلاب العلوم الدينية في أواخر أعوام حكم رضاخان المتجبِّر لم يتمّ تدوينها، وبالتالي لم تطّلع عامّة الناس عليها، الأمر الذي يفرض على الأفراد والمؤسسات المتخصِّصة بهذا الأمر أن يعملوا بهمة عالية لتجميع كلّ المعلومات المتوفّرة لدى شهود العيان الذين مازالوا ـ بحمد الله ـ كثيرين هنا وهناك[1].

تحرر علماء الدين

ولقد كان تحرّر علماء الدين والمشتغلين بالعلوم الإسلامية، وعدم نفوذ القوى الداخلية والعالمية إلى صفوفهم سبباً في عدم قدرة المتجبرين والمتحكِّمين الطغاة مطلقاً على منع وقوف هذه المجموعة الربّانية بوجه مفاسدهم وأساليبهم الخيانية.

وإذا أمكن لهم أن يجرّوا إليهم مجموعة من العملاء الذين تزيّوا بزّي الدين وعلماء البلاط، طمعاً من هؤلاء في حطام الدنيا الدنية الفانية، ويجلسوهم على موائد الظالمين ويستمدوا تأييدهم قولاً وعملاً، فقد بقيت أكثرية العلماء والمشتغلين بالعلوم الدينية والفضلاء والطلاب الشبّان في قلعة المناعة والتقوى والطهارة، واحتفظت بقدرتها على الكفاح الصادق

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

المقتدر، وركّزت ـ بكل ثبات ـ في قلوب كلّ فرد من أفراد الشعب العقيدة الراسخة بعلماء الدين الشيعة والثقة الكاملة بهم.

ومن هنا فقد كان هؤلاء دائماً غرضاً لسهام العداء المسمومة المغرضة لشتى الأعداء والمستعمرين والأجانب وعملائهم وشكّلوا العدو الأوّل لهم.

ولقد كانت الدعايات ذات الطبيعة الاستعمارية تماماً، والإعلام المعادي المخطَّط له في حكومة بهلوي، والسياسات المسلّطة في الخمسين عاماً الماضية ضدّ فئة علماء الدين في عصر حكومة رضاخان والنصف الأوّل من حكم محمد رضا، كانت جميعاً امتحاناً عسيراً لعلماء الدين وكلّ العاملين في هذا الحقل، إلا أنهم أدّوا امتحانهم بكلّ نجاح وعزّة.

الحوزات العلمية المهد الأصيل للكفاح

ولقد كانت الحوزة العلمية في قم وباقي الحوزات العلمية، والوجوه العلمية الدينية اللامعة المهد الأصيل للكفاح، وبالتالي الهدف الأصلي للحملات الوحشية المعادية طبعاً.

إلا أن العنف الشديد والإرهاب الذي لا حدّ له لم يستطع ـ بإرادة الله ـ أن يجبر علماء الدين على التراجع عن طريق الفخر والعزّة الذي اختاروه كواجب إسلامي لا يقبل التراجع، بل إنّنا نجد الفكر الإسلامي قد تفتّح أكثر فأكثر، واشتد وضوحاً ونقاءً، والفقه القرآني قد امتلك ثراءً وعمقاً، وشخصية العلماء المجاهدين قد اكتسبت صلابة ومراساً، ممّا مهّد السبيل لتشكيل الحكومة الإسلامية.

وبعد انتصار الثورة وحتى الآن كان هؤلاء العلماء، وخصوصاً تلك العناصر البارزة التي تسلّمت مسؤوليات مباشرة في خدمة نظام الجمهورية

الإسلامية، غرضاً لحملات مسمومة لا انقطاع لها من قبل العدو، سواء على الصعيد الإعلامي، أو على صعيد الاغتيالات الخيانية بتخطيط من العدو.

وقد قدّم العلماء شهداء عظاماً سواء في جبهات الحرب المفروضة، أو على جبهات النشاطات الجهادية الأخرى، فضمّخوا محراب صلاة الجمعة، وساحة العلم والسياسة والتبليغ الإسلامي بدمهم الطاهر.

إنّ شعبنا العزيز ليعلم بأنّ دوافع الأعداء من هذا الهجوم الشامل على علماء الدين إنما هي لكونهم يعلمون ـ بكل وضوح ـ الدور المصيري الفريد الذي امتلكوه وما زالوا كذلك، وإذا كانوا يهاجمون العلماء فإنّما هم في الواقع يسعون لزعزعة أسس الثورة والقضاء عليها.

تآمر العدو

إنّ الأقلام المأجورة والأيدي المستأجرة من قبل العدو لتسعى لإضعاف هذا السند المعنوي للثورة وبثّ التشكيك في قلوب الشعب.

إنّ أعداء الثورة إنما يرضون بوجود علماء الدين إذا رضي هؤلاء بالامتناع عن التدخل في الشؤون السياسية، وسحبوا أنفسهم من سوح الثورة، وانزووا في أقبية المدارس والمساجد، مَثَلهم في ذلك مثل بعض المشتغلين بالعلوم الدينية في الماضي والحاضر، والذين قادهم تحجُّرهم وبعدهم عن الحقيقة للإنزواء وترك الأمور بيد هؤلاء الأعداء.

هذا وإنّ من الظواهر ذات المغزى العميق أن نجد هؤلاء العلماء المتحجّرين البعيدين عن الساحة الاجتماعية والتيارات السياسية الجارية لا يتعرضون لأيّ هجوم خلال مدة الصراع الطويل وكذلك بعد انتصار الثورة، بل إننا نجد المدائح تكال لهم أحياناً، في حين ينصبُّ وابل الحملات

الجسدية والإعلامية ـ وحتى تهمة الرجعية والعودة إلى الوراء من قبل أدعياء الثقافة وعملاء الأجانب ـ على علماء الدين الذين لمعت أسماؤهم في سوح الفكر السياسي والتجديد في مجالات العلم والعمل، وعُرفوا بروح تقدّمية واعية متسامية.

إنّ مواقف الأعداء توضّح تماماً تلك الحقيقة التي أكّدها إمامنا ـ برؤيته الصائبة النافذة ـ وعرضها مراراً أمام شعبنا الواعي وعلمائنا الثوريين الملتزمين، وتتلخّص:

أولاً: إنّ تبجيل العلماء العظام واتّباعهم يعتبر واجباً دينياً ووطنياً وثورياً لا يمكن التغافل عنه مطلقاً.

وثانياً: إنّ خطر التحجُّر والروح الرجعية بين العلماء، أو توجُّههم ـ لا سمح الله ـ إلى منافعهم الشخصية، وتعلُّق قلوبهم بالدنيا وبهارجها المادية، واستغلال المكانة الاجتماعية.. هذا الخطر لا يقلّ عن خطر الهجوم المعادي بل يزيد عليه أضعافاً.

ومن جهة ثالثة تفرض مرحلة الثورة والاتجاه المتزايد نحو الإسلام خارج الوطن الإسلامي على العلماء أن يعملوا عبر رؤية جديدة تماماً ـ مستفيدين من معين المعارف الإسلامية الدينية الذي لا ينضب، والأسلوب الفقهي التقليدي المعهود، والأسلوب الاجتهادي الحيوي المتحرّك ـ على تمهيد السبل أمام المجتمع الإسلامي.

كما أنّ على الحوزات العلمية أن تنسجم مع احتياجات العالم اليوم عبر إيجاد تحوُّل أساسي فيها، وتوجيه برامجها نحو التجديد، وأن تسدّ الطريق تماماً أمام أيّ انحراف أو تركيب هجين من خلال الدقّة العلمية اللاّزمة، وبالتركيز على الأصول والأسس الفقهية.

وينبغي رابعاً أن يرفضوا مطلقاً أيّ اتجاه انزوائي يبتعد عن النشاط السياسي، وهو ما يريده الأعداء، وما يخالف حدود الواجب الإسلامي، ولا يسمحوا بتسلّله إلى حياتهم وإلى الحوزات العلمية، وأن يسعوا ـ بكلّ إخلاص ـ سعياً لا يعرف الكلل والملل للوقوف دائماً ـ وخصوصاً في مواقع الخطر ـ في طليعة الصفوف الشعبية، ويمزجوا العلم بالعمل، والتفقّه بالجهاد، والمعرفة بالتبليغ القولي والعملي، ويعمّروا المواقع الثلاثة (المدرسة العلمية، والمسجد، والجبهة)[١].

الواجبات والمسؤوليات التي تقع على عاتق كل إنسان

□ ما هي الواجبات والمسؤوليات التي يدعونا إليها الأنبياء، وهل يمكن تأديتها تحت كل الظروف بحيث تجعل الحاكمية للإسلام في العالم كله؟

هناك تعاليم تؤدي إلى وجود نتائج عملية وواجبات لابد وأن ينهض بعبئها الإنسان المؤمن. ولا فرق في ذلك بين أن تكون الحكومة إسلامية ومقاليد الأمور في أيدي أهل الحق، أو أن تكون الحكومة غير إسلامية ـ كما في عهد الحكومة الطاغوتية البائدة مثلاً، أو كحال الإنسان الذي يعيش بين الكفار ـ فهذه الواجبات والمسؤوليات التي سأتعرض لها بعد قليل تقع على عاتق كل إنسان في كلتا الحالتين. أما الواجبات التي تترتب على تلك الرؤية فهي:

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدّس سرّه ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

الإقرار بالعبودية والطاعة لله تعالى ونفي الأضداد

إن الواجب الأول من هذه الواجبات هو الإقرار بالعبودية والطاعة لله تعالى. ولأن العالم له مالك وخالق ومدبر، ولأننا نعتبر جزءاً من أجزاء هذا العالم، فلابد على الإنسان أن يتحلّى بالطاعة. وهذه الطاعة تعني تناسق الإنسان مع الحركة الكلية للوجود والعالم، لأنه: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[2]؛ فالسماوات والأرض وكل ذرّة في العالم كلها تلبّي الدعوة والأمر الإلهي وتسير طبقاً للقوانين التي أحكمها الله تعالى وأجراها في الوجود.

إن الإنسان إذا اتّبع القوانين والأحكام الشرعية والدينية ـ التي علّمه إيّاها الدين ـ فسيكون قد شقّ طريقه وتحرك على نسق هذه الحركة الوجودية، وسيكون تقدمه أكثر يسراً، واصطدامه بالعالم أقل، وسيكون أقرب إلى السعادة والصلاح والفلاح بالنسبة له ولسائر العالم أجمع. وبالطبع فإن المقصود بعبودية الله هو معناها الواسع والكامل، وذلك لأننا قلنا بأن التوحيد هو الإيمان بوجود الله، وهو أيضاً نفي الأضداد وإنكار تلك الألوهية والعظمة المزعومة للأصنام والأوثان المصنوعة والناس الذين يدعون لأنفسهم الألوهية، وأولئك الذين لا يفصحون عن ذلك بألسنتهم ولكنهم يمارسونه بكل وضوح في أعمالهم وسلوكهم.

فعمليّاً، هناك إذاً واجبان: الأول الإقرار بالطاعة لله تعالى والعبودية لخالق الوجود، والثاني الامتناع عن طاعة أنداد الله وعدم الانسياق لكل من

---

(١) سورة الحشر، الآية:٢٤.

(٢) سورة فصلت، الآية:١١.

يريد أن يفرض سلطانه على الإنسان في مواجهة سلطان الله. وإن ذهن الإنسان لينصرف حالاً إلى تلك القوى المادية والاستكبارية التي تمثل مصاديق ذلك، وإن كان المصداق الأبرز هو هوى النفس. إن شرط التوحيد هو معارضة هوى النفس حيث إن هوى النفس هو «**أخوف ما أخاف**»[1].

والواجب الثاني هو أن يسعى الإنسان لتحقيق التقدم والرقيّ لنفسه وللآخرين، سواء في المجال العلمي، أو الفكري، أو الروحي والأخلاقي، أو الاجتماعي والسياسي ـ أي على المستوى الاجتماعي ـ أو في المجال الاقتصادي؛ أي تحقيق الرفاهية المعيشية.

إن على الجميع أن يسعوا لتحقيق هذه الأمور: تقدم العلم وتطوره بالنسبة للجميع، وانتشار الأفكار السليمة والصحيحة، والعمل على تحقيق الرقيّ الروحي والمعنوي والأخلاقي، والتخلّق بالخلق الكريم، والتحلّي بمكارم الأخلاق، وتحقيق التقدم الاجتماعي البشري؛ ولا يقتصر هذا على الأبعاد المعنوية والعلمية والأخلاقية للفرد فحسب، بل لابد أن ينسحب على المجتمع، وكذلك لابد من العمل على تقدم الشؤون الاقتصادية والرفاهية للإنسان، والذي يعتبر من الواجبات التي من شأنها حثّ الناس على التطلّع إلى توفير ما يمكن توفيره من وسائل الرفاهية وتفجير الطاقات الحياتية للبشرية. وهذا الواجب يعدّ من الواجبات العامة التي ينبغي أن يلتزم بها الجميع، ولا تقتصر على مرحلة بعينها أو تخص حكومة بذاتها، بل إنه من الواجبات التي لابد من العمل بها أيضاً حتى في عصر الحكومات غير الإلهية.

---

(١) الكافي: ج٨ ص ٥٨. «**أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل**».

تفضيل الفلاح الأخروي على المنافع الدنيوية

وأمّا الواجب الثالث فهو تفضيل الفلاح الأخروي على المنافع الدنيوية فيما لو تعارض أحدهما مع الآخر؛ فهذا أيضاً من الواجبات العملية على كل من يؤمن بتلك الرؤية العالمية؛ فلو حدث ووجدنا أحياناً أن المنفعة الدنيوية تتقاطع مع الأهداف الأخروية، فإنه يجب على الإنسان أن يبذل قصارى جهده لجعل هذه المنفعة الدنيوية منسجمة مع الأهداف الأخروية. وأما إذا تساوى الأمران، فعلى المرء إمّا أن يغض الطرف عن إحدى المصالح ـ مادية كانت أو متعلقة بالسلطة والمنصب والشهرة وما إليها ـ أو أن يضطر لارتكاب أحد الآثام المؤدية إلى الوزر الأخروي. إلا أن الاعتقاد بتلك النظرة يحتم على الإنسان تفضيل الجانب الأخروي وترجيحه؛ أي أن يتغاضى عن تلك المصلحة وأن لا يرتكب ذلك الإثم. وهذا واجب على كل مسلم. كما أن عليه أن يبرمج نشاطاته وينظمها بالشكل الملائم لما ينبغي عليه بذله من جهود شاقة في الحياة الدنيا بلا منافاة مع الفلاح الأخروي والقيام بالواجبات التي يؤدي عدم أدائها إلى تعرض الإنسان للعذاب والوبال في الآخرة.

ضرورة الجد والسعي والمثابرة

وأمّا الواجب الرابع فهو ضرورة الجد والسعي والمثابرة؛ فالجد والكفاح هو أحد الواجبات الرئيسية على كل إنسان، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي متمثلاً في الحكومة أو السلطة، فيجب عليه أن يسعى ويجد على الدوام، وألاّ يكون نهباً للكسل والبطالة واللامبالاة.

وقد يكون المرء منشغلاً بأحد الأعمال أو متقلداً لإحدى الوظائف، ولكنه لا يشعر بالمسؤولية إزاء واجباته الأساسية، ويقول: لا علينا! فهذه

هي الانحرافات الناتجة عن الهوى والهوس، والتي لا ينبغي الركون إليها أو الخضوع لها، بل لابد من مقاومة الكسل وحبّ البطالة، وأن يزيل من طريقه الأخطار ويتحمل الصعاب والمشاقّ، فهذا واجب من الواجبات. ولا شك أن هذا الجدّ والجهاد جهاد في سبيل الله، وهو ما سأشير له في النقطة التالية.

الثقة بالنصر في كل الظروف والأحوال

وأما الواجب الخامس والأخير، فهو الثقة بالنصر في كل الظروف والأحوال، ولكن بشرط أن يكون هذا الكدح جهاداً في سبيل الله؛ أي أنه لا يحقّ لمن يعكف على الكدح والجهاد أن يتسلّل اليأس إلى نفسه، وذلك لأن النصر بانتظاره بالتأكيد. وأمّا تلك الحالات التي لم يكن النصر حليفه فيها، فلأن الجهاد لم يكن في سبيل الله، أو لربما لم يكن ثمة جهاد في الأصل. فما هو شرط الجهاد في سبيل الله؟ هو أن يكون الإنسان مؤمناً بسبيل الله وعلى علم به حتى يستطيع الجهاد فيه.

إن هذه الواجبات تقع على عاتق الإنسان بصفته فرداً، وعلى كاهل الجماعة بصفتها حكومة. وكما أسلفت فإن ذلك لا يتعلق فقط بمرحلة السلطة والحكومة التي يمسك بزمامها الآن جماعة من المؤمنين بالله والإسلام، بل إنها واجباتنا دائماً، وحتى عندما كانت مقاليد الأمور بيد الأعداء، والطاغوت، والمفسدين في الأرض، فقد كان البعض يقوم بها والبعض الآخر يهملها مع اختلاف درجات ومستويات الأداء.

وأمّا الآن فهذه الواجبات تقع على عاتق المسلمين كافة مع التفاوت في تحمل المسؤوليات بالطبع. لقد كان الواجب الأساس على كافة الأنبياء والأئمة والأولياء هو أن يبينوا للناس هذه الواجبات، ويستوي الأمر في

ذلك بين المراحل التي يتقلدون فيها الحكم أو التي يعجزون فيها عن ذلك؛ فعند استتباب الأمور كانوا يأمرون الناس بالمجاهدة والجهاد وإقرار الحكم واستخدام الأساليب الإدارية الملائمة، ولقد جاهد الجميع وقاوموا، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[١].

إن الجهاد والنضال السياسي ومواجهة الأعداء لم يشرّع في الإسلام لأول مرة في التاريخ، بل كان في شرائع الأنبياء السابقين أيضاً ـ الأنبياء العظام الإلهيين منذ زمن إبراهيم وفيما بعد ـ ولربما كان مشروعاً قبل إبراهيم عليه السلام كذلك، وهو ما لا أدريه.

وعلى هذا فإن هذه الواجبات هي الواجبات التي يدعونا إليها الأنبياء[٢].

عالمية الإسلام

□ إن النظام الإسلامي يقوم على الفكر والايدولوجيا الإسلامية ومن المسلم أنه يجب أن يكون شمولي النظرة وعالمي، ومع أن للعالمية عدة مقومات فما هي في نظركم تلك المقومات التي تجعل النظام الإسلامي قابل للعالمية في التطبيق؟

إن هذه المنظومة المعرفية التي نستمد منها الخطوط الأصلية لمنهجنا وواجباتنا ـ أي النظرة الكونية والفكرية للإسلام ـ ذات فصول متعددة، كلها لها تأثيرات مختلفة في سلوك المرء فرداً كان أو حكومة، وسأكتفي هنا بعرض خمس من هذه النقاط المؤثرة والمهمة هنا:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٢) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤٢١/٩/٥هـق ـ ٢٠٠٠/١٢/٢م.

١ـ التوحيد:

والمقصود بالتوحيد هو الإيمان بأن هـذا التركيـب المعقـد والعجيـب والمدهش جداً والمحكم للكائنات وعـالم الخلـق، مـن مجـرات وأفـلاك وحفر سماوية عظيمة وكرات لا عدّ لها ولا حـساب وملايـين المنظومـات الشمسية إلى خلايا البدن الصغيرة وذرات المـواد الكيميائيـة ـ تلـك التـي تتميز بنظم دقيق في هذا التركيب العظيم والمتنوع والمعقد الذي اسـتنبطت منه آلاف القوانين، حيث إن الأنظمة الثابتة يمكن أن تستنبط منها القـوانين التكوينية والثابتة ـ كلّها من صنع وإبداع مركز واحد وتدبير واحـد وقـدرة واحدة، ولم تخلق بمحض الصدفة. وهذا الإيمان هو أمر يقبل به كـل عقـل سليم وكل إنسان عاقل ومفكر لا يتـسم بـالاهتزاز الفكـري أو العجلـة فـي اتخاذ القرار أو الحكم المسبق على الأشياء.

إن هذا الفكر وهذا التدبير وهذه الحكمة والقدرة العظيمـة اللامتناهيـة والتي لا توصف، تلك التي أبدعت هذا التركيب العجيب والمعقـد، ليـست صنماً من صنع الإنسان، ولا بشراً عاجزاً يدعي الإلوهية، ولا شخصية رمزية أو أسطورية، وإنّما هي ذات الواحد الأحد المقتـدر الأزلـي الـذي تـسميه الأديان (إلهاً) وتستدل عليه بآثاره.

إذاً فلابد من إثبات أن هذه القدرة والإرادة والدقة الموجودة وراء هذه الهندسة العظيمة والمعقـدة، وإثبـات أن ذلـك المهنـدس المنقطـع النظيـر والمستحيل على الوصف لا يـشبه تلـك الأشـياء التافهـة المـستعملة التـي يصنعها الإنسان بنفسه أو على صورته والتي تتسم بصفة الـزوال كـصانعها، بل ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ

الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

إن كافة الأديان تشترك فيما بينها في هذه النظرة سواء الأديان القديمة، أو الإبراهيمية، أو ما قبل الإبراهيمية، وحتى تلك الأديان الإلحادية الهندوسية الموجودة حالياً. وإن الذي يقرأ (الفيدا)[٢] يجد فيها عرفاناً توحيدياً خالصاً تزخر به كلماتها، ممّا يدل على أن عقيدتهم كانت تنبع من مصدر شفاف وزلال.

إذاً فالتوحيد يمثل الركن الأساس لفكر ونظرة ورؤية هذا الإسلام الذي نريد أن نقيم على دعائمه هذه الحكومة وهذا النظام.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٣٢.

(٢) الفيدا: اسم عام يطلق على الكتب المقدسة القديمة للمعتقدات الهندوسية. تحتوي الفيدا على الأساسيات المذهبية التي تُعنى بالآلهة الهندوسية. وتقدم هذه الكتب كذلك أفكاراً فلسفية عن طبيعة البرهمي، روح الكون العليا وجوهره في المعتقدات الهندوسية. وكلمة فيدا تعني المعرفة. تضم الفيدا أربعة أسفار مرتبة بحيث تبدأ بالأقدم وهي: ريج فيدا، ساما فيدا، ياجور فيدا، الآثارفا فيدا. وينقسم كل سفر بدوره إلى أربعة أجزاء: ١ـ السامهيتا ويتكون من التراتيل والصلوات المكتوبة نظماً، ٢ـ البراهمانا، وتتعامل بصفة خاصة بأفكار عن البرهمي والطقوس والمعتقدات، ٣ـ أرانيياس، وهي مشتقة من التأمل في الغابة، ٤ـ أبا نيشاد ويُعنى بالأفكار الفلسفية.تم تأليف الفيدا خلال الألف عام التي سبقت ميلاد المسيح عليه السلام. ظلّت بعض العائلات الهندوسية الموثوق بها لدى الهندوس لمئات السنين تحفظ أجزاء من الفيدا عن ظهر قلب وترويها شفاهة لمن بعدها من الأجيال. ويسمح القانون الهندوسي لأشخاص بعينهم بسماع الفيدا المروية، مما أحاط هذه الأعمال بشيء من الغموض، ومع ذلك فقد تغلغلت أفكار الفيدا في الثقافة الهندية؛ ومن المحتمل أن تكون الفيدا قد كُتبت أوّل مرة في زمن ميلاد المسيح عليه السلام.

٢ـ تكريم الإنسان:

أو ما يمكن أن نسميه محورية الإنسان. ولا شك أن محورية الإنسان في الفكر الإسلامي يختلف تماماً عن محورية الإنسان في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فهذا شيء وذلك شيء آخر؛ فذلك يسمى أيضاً بمحورية الإنسان، ولكن لا وجه للتشابه إلاّ في الاسم. إن محورية الإنسان في الإسلام لا يراد بها محورية الإنسان في أوروبا بتاتاً، فهي شيء آخر ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1]؛ أي إن الذي يقرأ القرآن ونهج البلاغة والمصنفات الدينية سيشعر جيداً بهذا الانطباع الذي يوحي بأن كافة هذا الكون وهذا الوجود الواسع يقوم على محور الوجود الإنساني كما يرى الإسلام، فهذا هو محورية الإنسان.

لقد ورد في آيات كثيرة أن الله تعالى سخر لكم الشمس، وسخر لكم القمر، وسخر لكم البحر، ولكن هناك آيتان في القرآن الكريم توضحان هذا التعبير الذي أسلفته؛ أي: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. فما المراد بالتسخير؟ إنه يعني التسخير بالقوة لا بالفعل، حيث إنكم مسخرون بالفعل للسماوات والأرض ولا تستطيعون التأثير عليهما كما ترون، وأمّا بالقوة فإنكم خلقتم بشكل وخلقت عوالم الوجود والكائنات بشكل آخر، بحيث تكون مسخرة لكم. فما معنى مسخرة؟ أي في قبضة يدكم وبإمكانكم استخدامها والانتفاع بها على الوجه الأفضل. وهذا يدل على أن هذا المخلوق الذي سخر الله له السماوات والأرض والكواكب والشمس والقمر لابد وأن يكون عزيزاً ومكرماً جداً من حيث الإبداع الإلهي، وهو ما

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1]. فهذا التكريم الذي صرحت به الآية هو تكريم يشمل مرحلة التشريع كما يشمل مرحلة التكوين؛ بمعنى التكريم التكويني والتكريم التشريعي بتلك الأمور المميزة والمنصوص عليها للإنسان في الحكومة الإسلامية والنظام الإسلامي؛ أي أن الأسس هي أسس إنسانية تماماً.

٣ـ حياة الآخرة:

من النقاط الأصلية والأساسية في الرؤية الإسلامية هي مسألة استمرار الحياة وديمومتها بعد الموت؛ أي إن الحياة لا تنتهي بالموت. وهذا المعنى يعتبر من الأصول الفكرية في الإسلام ـ بل وفي كافة الأديان الإلهية ـ وله تأثير كبير. وكما قلت فإن كافة هذه الأصول الفكرية ذات أثر في تنظيم العلاقات الاجتماعية وترسيخ قواعد الحكومة الإسلامية وفي إدارة المجتمع والحياة والعالم. إننا سوف ندخل مرحلة جديدة بعد الموت لا أن يفنى الإنسان ويتعرض للإبادة التامة، ثم ينتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى، حيث تقوم القيامة ويأتي يوم الدين والحساب وما إلى ذلك من مشاهد البعث والنشور.

٤ـ الطاقة الإنسانية اللامحدودة لبلوغ الكمال:

من النقاط الأساسية في هذا الفكر عبارة عن تلك الطاقة اللامحدودة التي يتمتع بها الإنسان في توفير كل ما يلزمه من أجل الوصول إلى الكمال؛ فلدى الإنسان قابلية الوصول إلى ذروة كمال حياة الممكنات، وهو ما تفتقر إليه بقية المخلوقات الأخرى.

---

(١) سورة الإسراء، الآية:٧٠.

ومعنى ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في قوله تعالى في الآية الشريفة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] ليس المراد به التناسق بين الرأس والقلب والعين والبدن مثلاً في خلقة الإنسان، فهذا ما لا يقتصر على الإنسان فحسب، بل إن الحيوانات الأخرى لتتميز به أيضاً، ولكن ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يعني أفضل وأحسن مقياس؛ أي ذلك المقياس الذي لا يقف عند حد أو نهاية في نموّه وتطوره، فهو يذهب في عالم الوجود إلى حيث ما لا يوجد ما هو أبعد من ذلك؛ أي يمكنه أن يرتقي ليصبح أعلى مرتبة من الملائكة وغيرها. وليس بمقدور الإنسان أن يطوي هذا المسير دون استخدام إمكانات عالم المادة، وهذا من المسلمات؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[2]. وعلى هذا الأساس فإن حركة التعالي والتكامل الإنساني ليست في فراغ، بل عن طريق استخدام الإمكانيات المادية؛ أي لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل ينطلقان معاً؛ بمعنى أن ازدهار الإنسان يتوازى مع ازدهار عالم المادة وعالم الطبيعة، حيث يؤثر أحدهما في تألقّ الآخر وازدهاره، ممّا يؤدي إلى تحولات وتطورات مدهشة.

٥ـ سير العالم نحو الحاكمية الحقة:

وأما النقطة الأخيرة في هذا المجال من الفكر الإسلامي فهي أن الإسلام يرى أن العالم يسير نحو الحاكمية الحقّة وصوب الصلاح لا محالة. وكما أشرت سابقاً، وهآنذا أشير الآن أيضاً مجرد إشارة لأن المقام لا يتحمل التفصيل، فإن كافة الأنبياء والأولياء قد جاؤوا ليقودوا الناس إلى هذا الطريق الرحب الذي لو وضعوا أقدامهم عليه لتفتحت طاقاتهم تلقائياً،

---

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

وإن الأنبياء والأولياء قد أرشدوا الناس إلى هذا الطريق الأصلي بعد إنقاذهم من سبل الضلال ودروبه ووديانه وصحاريه وغاباته، ولكن البشرية لم تخطُ الخطوة الأولى بعد على هذا الطريق المستقيم ولم تصل إلى نقطة البداية، فهذا ما سوف يحدث في زمن ولي العصر ﴿عجل الله فرجه﴾، وإن كانت كافة هذه المساعي والجهود قد بنيت على أساس أن نهاية هذا العالم هي نهاية غلبة الصلاح، ولربما كان ذلك عاجلاً، أو آجلاً، ولكنه حادث لا محالة. وكما سيقهر الصلاح الفساد، فإن قوى الخير ستقهر قوى الشر. وهذه رؤية إسلامية لا ريب فيها[١].

الغدير والوحدة الإسلامية

□ إننا نحن الشيعة نختلف عن باقي الفرق الإسلامية الأخرى في مسألة فهمنا لما صدر من قبل الرسول الأعظم ﷺ في غدير خم ومن هنا أصبحنا نعتقد بشكل معين للحكم لا يعتقد به غيرنا، فكيف يمكن الاستفادة من هذه الحادثة في طرح نفس المفهوم الغديري ولكن في عصر الغيبة؟ وهل يؤثر ذلك سلباً على مشروع الوحدة مع باقي المسلمين؟

إنّ بإمكان الإنسان أن يُلقي نظرة على واقعة الغدير بأبعادها المختلفة، ويستفيد منها فكريّاً ومعنوياً.

فالبعد الأوّل: هو أصل مسألة الولاية، التي هي امتداد للنبوّة، وهذه مسألة مهمّة.

فالنبوّة هي إبلاغ النداء الإلهي لأبناء البشر، وتحقّق المشيئة الإلهيّة بواسطة الشخص المبعوث والمصطفى من الله في فترة زمنية معيّنة.

---

(١)حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤٢١/٩/٥هـق ـ ٢٠٠٠/١٢/٢م.

وبديهي أنّ هذه البرهة تمرّ وتنتهي ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، لكن هذه الحادثة الإلهيّة والمعنويّة لا تنقطع بوفاة النبي، بل يبقى للحادثة بُعدان:

أحدهما: هو الاقتدار الإلهي، وحاكميّة الدِّين والمشيئة الإلهيّة بين أبناء البشر؛ لأنّ الأنبياء كانوا مظهراً من مظاهر الاقتدار الإلهي بين البشر. فلم يأت الأنبياء لوعظ الناس فقط، بل الوعظ والتبليغ يعدّان جانباً من عمل الأنبياء. فالأنبياء جميعهم بُعثوا لبناء مجتمع أساسه القيم الإلهيّة، أي التأثير في واقع حياة الناس، فتمكّن بعضهم وبلغ به جهاده إلى نتيجة، والبعض الآخر لم يتمكّن ولم يصل إلى نتيجة. لكن هذا البعد في حياة النبيّ ﷺ هو بُعد أساسي. فالنبيّ أضحى بهذا البعد مظهراً من مظاهر القدرة الإلهيّة على الأرض وبين أبناء البشر، ومظهراً من مظاهر الحاكميّة والولاية الإلهيّة بين الناس. وهذا بعد ممتدّ ليُعْلَم أنّ الدين لا يمكن أن يترك أثره في برهة زمنيّة أو فترة تاريخيّة،إلاّ بوجود هذه الزعامة والحاكميّة والاقتدار فيه.

والآخر: ـ وهو على نفس القدر من الأهمّية ـ أنّه إذا كانت هذه الحاكميّة لا تنقطع بل تمتدّ بعد وفاة النبيّ ﷺ، فلا يمكن للحاكميّة أن تخلو من الأبعاد المعنويّة للنبي ﷺ. صحيح أنّ للنبيّ ﷺ مقام عظيم واستثنائي، ولا يقاس به أحد، لكن يجب أن يكون امتداد وجوده متناسب مع وجوده، ويجب الحفاظ على القيم الموجودة في الوجود المقدّس للنبي ﷺ في من هو امتداد لوجوده، طبعاً بقدر ظرفيّة ذلك الشخص. وهذا الأمر لم يتحقّق ويتبلور في تلك الفترة وذلك الفصل المهمّ من تاريخ النبوّة والولاية ـ والّذي وجب في من هو امتداد للنبي ﷺ أن يكون معصوماً وإلاّ وقع الانحراف ـ سوى في الوجود المقدّس لأمير المؤمنين عليه السلام.

(١) سورة الزمر، الآية:٣٠.

إذن حادثة الغدير قد سجّلت هذين الأمرين معاً في تاريخ الإسلام. وهذا بُعد من قضية الغدير، والبعد الآخر هو شخصية أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، والبعد الثالث هو اهتمام النبيّ الأكرم ﷺ بقضايا ما بعد وفاته. هذه رؤى وأبعاد مختلفة يمكن مناقشة واقعة الغدير من خلالها.

وما أراه مناسباً أن أخاطبكم به هنا ـ أيّها الإخوة والأخوات مسؤولي البلاد، وكذا أخاطب شعبنا العزيز باختلاف مذاهبه، والأمة الإسلاميّة ـ هو أنّ واقعة الغدير حقيقة وقعت ولها مفهوم قد يدركه البعض وبصورة كاملة وقد لا يدركه الآخرون، ونحن ـ كشيعة ـ نعلم أنّ معنى الغدير هو ذلك الشيء الّذي قلناه وكرّرناه وحقّقنا وكتبنا حوله وسجّلناه في قلوبنا وأرواحنا طوال ١٤٠٠عاماً، ولسائر الفرق الإسلاميّة آراؤهم الخاصّة. ويجب أن يلتفت المجتمع الإيراني وجميع الشيعة المنتشرين في أرجاء المعمورة إلى أمرين متلازمين في هذه القضيّة.

الأول: هو أنّ الاعتقاد بالغدير وبالولاية والإمامة ـ الّذي يعتبر الركن الأساس لمذهب الشيعة ـ لا يجب أن يكون ـ كسائر المباحث الكلاميّة المهمّة ـ سبباً للاختلاف والفرقة بين المسلمين. فعلى الشيعة وعلى سائر الفرق الإسلاميّة أن لا يخلقوا في أنفسهم تحسّساً يؤدّي إلى الفرقة والاختلاف بينهم، فهذا ما يريده العدو. إنّ أعداء الإسلام يسعون لاستغلال القضايا الصغيرة الخاصّة بكلّ فرقة وجماعة إسلاميّة لبثّ الفرقة بين المسلمين ـ لأنّ وسائل بثّ الفرقة متوفّرة في كلّ مكان ـ ، فكيف بقضيّة عظيمة ومهمّة كواقعة الغدير، والبعض ـ في الحقيقة ـ ينخدع ويصبح ألعوبة بيد العدو، فالأمة الإسلاميّة بحاجة إلى الوحدة اليوم حيث نقاط الاجتماع والاتحاد كثيرة.

دلالات حديث الغدير

الأمر الثاني: هو أصل مفهوم حديث وحادثة الغدير، حيث يجب أن لا يغفل عنه. وإنّنا نوصي جميع الفرق الإسلاميّة ـ لا أن نقول للشيعة فقط لا تنسوا الغدير ـ أن لا تنسوا أصولكم، لكن نؤكّد في الوقت نفسه للشيعة أن يعتمدوا ويتّكئوا على فكر الغدير، فهو فكر راق ونيِّر،فلا يتصوّر أنّ مناداتنا بالوحدة الإسلاميّة ـ رغم أنّنا قد وقفنا بكلّ قوّة واقتدار أمام أعداء الوحدة الإسلاميّة ـ يعني نسيان هذا المفهوم المهم النيّر الأصيل المنقذ للإسلام، أي مفهوم الولاية والغدير، فإذا توجّهنا إلى مسألة الغدير بالبُعدين اللّذين أشرت إليهما في خطابي، ففي ذلك نجاة العالم الإسلامي.

إنّ البعض يتصوّر أنّ بإمكانه أن يكون مسلماً دون العمل بالأحكام الإسلاميّة، وهذا معنى فصل الدّين عن السياسة، أي كونوا مسلمين بالاسم لكن لا تعملوا بالأحكام الإسلاميّة، أي النظام المصرفي، والنظام الاقتصادي وتركيبة الحكومة والعلاقات الفرديّة والاجتماعيّة، كلّ هذه تدار طبقاً للقوانين غير الإسلامية، بل المخالفة للإسلام في المناطق الّتي يحكمها القانون، وطبقاً لإرادة ورغبة إنسان قاصر ناقص في المناطق الّتي لا يحكمها القانون كبعض الدول الإسلاميّة اليوم. كيف يمكن تصوّر أناس مسلمين لا يفهمون من الإسلام سوى الصلاة والصوم والطهارة والنجاسة فقط، وتكون شؤون الإسلام الرئيسيّة كإدارة نظام الحياة، وقضايا الاقتصاد والعلاقات الثقافيّة والاجتماعيّة والتربية والتعليم كلّها غير إسلاميّة، بل تصدر من قوانين غير إسلاميّة أو عن رغبات فرديّة وغير إسلاميّة، فيجب أن يحكم الإسلام في المجتمعات الإسلاميّة. إذن كان للغدير هذا النداء

وهذه الرسالة، فإنّ الكثير من المجتمعات تتلقّى الضربات اليوم جرّاء عدم اعتقادها بهذه القضيّة.

والنقطة الثانية: هي أنّ بعض الدول الّتي تتظاهر بتطبيق أحكام الإسلام بنحو ما، وتستند إلى آية أو رواية لتمرير شؤونها وتستأجر بعض المعمّمين ليفتون ويديرون أعمالها، فهذه الدول وإن كان فيها شي من حاكمية الإسلام ـ ولو ظاهريّاً ـ لكن هذه الحاكميّة غير مقرونة بالقيم والمعايير النبويّة والولائيّة: لا العلم، ولا التقوى، ولا العدالة، ولا العبوديّة للّه، ولا الخشية من الله، ولا حالة التضرّع والخضوع «ترتعد فرائصه في المحراب» الّتي هي سيرة الأنبياء والأولياء، الّذين كانوا قدوةً للجميع ومقرّبين إلى الله، بل هي بعيدة جداً عن الدِّين ـ إن لم نأت بتعابير أشدّ وأوضح ـ.

إذن الغدير مفهوم راق ومنقذ، والولاية في الإسلام مفهوم سام، فليُعْلَم ذلك وليَفْخر الشيعة بذلك، ويحاول غير الشيعة معرفته[1].

---

(١) كلمة القائد أمام المسؤولين في البلاد، بمناسبة عيد الغدير الأغرّ، في تاريخ: ١٤١٥/١٢/١٨هـق، ١٩٩٥/٥/١٧م.

شروط تولي المسؤولية

□ ما هي أهم الأخطار والآفات التي يواجهها الحاكم في البلاد الإسلامية وما هو الحل الذي يطرحه الإسلام لهذه المعضلة؟

ثمة آفتان تهددان الدين والسياسة معاً: إحداهما تتمثل في تلوث دين المجتمع أو الفرد بالانحراف أو اللامبالاة أو التحجر والجمود أو تجاهل رسالة العقل أو الالتقاط وما شابه ذلك؛ أما الآفة الأخرى فهي تفسير الدين بحدود الحياة الفردية، فيهمل مسرح الحياة الجمعية للبشر على سعتها أو يجري السكوت إزاءها والإنزواء عنها.

وهناك خطران يهددان السياسة أيضاً: أحدهما ابتعاد السياسة عن مكارم الأخلاق وخواؤها من المعنويات والفضيلة مما يعني غلبة الأساليب الشيطانية على السياسة واستيلاء الأهواء النفسية للأفراد واستحواذ مصالح الطبقات المتجبرة والثرية في المجتمعات عليها وجرفها بهذا الاتجاه أو ذاك. وإذا ضربت هذه الآفة السياسة فحينها يعتري الخلل والمرض ميدان الحياة الاجتماعية للبشر.

والآفة الأخرى التي تصيب السياسة هي استيلاء ذوي النظرة الضيقة والصبيانيين والضعفاء من الناس على السياسة وخروجها من الأيدي التي تتميّز باقتدارها وسقوطها بأيد تعوزها الكفاءة[1].

---

(١) حديث القائد في حرم الإمام الرضا عليه السلام، ١٤٢٢/١٢/١٨ هق، ٢٠٠٢/٢/١٨م.

سمات الحاكم

□ ما هو الحل يا ترى؟

إن السبيل الأمثل للحل يتمثل في وقوف من لا وجود لهاتين الآفتين في دينهم وسياستهم على رأس السياسة وإدارة شؤون المجتمعات؛ أي أن يتصدى لإدارة شؤون البشرية من يتميزون بتدينهم ومعنوياتهم وسمو فكرهم الديني، محصنين من الانحراف والخطل والالتقاط واعوجاج الرؤية في الدين، بعيدين عن التحجر والجمود والعجز عن فهم الدين، وأن لا يجعلوا من الدين ألعوبة يقضون بها وطر حياتهم؛ أكفاء مدبّرين شجعاناً على الصعيد السياسي؛ لا ينأون بالسياسة عن المعنويات والأخلاق والفضيلة؛ فإذا ما أمسك أمثال هؤلاء بزمام الأمور في أي مجتمع إذ ذاك سيظل المجتمع في مأمن إزاء الكثير من الأخطار التي ربما يتعرض لها. فأين تكمن ذروة هذه المزايا؟ إنها حيث يقف الإنسان المعصوم من الخطأ والهفوات على رأس السلطة السياسية والدينية، وهو ما يعني الإمام.

إن الإمام المعصوم إنسان رفيع؛ قلبه من الناحية الدينية يمثل مرآة مضيئة لأنوار الهداية الإلهية، وروحه تتصل بمنهل الوحي، خالصة هدايته؛ ومن ناحية الأخلاق الإنسانية فإن سيرته وأخلاقه ممزوجتان بالفضيلة، لا سبيل للأهواء النفسية إليه؛ لا تغلبه المعصية، ولا يغلِّب الشهوات والنزوات على نفسه؛ ولا يبعده الغضب والسخط عن صراط الله.

أما سياسياً، فله رؤية ثاقبة بنحو يرقب بعينه الفاحصة أخفى التحركات وأدق الأحداث في حياة المجتمع، وكما يقول أمير المؤمنين: **«وَاللهِ لاَ أَكُونُ**

كالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ»[١]؛ مقدام ذو قوة روحية ومعنوية في مواجهة عواصف الحياة والوقائع التي ليست على دينه، فيردد لأجلها **«فَلَوْ أَنَّ امْرأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرا»**[٢].

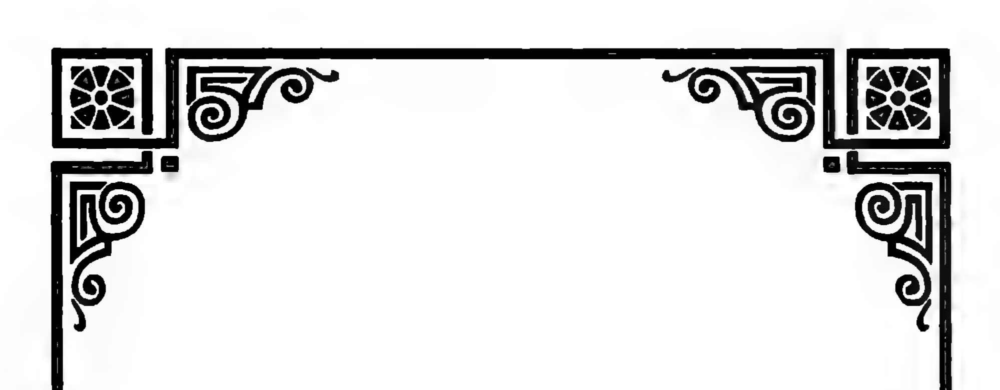
لقد كان أمير المؤمنين ﷺ شجاعاً في مواجهته للأخطار بالمستوى الذي يصرح بعدم قدرة أي أحد على مواجهة الفتنة التي فقأ عينها ـ ومراده بذلك فتنة الخوارج أو فتنة الناكثين ـ فتلك المعنويات والتدين والأخلاق والفضائل من ناحية، وتلك الرؤية الثاقبة والشجاعة والتضحية والمشاعر الإنسانية المرهفة إلى جانب الصلابة والقوة المعنوية والروحية في ناحية أخرى؛ إنما منشؤها جميعاً العصمة؛ لأن الله سبحانه قد اجتباه لمنزلة العصمة ولا منفذ للمعصية والخطأ إلى عمله؛ فإذا ما وقف مثل هذا الإنسان على هرم المجتمع تحقق بذلك غاية ما تنشده الرسالات بأجمعها؛ هذا هو معنى الغدير، وهذا ما تحقق في الغدير[٣].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة:٦.

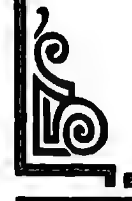
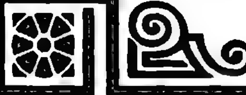
(٢) نهج البلاغة الخطبة: ٢٧.

(٣) حديث القائد في حرم الإمام الرضا ﷺ، ١٤٢٢/١٢/١٨ هـ ق، ٢٠٠٢/٢/١٨م.



القسم الثاني

النظام الإسلامي



الاستقلال النظري للنظام

□ ما هو الأساس النظري الذي قامت عليه الجمهورية الإسلامية ولماذا لم تستلهموا بعض النظريات من الأنظمة التي قامت في الشرق أو الغرب؟

إن الثورة تعد بمثابة تحوّل أساسي قائم على سلسلة من القيم فضلاً عن كونها حركة تقدّمية؛ فالذي حدث في بلدنا هو ثورة إسلامية، وتحوّل عظيم في الأركان السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، وحركة إلى الأمام، وخطوة نحو تقدّم البلاد والجماهير. إننا لم نحذُ حذو الشرق أو الغرب في هذا النظام المنبثق عن الثورة، وهذه ملاحظة بالغة الأهمية؛ فلم يكن لنا أن نتأسى بهؤلاء وما لديهم من أنظمة نعدّها خاطئة ومخالفة لمصالح البشرية، ولم يكن الأمر متعلقاً بتعصّب مذهبي أو ديني أو جغرافي، بل كان منطلقاً من أن الأسس التي تقوم عليها الأنظمة الشرقية الشيوعية ـ والتي لم يعد لها وجود اليوم ـ وكذلك الأنظمة الغربية، هي أسس خاطئة، ولهذا فلم نستطع ولم نقبل بمحاكاتها، حيث إن لدينا قيماً أخرى.

وأمّا السبب في عدم إقتدائنا بهذين النظامين العالميين ـ الشرقي الشيوعي، والغربي الرأسمالي ـ فهو أنهما نظامان باطلان؛ لقد كانت الأنظمة الشيوعية أنظمة مستبدة ترفع شعار الحكومات الشعبية بينما هي

ملكية في الواقع! ومع أنها كانت تدّعي معارضة الملكية، فإنها لم تكن سوى ملكية من الناحية العملية، فلقد كانت في غاية الاستبداد، وكانت الحكومة تسيطر تماماً على الاقتصاد والثقافة والسياسة والنشاطات الاجتماعية المختلفة وسوى ذلك ممّا يبدو للعيان. وكانت الشعوب لا تملك من أمر نفسها شيئاً في ظل الأنظمة الشرقية.

وإنني شاهدت ذلك عن قرب لدى زيارتي لتلك البلدان وهي في طريقها للاضمحلال. ومع أنه كانت توجد بعض الحكومات التي تُسمّى بالعمّالية في بعض البلدان المتخلفة والفقيرة، إلاّ أنها كانت حكومات ملكية في حقيقة الأمر تكرر نفس ما كانت تقوم به البلاطات الملكية البائدة من أخطاء! فلم تكن ثمّة انتخابات في تلك البلدان، ولم يكن هناك صوت للشعب والجماهير، ولكنهم كانوا يسمّون أنفسهم بالديمقراطيين ويدّعون الشعبيّة! إن الشعوب كانت غائبة تماماً؛ حيث كانت تابعة للحكومات بصفة مطلقة من الناحية الاقتصادية وكذلك من الناحية الثقافية! وقد كان واضحاً أن مثل تلك الأنظمة محكومة بالزوال. ومع أنها استطاعت أن تجذب إليها بعض جموع الشباب في العالم وأن تقيم بعض الحكومات بسبب ما كانت ترفعه من شعارات برّاقة وجذابة، إلاّ أنها لم يُقدّر لها الدوام والاستمرار، حيث شاهدنا ما آلت إليه من مصير وحُكم عليها بالزوال بعد عدة عقود من الزمن. وكان من الطبيعي بالنسبة لنا ألاّ نقتدي بتلك الأنظمة؛ فعندما انتصرت ثورتنا ـ قبل واحد وعشرين عاماً ـ لم تكن هناك ثورة في العالم إلاّ وقد وضعت تلك الحكومات الشرقية نُصب أعينها، سواء كانت تلك الحكومات تسمّى بالماركسية أو بالاشتراكية في أحسن أحوالها؛ لكن الإسلام والشعب الإيراني وقائده قد رفضوا تلك الأنظمة ووضعوها جانباً.

والأمر كذلك بالنسبة للغرب، حيث لم نرغب ولا يمكن أن نرى فيه أسوة لنا؛ فقد كانت لدى الغرب إنجازات، ولكنها كانت على حساب أشياء أخرى تفوقها أهمية. إن الغرب كان لديه العلم، ولم تكن لديه الأخلاق، وكانت لديه الثروة دون العدالة، وكانت لديه التكنولوجيا الصناعية، ولكنها كانت تسير بموازاة تخريب الطبيعة وأسر وعبودية الإنسان، وكان يتشدّق بالديمقراطية والشعبية، ولكنه كان رأسماليّاً في الواقع ولا يمتّ للشعبية بشيء، ومازال الأمر كذلك. وإنني لا أزعم ذلك ولا أدّعيه، ولا أقوله نقلاً عن كاتب مسلم متعصّب، بل أقوله نقلاً عن الغربيين أنفسهم، فما يحدث الآن في الغرب، وفي أمريكا نفسها، مما يسمّى بالديمقراطية والانتخابات في الظاهر ليس سوى حكم الرأسمالية في الباطن. وإنني لا أرغب في التصريح بأسماء كتّابهم أو كتبهم، ولكنّ الكتّاب الأمريكيين ومَن هناك من المحللين السياسيين يقولون بأن انتخابات البلديات ومجلس النواب ورئاسة الجمهورية ليست سوى مظاهر مصطنعة.

إن الذي يلقي نظرة على ذلك الواقع سيجد أن صوت الشعب ليس له أدنى دور تقريباً، وأن الذي يقول الكلمة الأخيرة هو المال ورؤوس الأموال ووسائل الدعاية الحديثة جنباً إلى جنب الخداع واستلاب مشاعر البسطاء من جماهير الشعب! فلا يوجد من الديمقراطية سوى اسمها دون رسمها. لقد كان الغرب يتمتع بالتقدم التقني والعلمي، ولكنه لم يعد سوَى وسيلة لاستثمار الشعوب الأخرى. فبمجرد تحقيق الغربيين لأيّ تقدم علمي فإنهم لا يلبثون إلاّ ويحولونه إلى سيطرة سياسية واقتصادية فينتشرون شرقاً وغرباً بحثاً عن السيطرة على ما يمكنهم من البلدان واستثمارها. لقد فعلوا ذلك بلا هوادة، باستثناء ما عجزوا عن إخضاعه لسيطرتهم! كما أنه كانت ثمّة حرية

في الغرب، لكنها كانت مصحوبة بـالظلم والتسيّب والانحـلال. إن الـصحف هناك تتحدث بحرية عن كل شيء، لكن إلى من تنتمي؟ هـل تنتمـي إلـى الشعب؟ طبعاً لا.. فليذهب كل من يريد ليـشاهد الحقيقـة..اذكـروا لـي اسـم صحيفة واحدة فـي كـل أوروبـا وأمريكـا لا تتعلّـق بالرأسـماليين! إن حريـة الصحافة عنـدهم تعنـي حريـة أصـحاب رؤوس الأمـوال لقـول مـا يريـدون وتخريب ما يرغبون وفـرض أنفـسهم كمـا يطمحـون وتوجيـه الـرأي العـام حسب ما يرسمون! وهذه ليست حرية؛ فلو برز من يتحـدث ضـد الـصهيونية ـ كالكاتب الفرنسي الذي ألّفّ عـدة كتـب ضـد الـصهيونية وفنّـد مـزاعمهم حول أفران الغاز وحرق اليهود فيها[1] ـ فإنهم يعاملونـه بأسـلوب آخـر! ولـو كان ثمّة من لا يرتبط بأصـحاب رؤوس الأمـوال ولا ينتمـي لمراكـز الـسلطة الرأسمالية، فإنه لن يجد مجالاً للكلام، ولن يصل ما يقوله إلى الأسـماع، ولـن تتوفّر له حرية الرأي والتعبير! نعم، فالرأسماليون لديهم الحريـة فـي قـول مـا يريدون عن طريق ما يمتلكونه من صحف وإذاعات وتلفـزة! وهـذه حريـة لا قيمة لها، لأنها ضد القيم؛ فالحرية لديهم تعني جـرّ الجمـاهير نحـو الانحـلال وعدم الإيمان، وتعني إشعال فتيل الحروب حيثما يـشاؤون، وفـرض الـسلام أينما يرغبون، وتسويق الأسلحة كما يتطلّعون، وهذه هي الحرية!

---

(١) هو روجيه غارودي ولد في (١٧ يوليو ١٩١٣م) في مرسيليا، فرنسا، التحق بالجيش الفرنسي عام (١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٠) تم اعتقاله في المعسكر النازي في الجزائر حتى أطلـق سراحه عام (١٩٤٣م) بسبب نقده الحاد للإتحاد السوفيتي، كـان شـيوعياً متعـصباً فـي شـبابه وكان في الحزب الشيوعي حتى طرد منه عام (١٩٧٠م)، اعتنق الإسـلام عـام (١٩٨٢م)، كـان معادياً للرأسمالية والإمبريالية طوال حياتـه. حـوكم فـي فرنـسا عـام (١٩٩٨م) بتهمـة إنكـار الهولوكوست (المحرقة اليهودية).

لقد كان من الطبيعي لشعب ضحّى بدمه من أجل الثورة التي قام بها بقيادة عالم رباني ينوب عن الأنبياء أن يتحاشى الإقتداء بالأنظمة الغربية. إذاً فنحن لم ننهج نهج الأنظمة الشرقية ولا الغربية، بل اقتدينا بالإسلام واختار شعبنا النظام الإسلامي طبقاً لما يعرفه عن الإسلام. إن شعبنا كان على دراية بالكتب والروايات الإسلامية وعلى علم بالقرآن ووعي بما يُقال من على المنابر. وإن المثقفين المتدينين أنجزوا الكثير خلال العقود الأخيرة، سواء كانوا من علماء الدين أو من خريجي الجامعات، وكان الشعب قد اعتاد على سلسلة من القيم التي واصل الالتزام بها، وهي قيم لم يكن لها أثر خلال عهد النظام البائد، وكانت الثورة أداة لتحقيق هذه القيم[1].

حق الله وحق الناس في النظام الإسلامي

□ من أين ينبع حق الناس في التصور الإسلامي وما علاقته بحق الله تعالى؟

ينبغي عدم تشبيه حاكمية الشعب الدينية التي تبلورت اليوم في نظام الجمهورية الإسلامية بالديمقراطية الغربية الرائجة وإن كانت فيها وجوه اشتراك، بيد أن بينها فوارق جذرية وجوهرية متعددة. فأساس الجمهوريات الغربية ـ أو ما يسمونها بالجمهوريات العلمانية ـ وما لحقها في مناطق أخرى من العالم هو جعل حق الناس عوضاً عن حق الله، أو رأي الأمة بدلاً عن رأي الدين وفتواه. وقد ابتدأ هذا النمط من الجمهوريات من فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر وانتشر تدريجياً في

(١) خطبة القائد في صلاة الجمعة، في تاريخ: ١٤٢١/٢/٧ هـ ق ٢٠٠٠/٥/١٢م.

مناطق أخرى من أوروبا، وكانت في الحقيقة حركة تقابل الأنظمة التي سبقت هذه الحقبة في أوروبا وسلسلة من التحركات التي كانت بمثابة النقطة المقابلة لأفكار القرون الوسطى في أوروبا.

إن الجمهورية الإسلامية ـ في الحقيقة ـ على نقيض مع كلا التيارين اللذين شهدتهما أوروبا، سواء ذلك الذي كان سائداً فيها خلال القرون الوسطى أو قبل القرن الثامن عشر، أو ذاك الذي تبلور فيما بعد كردّة فعل، فما كان سائداً فيما سبق حكومات استبدادية موروثة تقوم على تسلط وسيادة فرد أو مجموعة قوية على مقدرات بلد ما، والإسلام يرفض ذلك. أما ما تبلور فيما بعد فكان أن رأوا الحق حكَراً على الانتخاب ورأي الشعب وإرادته ولو على مستوى الشعار والطرح الفكري والنظري على أقل تقدير ـ وإن كان الواقع خلاف ذلك ـ وهذا ليس من الإسلام في شيء.

إن حق الله حسب الرؤية الإسلامية ليس نداً ولا نقيضاً لحق الناس. فحقوق الناس بأجمعها ـ ومن بينها حق الانتخاب المسلَّم به بالنسبة للشعب فيما يخص أمر الحكومة ـ إنما هي منبثقة عن الحكم الإلهي وما هو مقرر من قبل الله تعالى. من هنا فحيثما ورد في القرآن الكريم ذكر للتعدي والتعرض على حقوق الناس ـ من قبيل الربا إذ يعد تعدياً على أموال الناس ـ يأتي التعبير بـ ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ﴾[1]. فبالرغم من أن هذا الفعل يعدّ تعدياً على حقوق البشر، لكنه حرب مع الله. أو حيث ترد قضية الفساد في الأرض ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾[2] فهو محاربة لله ﴿يُحَارِبُونَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.

(٢) سورة المائدة، الآية:٣٣.

الله وَرَسُولَهُ﴾[1] فهو تعدٍ على حقوق الناس لكنه حرب لله ورسوله، لأن ما هو عائد للشعب بما عليه من سعة يعد تكليفاً إلهياً، وحقاً قرره الله للشعب، وتكليفاً أناطه الله على عاتق المتصدين لشؤون الناس.

بناءً على هذا فالجمهورية الإسلامية ليست تلفيقاً من شيء يدعى الجمهورية ومن آخر يسمى (الإسلامية)، ليقول قائل إنني أكثر ميلاً للجمهورية فيما يقول آخر إنني أكثر تأييداً للإسلامية، بل بالوسع القول إن الجمهورية الإسلامية ليست مركباً وإنما حقيقة واحدة، فالله هو الذي أمرنا ـ على صعيد تبني رأي الشعب ـ بأن نحترم رأي الشعب وخياره وإرادته.

في موضعٍ من نهج البلاغة يتحدث أمير المؤمنين ﷺ حول إهدار حقوق الناس ويصرّح بأن من يرتكب هذه الأفعال إنما (كان حرباً لله) أو (محارباً لله). والجمهورية الإسلامية تعني نظام سياسي يحترم حق الشعب بكل ما في حقوق الناس من سعة وعلى امتداد هذه الأرض الواسعة اعتماداً على إرادة الله والتشريع الإلهي. وعليه فمن كان مؤمناً بالإسلام وتعرض أو تجاوز على حقوق الناس فلينتظر العقاب الإلهي.

إن مشكلتنا في نظام الجمهورية الإسلامية لا تقتصر في أنه قد تتشاءم الجماهير إزاءنا أو يتبدّل إيمانهم بنا وحسب، بل مشكلتنا في التكليف الشرعي أيضاً وإن لم يدرك الناس ذلك، فلو صدرت منا حركة في مكانٍ ما من شأنها تضييع حقوق الناس، فحتى وإن لم يدرك أحدٌ وقوع اعتداءٍ على حقوق الجماهير وكان الضجيج الإعلامي عالياً ـ كإعلام الغربيين والأمريكان مدّعي الديمقراطية. وقد شاهدتم خلال انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة حيث أزاحوا الأكثرية بالضجيج والضوضاء والصريخ

---

(١) سورة المائدة، الآية:٣٣.

وأحلّوا الأقلية مكانها ـ بيد أن مشكلتنا تكمن في التكليف الشرعي، فعلى امتداد الكيان العظيم والواسع للحكومة بعرضها وطولها ـ حيث لا تتمركز الحكومة ولا تتمظهر في شخص القائد لوحده بل الجميع شركاء في حاكمية الشعب الدينية والمسؤوليات المناطة بهم على هذا الصعيد، من كان منهم رئيساً للجمهورية أو أية سلطة أخرى أو نائباً في مجلس الشورى أو ذا مسؤولية في أي مرفقٍ ـ يتمثل تكليف الجميع في مراعاة حقوق الشعب لله، وهذان الأمران مقترنان ومتحدان معاً.

إن حق الناس متمخض عن الحق والتكليف الإلهي، وهذا أكثر السبل ارتكازاً وقوة للمحافظة على حقوق الأمة، ولو اختير الأفراد في كل مرحلة أو مرتبة من مراتب الحكومة في نظام حاكمية الشعب الدينية وفي نظام الجمهورية الإسلامية بمؤهلات تتناسب مع تلك المرتبة لن يهدر حق للناس، وبالوسع الاطمئنان لذلك، في حين من الممكن أن يصادر حق الشعب في الديمقراطيات التي ليس فيها لحق الناس واستحقاقاتهم بأصولها وركائزها فلسفة إلهية ولا تقوم على أساس التكليف الإلهي، فحيث إن الناس فيها لا يرون لأنفسهم رقيباً ولا تكليفاً ومسؤولية ربما تخلّفها الأمور التي يرتكبونها ويفهم ويعلم بها الناس، لذلك يزداد إهدار حق الناس.

إنه لخطأ فادحٌ إن خلطنا وشبهنا حاكمية الشعب بما عليه من فلسفة معمقة وصيانة لحق الناس وما هو سائد الآن في الغرب، فهذه هي حاكمية الشعب على حقيقتها، وإن الشارع المقدس ووفقاً للموازين الفقهية التي بين أيدينا قد قرن هذا الوجوب أو التكليف أو حق الحكومة والحاكمية في عصر غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام) بمؤهلات لا وجود لهذا الحق والإذن بدونها، لأن الأصل هو عدم ولاية أي إنسان على آخر، وحيثما أراد الإنسان التصرف بشؤون الآخرين فعليه أن يحرز هذه المؤهلات حتماً، وتشخيص

هذه المؤهلات وفقاً للرؤية العقلائية التي تحظى بالثقة، إنما يتولاه أناس قادرون على هذه المهمة. وإن الشعب في ظل نظام الجمهورية الإسلامية يعلن بيعته من خلال هذا الطريق، فحضور الشعب وانتخابه إنما يجري من خلال أناسٍ يعرفون هذه المؤهلات ولهم القابلية على تشخيصها في فردٍ ويتحملون مسؤولية الإشراف عليها وجوداً وبقاءً، وهذه أعظم مسؤولية. وبناءً على هذا، فإن مجلس الخبراء في غاية الحساسية والأهمية[1].

حاكمية الشعب

□ أشار سماحتكم في الآونة الأخيرة عدة مرات إلى (حاكمية الشعب الدينية) حبذا لو توضحوا لنا مقصودكم من هذا المصطلح.

إن الذي أودّ قوله هو أن أفضل شيء يمكننا أن نجعله ملاكاً لنا اليوم من أجل إصلاح أخلاقنا وأفعالنا وتصرفاتنا، نحن المسؤولين، هو حاكمية الشعب وسيادته في ظل الدين، وهو ما قلناه مراراً وتكراراً. ولا ينبغي أن يتبادر الخطأ إلى الأذهان؛ فهذه الحاكمية الشعبية ليس لها علاقة مطلقاً بأصول الديمقراطية الغربية، بل إنها شيء آخر؛ فمن حيث المبدأ فإن حاكمية الشعب بالمفهوم الديني ليست شيئين، بل هي شيء واحد، وهي لا تعني استيراد الديمقراطية من الغرب ثم نلصقها بالدين حتى نحصل على نسيج واحد متكامل. كلا، فنفس هذه الحاكمية الشعبية ترتبط بالدين أيضاً. إن ثمة وجهين للحاكمية الشعبية ـ كما أوضحت في لقاء سابق مع بعض المسؤولين ـ فالوجه الأول يتلخّص في إقرار نظام ما طبقاً لرأي الشعب ورؤيته؛ أي أن يختار الشعب النظام، والحكومة، والنواب، والمسؤولين

---

(١) حديث القائد، في تاريخ: ١٤٢٢/١٢/٢٩هـ ق، ٢٠٠٢/٣/١٤م.

الكبار، سواء أكان ذلك الانتخاب مباشراً أو غير مباشر، وهو ما يدّعيه الغرب، وإن كان هذا الادعاء لا أساس له من الصحة في الواقع الغربي.

إن البعض يغضبون عندما نكرر دائماً إن ادعاء الديمقراطية في الغرب هو ادعاء لا صحة له، ويعتبرون ذلك كلاماً متعصباً. والحال أن الأمر ليس كذلك؛ فهذا الكلام ليس من عندنا، كما أنه ليس متعصباً، وليس نابعاً من الجهل أو عدم الوعي، بل إنه يستند إلى آراء ونظريات وأبحاث المفكرين الغربيين البارزين. نعم، إنهم لا يصرّحون بذلك في الإعلام العام وأمام الرأي العام، بل إنهم في مثل هذه الحالات يتحدثون عن صوت الشعب وأن كل ما عندهم قائم على أساس إرادة الجماهير، ولكن هذا خلاف الحقيقة، وهم يعترفون بذلك أحياناً على مستويات مختلفة، وهو موجود في كتاباتهم، ولقد اطلعنا نحن على الكثير من هذه الاعترافات. وها أنتم الآن تشاهدون بعض نماذجه في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فهذه هي حاكمية الشعب هناك! ولكننا لا نقول بذلك. فما يتعلق بصوت الشعب لا يمثل سوى قسم من قسمي حاكمية الشعب الدينية، فلابد من الانتخاب، وعلى الجماهير أن تمارس إرادتها بوعي، وأن تتخذ قرارها حتى يتم أداء التكليف الشرعي فيما يخصّها، إذ لا يمكن أن يكون ثمة تكليف بلا معرفة ووعي وإرادة.

وأما الوجه الآخر لقضية الحاكمية الشعبية فيتعلّق بنا نحن ـ المسؤولين ـ الذين انتخبهم الشعب، حيث تقع على كواهلنا مسؤوليات جدّية وحقيقية. لقد جمع بعض الأصدقاء هذه الروايات من نهج البلاغة وغيره، ولا مجال لاستعراضها هنا جميعاً، ولكنني سأكتفي باثنتين أو ثلاث منها؛ فمن هذه الروايات «**وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيما**

كَانَ منْ فعْلكَ، أَوْ أَنْ تَعدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعدكَ بخُلْفكَ، فَإنَّ الْمَنَّ يُبْطلُ الْاحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بنُور الْحَقِّ، وَالخُلْفَ يُوجبُ الْمَقْتَ عنْدَ الله وَالنَّاس»(١). والله تعالى يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٢). ومع أن هذا الكلام وجّهه أمير المؤمنين لمالك الأشتر، إلاّ أنه خطاب لنا أيضاً.

وأما الملاحظة الثانية في هذا المجال والتي تتعلّق بحاكمية الشعب الدينية فهي «**أَنْصف اللهَ وَأَنْصف النَّاسَ منْ نَفْسكَ، وَمنْ خَاصَّة أَهْلكَ، وَمَنْ لَكَ فيه هَوىً منْ رَعيَّتكَ**»(٣)؛ فكل من يفعل ذلك أو أحد مصاديقه من قبيل محاباة الأصدقاء والأقارب ومنحهم الامتيازات الخاصة والإمكانات المادية دون سواهم يكون قد عاث فساداً كالفساد الذي أشار إليه الآن السيد رئيس الجمهورية. فلابد إذاً من مكافحة هذا الفساد. ومادام هذا الفساد موجوداً في أوساط المسؤولين ـ أيّها الأخوة والأخوات الأعزاء ـ فلن تكون هناك إمكانية للعمل والتقدم مهما كان؛ لأن هذه فجوات وحفر لا يمكن ملؤها مهما أفرغتم فيها من جهد وعناء ومشقّة وعمل، بل إن جهودكم ستذهب هباءً، فلابد إذاً من تلافيها والوقاية منها منذ البداية؛ فقول أمير المؤمنين «من لك فيه هوى من رعيتك» يعني تجنب إعطاء الامتيازات الخاصة لأصحابك وأقربائك ومَن تحبّ، بل لابد من المساواة بين الجميع في إعطاء الامتيازات متى وجدت. فإذا ما تقرر أن تكون هناك قرعة مثلاً أو سقف محدد فلا ينبغي ترجيح أحد على آخر بلا وجه حق.

وأمّا الملاحظة الثالثة فنجدها في قول أمير المؤمنين «**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ**

---

(١) نهج البلاغة، من عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النَّخَعي رضي الله عنه [الكتاب ٥٣].

(٢) سورة الصف، الآية:٣.

(٣) نهج البلاغة، من عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النَّخَعي رضي الله عنه.

الأُمُور إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ»[١].

فهذه من علامات الحاكمية، وأنا وأنتم مخاطبون بها؛ فإذا كان أحدكم وزيراً، أو نائباً في البرلمان أو مسؤولاً في القوات المسلحة، أو مرتبطاً بقائد الثورة، أو عنصراً في السلطة القضائية، أو في أيِّ مؤسسة أخرى وحيثما كان، فإن عليه أن يعلم بأن العمل الذي يقوم به لا ينبغي أن يكون محاباة لأرباب الثروة والسلطة، هؤلاء الذين يعبر عنهم أمير المؤمنين بـ«الخاصة» حيث يقول: «**فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ**»[٢]، ثم يقول: «**وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ**»[٣].

إن الحاكمية الشعبية لا تتجسد في مجرد الإعلام والضجة وإجراء الانتخابات وفرز الأصوات، ثم ينتهي كل شيء وتنقطع الصلة مع الجماهير! فعندما تتحقق المرحلة الأولى يأتي دور المرحلة الثانية؛ أي مرحلة تلبية المطالب.

ثم يقول أمير المؤمنين حول هذه المجموعات الخاصة: «**وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ**»[٤]، وذلك في عهده لمالك الأشتر، ويضيف: «**فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ**»[٥]؛ أي أن ذلك خراب للقلب وإتلاف له، وهذه هي الحقيقة. ثم يذكر أمير المؤمنين خصوصيات أخرى فيقول: «**وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ**»[٦] حتى لا تُغضب الناس بقولك دائماً: أنا، أنا، فتشعرهم بعدم جدواهم حيث أصبحت أنت محور كل شيء[٧].

---

(١) نفس المصدر. (٢) نفس المصدر. (٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر. (٥) نفس المصدر. (٦) نفس المصدر.

(٧) حديث القائد، في تاريخ: ١٤٢١/٩/٥هـق ٢٠٠٠/١٢/٢م.

أهمية تقوى الحاكم وشجاعته

□ ما هي أهم الخصال التي ينبغي توفرها في من يتولى المسؤولية في النظام الإسلامي؟

هنالك ثلاث خصال يتعين توفرها لدى المسؤولين، وما إن توفرت هذه الخصال فيهم فحينها يتسنى لهذه القوة الشعبية العملاقة الوقوف بوجه خبث الأعداء وممارساتهم الدنيئة، وهذه الخصال عبارة عن: التقوى والشجاعة والبصيرة؛ فلابد لمسؤولي البلاد ـ ولا فرق بينهم حيثما كانوا في سلطات البلاد كافة، سواء كان المسؤول حكومياً أو قاضياً أو نائباً في المجلس أو عضواً في مجلس صيانة الدستور أو في مجلس الخبراء أو من الرتب في القوات المسلحة ـ من التحلي بهذه الخصال الثلاث من أجل منعة البلاد؛ فلو فقدت التقوى حل الدمار بكل شيء، وبالتقوى يسير كل ما يتخذه الإنسان من مواقف وما ينطق به لصالح الشعب ومن أجل نيل رضى الله سبحانه، وفي مثل هذه الحالة سيغدو الصراط المستقيم سالكاً؛ أما إذا فقدت التقوى فإن كل ما يتفوه به المرء أو يقدم عليه أو ما يصدر عنه من قرارات سيكون صدوره عن عصبية وضغينة وطمع.

ولا تكفي تقوى دون شجاعة؛ فلعل هنالك من المتقين من تعوزهم الشجاعة الكافية فينكصون عن المبادرة في وقت يتعين عليهم المبادرة أو الإمساك عن الإدلاء بدلوهم حينما يستلزم منهم ذلك. عندما خلق إمامنا العظيم هذا التحرك العملاق كان العنصر الأساسي فيه شجاعة الإمام، وإلا فما أكثر من كانوا يتحلون بالتقوى والإيمان بالله لكنهم كانوا يفتقرون للشجاعة؛ فلولا الشجاعة يرتعد المرء فيستغل العدو نقطة الضعف هذه؛ فأيما

مسؤول في أي من هذه المرافق التي سلفت الإشارة إليها ـ في مجلس الشورى أو الحكومة أو السلطة القضائية أو مجمع تشخيص مصلحة النظام أو مجلس صيانة الدستور وغيرها من المرافق الحيوية ـ افتقر إلى الشجاعة وعازته هذه الخصلة المهمة المؤثرة فحينها سيصاب بالرعب، وما هذه التهديدات والتدخلات إلا لإرعاب المسؤولين في دول العالم. وإن الشقاء الذي حاق بالكثير من شعوب العالم إنما كان سببه افتقار زعمائهم وقادتهم للشجاعة؛ فقد يكون الشعب شجاعاً ومتأهباً للتواجد في الساحة بيد أن مسؤوليه الذين يفترض بهم الإمساك بزمام الأمور وتقدم المسيرة يفتقرون للجسارة الكافية، وإن كنتم على إطلاع بالتاريخ، فحيثما تمعنتم بصفحاته تجدوا تعثراً في حياة ذلك الشعب الذي لم يكن مسؤولوه وزعماؤه وكوادره والمتصدون لإدارة البلاد يتوفرون على القدر الكافي من الشجاعة، وإذا ما ابتلي جميعهم بالجبن والخوف كان نصيب الشعب التعاسة. وإن الهدف الذي يكمن وراء الكثير من السموم التي تبثها الإذاعات الأجنبية في مختلف البلدان حول القضايا الخاصة بها إنما هو إرعاب المتصدين فيها فينتابهم الشعور بالعجز عن القيام بأي فعل، وإن الأغلال تقيد أيديهم فيتناسون القوة الجماهيرية الضخمة واقتدارهم الجغرافي وقدراتهم الثقافية وتبقى أنظارهم ترنو إلى ما تجود به أيدي العدو وإلى سلطته وقوته الصاروخية واقتداره! وفقدان الشجاعة هذا خطر جسيم.

والخصلة الثالثة هي البصيرة؛ فعلى المسؤولين التحلي بالوعي ومعرفة ما يدور حولهم، وإلا فلو كان مسؤولوا البلاد وكوادرها ونواب الشعب والمتنفذون في الجهاز القضائي وفي سائر المراكز أناساً صالحين متقين شجعاناً لكنهم يجهلون مواطن التكتل العالمي وأين معاقل العدو والجهة التي

ينطلق منها في عدوانه، فإنهم بالتالي سيذوقون الهزيمة. وإن الشبيبة من الذين عاشوا الجبهات إبان الحرب المفروضة يعون جيداً ما أقول؛ فربما يسمع المرء دوي قصف مدفعي فيدرك أنه قصف معاد، إذ ذاك يتسنى له تحديد مساره وتشخيص تكليفه، وكذا لو عرف أن القَصف موجه نحو العدو، أما إذا اختلط الأمر عليه إذ ذاك تأخذه الحيرة، فما عساه أن يصنع؟

فإذا ما وجه العدو حمم نيرانه عليكم وكنتم تجهلون أنها نيران العدو تنهال عليكم، فحينها لا تبدون إزاءها أية ردة فعل، وربما يكون الصديق هو الذي يصب حمم نيرانه على العدو، فإن خفي عليكم ذلك اختلط الأمر عليكم، وحينها تتوجهون نحو الصديق متسائلين: لم هذا القصف؟

إن البصيرة تمثل اليوم أهم الضروريات بالنسبة لمسؤولي بلادنا، فيتعين عليهم معرفة الجهة التي يشن العدو هجماته منها.

قبل سنوات تحدثت غير مرة عن الغزو الثقافي وقلت إن العدو يهاجمنا الآن من خلال المنافذ الثقافية، بيد أنه ـ وللأسف ـ كان هنالك من لم يستوعب ذلك، فمنهم من صرح جهاراً وآخرون أخذوا يهمسون خلف الكواليس: ما الذي يستهدفه العدو في غزوه، وأي غزو هذا وما معناه؟ واليوم وبعد مضي سنوات عديدة بدأ قاصرو النظر بتفهم ما يعنيه الغزو الثقافي رويداً رويداً، حيث لاحت أمام أعينهم سهام الغزو الثقافي وهي مصوبة باتجاه إيمان الشباب، فأخذوا يعبرون عن قلقهم إزاءه! وأخذوا يشاهدون محاولة العدو في أن يضع له موطئ قدم في كل مكان يشغله الشباب ليزلزل إيمانهم بالثورة والدين والإمام، بل هنالك من أخذ يشوه تطلعات هذا الشعب نحو الاستقلال! وذلك ما يصبو إليه العدو بالضبط، وهو ما يعنيه الغزو الثقافي. فمن الضروري لمسؤولي البلاد

التحلي بهذه البصيرة ليعرفوا من أين يشن العدو هجماته، وإذا ما فهموا ذلك فسيكونون واعين وستصب شجاعتهم وتقواهم ونزاهتهم في صالح الشعب[١].

أصول ومبادئ النظام الإسلامي

□ من المسلم به في كل نهضة تصبو نحو التكامل احتوائها على أصول ومبادئ لا يمكن تغييرها إذ بها قوام التوجه الذي تتبناه كما أنه لا بد لها من أمور متغيرة خاضعة للظروف المتغيرة مكانا وزمانا، نريد أن نعرف ما هي الأصول الثابتة للنظام الإسلامي والتي لا تقبل التغيير؟

إن حاكمية الشعب في النظام الإسلامي هي حاكمية الشعب الدينية، أي المرتكزة على رأي الإسلام، وهي ليست عقداً عرفياً، بل من صلب الرؤية الإسلامية الرجوع إلى رأي الأمة وإرادتها حيثما اقتضى الرجوع، ولذا فهي تبلور التزاماً إسلامياً، وليس على غرار الدول الديمقراطية حيث تلتزم بعقد عرفي يسهل نكثه؛ فحاكمية الشعب في نظام الجمهورية الإسلامية تكليف ديني، والمسؤولون يقيدهم تعهد ديني في الحفاظ على هذه الخصيصة ويتعين عليهم تقديم الجواب عنه أمام الله سبحانه وتعالى. وهذا مبدأ كبير من مبادئ إمامنا العظيم.

ومن مبادئ النظام الإسلامي العدالة الاجتماعية وإقرارها، واحترام حقوق جماهير الشعب العريضة وتقليص التمايز الطبقي، كما أن مكافحة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء استغلال الإمكانيات التي توفرها السلطة

---

(١) خطاب قائد الثورة الإسلامية في حشد كبير من أهالي مدينة قم، في تاريخ: ١٤٢٢/١٠/٢٥هـق ٢٠٠٢/١/١٠م.

للأفراد ـ سواء كان الاستغلال مادياً أو سياسياً ـ تعتبر من أصول الثورة التي يجب الالتزام بها، وكذا إسداء الخدمة للجماهير والمحافظة على استقلال البلاد على كافة الأصعدة والتصدي لتغلغل الأعداء ونفوذهم، تعتبر من أصول الثورة التي لا تقبل التغيير؛ فأصول الثورة وخطوطها الأساسية لا يطالها التغيير، ومظهرها جميعاً دستورنا الرفيع.

وبطبيعة الحال بوسع الحكومات والمسؤولين انتقاء خطط ومناهج متعددة لتطبيق هذه الأصول في مختلف المراحل، فأساس الثورة كإسلام يقوم على أحكام ثابتة وأخرى متغيرة؛ فثمة مجموعة من الأحكام لا تقبل التغيير وأخرى تتغير بتغيّر الظروف؛ وهكذا الثورة إذ إن الاجتهاد ميزة تتيح أمام المسؤول إمكانية اتخاذ المناهج والسبل والخطط السليمة بما تقتضيه الظروف، وبطبيعة الحال فإن اختيار الأسلوب أو الاجتهاد غايته العثور على منهج جديد ومناسب، وهو ليس كبدعة الجاهل ودعوة إعادة النظر، بل هو شأن من يمتلك القابلية على الاجتهاد في هذا المضمار. وفي ضوء هذا تأتي رسالة الاجتهاد والمجتهد في النظام الإسلامي؛ ونحن إذ نتمسك من ناحية بالأصول، نرفض التحجر والجمود على الثورة بدعوى التمسك بالأصول، فثمّة أصولية قائمة لكنها ليست تحجراً ولا تزمّتاً ولا جهلاً بتبدّل الظروف، ومن ناحية أخرى ينبغي عدم السماح للبدع ودعوات إعادة النظر بالنشاط والتحرك الضار المدمر بذريعة الاجتهاد والتغيير.

هذا هو الخط اللاحب لإمامنا العظيم.. وعليه فأصولنا ثابتة ومن بينها: العدالة، وحاكمية الشعب، والاستقلال، والدفاع عن حقوق الشعب على كافة الأصعدة، والدفاع عن حقوق المسلمين وعن كل مظلوم في أية بقعة في العالم، ومكافحة الفساد والظلم والغطرسة؛ وهذه لا تقبل التغيير، بيد أن

اختلافاً في الأساليب ربما يطرأ تبعاً لاختلاف الأوضاع والظروف.

لقد رسم الإمام مبادئ الثورة وأطرها بإتقان ودقّة ووضوح لئلا تستطيع القوى السلطوية في العالم هضم هذه الثورة في ماكنتها الثقافية والقضاء عليها كسائر التغييرات السياسية؛ فما يجدر بشعبنا معرفته والتمسك به هو هذه الأصول الثابتة، وربّما يتبيّن عجز الوزارات أو مجلس الشورى أو السلطة القضائية في مجالات شتى ولا يتحقق هدف ومرام الثورة والنظام الإسلامي، لكن هذا العجز راجع للمتصدين والمنفّذين، غير أن أعداء النظام يلصقون بالنظام ما يطرأ من ضعف في أي من الأجهزة وللأسف.

إن النظام يقوم على قواعد محكمة وخطوط واضحة، وإن الاستدلال والمنطق الذي يدعم المفاصل الرئيسة للنظام ممّا يتعذر التشكيك به، وعلى المسؤولين والمتصدين في مختلف قطاعات النظام الإسلامي ـ في السلطة التشريعية أو التنفيذية أو القضائية أو في القوات المسلحة وكل من تصدى للعمل في أي مرفق ـ علاج حالة الضعف لديهم، وإن طريق بلوغ هذا الشعب نحو السعادة يكمن في تطبيق المبادئ التي اختطّها الإمام العظيم وجرى تثبيتها في الدستور وأعلن الشعب وفاءه لها مرات ومرات؛ ولقد اتّضح أن العدو إنّما يناهض هذه المبادئ وكل ما يوصد الأبواب بوجه نفوذه؛ والعدو يسعى للتسلّل من منافذ عديدة، وما على الشعب الإيراني وبالذات المسؤولين إلاّ التحلي بالوعي، وقد أثبت شعبنا العزيز وعيه على مر هذه السنين والتزامه بهذا الأمر والحمد لله[1].

---

(١) خطاب قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤٢٣/٣/٢٢هـ ق، ٢٠٠٢/٦/٣م.

العداء مع النظام

□ ما هو سبب عداء القوى المستكبرة للثورة الإسلامية؟

الملاحظ بوضوح أنّ الثورة الإسلامية في إيران عندما انتصرت كان من المتوقع أن تؤدي جاذبيتها ومحبوبيتها إلى إعادة الشعوب الإسلامية ـ وحتى البعض من غير المسلمين ـ إلى الإسلام، فراحت كلّ الأيدي الاستعمارية تعمل للوقوف أمام النفوذ المعنوي للإسلام. ولم يكن للنشاط الاستكباري الواسع والمتعدد الجوانب للوقوف أمام النفوذ الإسلامي أيّ داعٍ سوى أنّ اتساع الإسلام والمفاهيم الإسلامية في أيّة نقطة من العالم يعني طي بساط الاستكبار وأياديه في تلك المنطقة.

نعم إنّ الثورة الإسلامية عندما انتصرت واستطاعت أن تقدّم على الساحة العملية والواقعية صورة دقيقة للتوحيد ونفي العبودية لما سوى الله، والعزة في قبال أيّ شخص وأيّ شيء غير الله أوجدت إحساساً لدى المسلمين في نقاط كثيرة من العالم بالشخصية والعزة أمام المتجبرين والمتحكمين، مما فتح صفحة جديدة في ميادين كفاح الشعوب الإسلامية، ونذكر منها مثلاً تلك النهضة العظمى للشعب المسلم في أفغانستان وبدء الكفاح الشعبي في الأراضي الفلسطينية، وثبات الشعب المسلم والمكافح في فلسطين إلى جانب مساومة بعض الأحزاب، وانطلاق الانتفاضات الإسلامية الكثيرة في الأقطار الإسلامية الأفريقية والآسيوية، بل وحتى في أوروبا أيضاً وكلّها تنبع من جاذبية الإسلام والشوق لتطبيق الأحكام الإلهية، فترى أنّ خلاصها وعزّتها إنما تكمن في الإسلام لا غير.

وفي الفترة التي سبقت قيام الجمهورية الإسلامية تمّ تفهيم الجماهير

المسلمة الواسعة في أنحاء العالم، أنّ الإسلام غير قادر على خلق العزة والعظمة لهم ولذا فإن عليهم ـ إذا شاءوا السعادة ـ أن يتّبعوا النموذج الغربي والثقافة الأوروبية والأمريكية، أو يتّجهوا نحو النظريات الخيالية الماركسية الخاوية.

إلاّ أنّ انتصار الثورة الإسلامية وتشكيل الجمهورية الإسلامية وما تبع ذلك من عزة وعظمة منحها تحقّق الإسلام للشعب الإيراني كلّ ذلك ترك النسيج الاستعماري القديم في مهب الرياح، وأفهم الجميع بشكل عملي أنّ الإسلام قادر على إنقاذ الشعب من حضيض الضعف والخور وإيصاله إلى قمة العزة والشجاعة والثقة بالنفس، كما أنه يستطيع أن يقيم نظاماً قوياً متمكناً من الصراع والمقاومة ضدّ القوى المادية العالمية وقطع أيدي القوى الظالمة المتعالية للاستعمار والاستكبار عن أن تمتد لوجود الشعب. وهكذا استطاعت الجمهورية الإسلامية بفضل الإسلام أن تتمتع بسند شعبي قوي في المعايير العالمية، مما أضاف ـ بدوره ـ قوة الى قوتها ومناعتها بعد أن تجمعت ضدّها وراحت تعاديها كلّ القوى العالمية الكبرى.

إنّ آثار انتصار الشعب الإيراني في صراعه ضد القوى العالمية لم تنحصر في نطاق العالم الإسلامي فحسب، بل رأيناها تسري إلى الأقطار غير الإسلامية، حيث نُظُم الستار الحديدي والاستبداد الحزبي أو الظلم القومي التي لم تسمح للمسلمين في تلك الأقطار ليشعروا حتى بشخصيتهم الإسلامية، فرحنا نشهد نسيم الهوية الإسلامية يسري في الآفاق والعروق، والإيمان الكامن يتحرك ويثور، ونداء الإسلام يقضّ مضاجع الشياطين ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1].

---

(١) سورة الحج، الآية:٥.

وعلى هذا فإنّ البطل الحقيقي في حوادث السنوات العشر الماضية هو الإسلام، وإنّ النهوض الإسلامي هو الذي أيقظ النفوس اليوم ليمهّد السبيل ليوم يثور فيه السؤال على وجه البسيطة كلها: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ﴾[1] فلا تجد إلاّ جواباً واحداً من أرجاء العالم الأربعة: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2][3].

هدف النظام الإسلامي

□ ما هو الهدف الذي يصبو إلي تحقيقه النظام الإسلامي وهل من الممكن الوصول إلى هذا الهدف وتحقيقه في ظل سيطرة الحضارة المادية وهيمنتها على العالم بما فيه العالم الإسلامي؟

إذا أردنا الإجابة عن هذا السؤال في جملة واحدة، فإننا نقول: إنه بلوغ الحضارة الإسلامية. وهو جواب مجمل يحتاج إلى توضيح وتفصيل. ولكن هل يمكن أن تقوم حضارة أخرى مقابل الحضارة الإنسانية الراهنة ـ أي الحضارة المادية الغربية ـ أو لا؟ ثم ما هي العناصر التي تتطلبها هذه الحضارة من أجل البقاء والثبات، وما هي العوامل المساعدة؟ ففي هذا حديث يطول.

---

(١) سورة غافر، الآية:١٦.

(٢) سورة غافر، الآية:١٦.

(٣) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

زيف الحضارة الغربية

إنكم لو سألتم رموز الحضارة الغربية المعاصرة فإنهم سيقولون لكم بأن الحضارة الغربية المادية هي حقيقة أبدية لا تقبل التراجع؛ ففي إبان ازدهار هذه الحضارة ـ أي منذ القرن التاسع عشر الميلادي ـ ثار الجدل حول أن كل ما تقدمه هذه الحضارة للبشرية هي أمور حديثة وجديدة وجذابة ومطلوبة ولا مندوحة عنها، وكل ما هو خلاف ذلك فهو تقليدي ومنسوخ وقديم وزائل. وهذا الجدل بعينه هو ما تجدونه دائراً اليوم في بعض محافل مثقفينا أحياناً، إلاّ أنه ليس بالأمر الجديد، ولكنها إثارات القرن التاسع عشر في العالم الغربي والتي تجد الآن امتدادات لها بهدف أن تسحق الحضارة الغربية كل ما يعترض سبيلها من شتى الثقافات والحضارات وكافة المبادئ والأسس المدنية وجميع العلاقات الإنسانية والاجتماعية وسواها مما ترفضه هذه الحضارة، فترسخ حاكميتها المطلقة أبد الدهر معززةً بضمانة القوة المادية والرأسمالية من ناحية، والسلطة العسكرية والسياسية من ناحية أخرى، والسيطرة الإعلامية من جهة ثالثة.

لقد شاهدتم لدى سقوط النظام الماركسي في الاتحاد السوفيتي السابق وأوربا الشرقية ـ مع أنه لم يكن قادماً بحضارة جديدة ـ بل كان فكراً ذيلياً للحضارة الغربية بما لها من قواعد وأسس مادية، سوى ما كانت تلاقيه من معارضة من قبل الجهاز الرأسمالي الغربي والقائمين على أمر الحضارة الغربية ـ فإنهم تقدموا مباشرة بمشروع النظام العالمي الجديد وسلطة القطب الواحد، أي أن الحضارة الغربية اليوم فقدت تآلفها وانسجامها ووحدتها وفاعليتها حتى بين ذويها ومدّعيها، وباتت فارغة من

مصداقيتها اللازمة. وأما تلك المنطقة التي أحرزت تقدماً مادياً أكثر من غيرها، فإنها تطمح في السيطرة المتزايدة، والاستيلاء التام والشامل على من سواها وتجاهل ما عداها، طبقاً لما تقتضيه طبيعة الحضارة المادية.

إن كل ما يدور من حديث في الغرب ـ كما تلاحظون في هذه الأيام ـ ينصبّ برمّته حول المشروع الغربي في الألفية الثانية! فهل كانت الحضارة الغربية سائدة طوال الألفية الأولى حتى تلحقوا بها الألفية الثانية؟ وهل يشعر العالم بالرضا إزاء هذين القرنين أو الثلاثة الماضية من سيطرة الحضارة المادية الغربية؟ وهل تمكنت الحضارة المادية الغربية من تضميد الجراح التي عانت منها البشرية في الماضي؟ وهل زال الفقر من العالم؟ وهل انتهت المجاعات في المعمورة؟ وهل تم التغلب على الظلم والتفرقة؟ وهل تشعر البشرية براحة البال؟ وهل ساد الرفق والصفاء بين بني الإنسان؟ أو أنه العكس تماماً! فالحضارة المادية الغربية في عصر الاستعمار ومن بعده في مرحلة الاستثمار ـ عندما لم تكن سيطرة الحكومات الغربية سيطرة مباشرة كما في مرحلة الاستعمار، بل انهمكت في استغلال طاقات البلدان المتخلّفة والفقيرة وثرواتها واستخدمت سيطرتها الخفية في الاستيلاء على كافة قواها ومواردها حتى تُشبع نزواتها الذاتية وتتخم جيوب أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الشركات ـ، ثم في مرحلة وسائل الإعلام وعصر الاتصالات ـ أي في هذا العصر ـ حيث نزلت إلى الساحة في هذه المراحل الثلاث بكل ما تتمتع به من تجبر وغطرسة واستكبار في قمع وحشي ومتواصل للأطراف الأخرى، وذلك في الوقت الذي مازالت التفرقة سائدة في أرفع مراكزها ومؤسساتها، فضلاً عن التمييز العنصري، بالإضافة إلى الفاشية! ومع كل هذا التاريخ الأسود، وكافة هذه المعضلات، وجميع هذه المشاكل فإن الحضارة المادية الغربية تزعم لنفسها الخلود! وهو ادعاء واهٍ ومزيف وفاشل.

تجلّي الحضارة الإسلامية بصورتها الكاملة في عصر الظهور

نعم، إن الحضارة الإسلامية، وبلا شك، بإمكانها النزول إلى الميدان بنفس تلك الوسائل التي استخدمتها الحضارات التاريخية الكبرى والسيطرة على منطقة ـ كبيرة كانت أم صغيرة ـ وإنزال بركاتها أو صدماتها على هؤلاء، وباستطاعتها أن تخوض هذه التجربة المعقدة والطويلة والشاقة وبلوغ تلك الذروة. ولا مراء في أن الحضارة الإسلامية سوف تتجلى بصورتها الكاملة في عصر ظهور بقية الله ﴿عجل الله فرجه﴾، ذلك العصر الذي سوف تتحقق فيه الحضارة الإسلامية الأصيلة ويظهر فيه العالم الإسلامي الحقيقي. إن البعض يتصورون أن عصر ظهور بقية الله سيكون في آخر الزمان ونهاية العالم! ولكنني أقول بأن عصر ظهور بقية الله هو بداية العالم والخطوة الأولى في حركة الإنسان على الصراط الإلهي المستقيم، سواء أكان ذلك مع القليل من العقبات أو بدونها، وبسرعة قصوى، وبتوفير كافة الإمكانيات من أجل هذه الحركة. ولو افترضنا أن الصراط الإلهي المستقيم يشبه طريقاً واسعاً ومستقيماً وممهداً، حيث جاء كافة الأنبياء خلال القرون الطويلة الماضية.لينقذوا البشرية من سبل الضلال ويرشدونها إلى هذا الطريق القويم، فلابد وأن حركة الإنسان ستبلغ ذروتها لدى بلوغ هذا الطريق، ولسوف تغدو حركة عامة وشاملة يحالفها التوفيق بلا أدنى خسائر أو مع الضئيل منها. إن عصر الظهور هو ذلك العصر الذي تستطيع البشرية أن تتنفس فيه الصعداء، وتتنكب الطريق الإلهي، وتتمتع بكافة الطاقات الكامنة في عالم الطبيعة وفي وجود الإنسان على نطاق واسع. إن الإمكانات البشرية لا تُستخدم بالصورة الصحيحة الآن، فتضيع الطاقات وتذهب

سدى، وكذلك هي الطاقات الطبيعية؛ إن كافة هذه الظواهر التي تشاهدونها في التلوث البيئي مردّها جميعاً إلى سوء استخدام الإمكانات الطبيعية. وإن البشرية تغذّ السير في هذا الطريق بينما هو خاطئ وغير فريد. إن الإنسانية غافلة عن طريق العلم وسواه من الطرق القويمة التي تستطيع السير عليها في ظل النظام الإلهي؛ ولا أود الآن الخوض في هذا الموضوع، حيث يتطلب ذلك المجال الأوسع. وعلى أية حال فإن بلوغ الحضارة الإسلامية هو النهج الذي يتمسك به النظام الإسلامي[١].

قيم النظام الإسلامي

ما هي القيم التي يقوم عليها النظام الإسلامي؟

لو أردتم جمعها في كلمة واحدة فإنني سأقول: (الإسلام) ولكنه لفظ مجمل ومن الممكن تفصيله على وجوه شتى. فشعبنا كان يتطلع إلى قيم جمعتها كلمة الإسلام، أشير إلى بعضها:

أولاً: الإيمان؛ فلقد كان الاستياء يعمّ الناس جرّاء الانحطاط الأخلاقي والتسيّب وضعف الإيمان، فكانت قلوبهم توّاقة إلى الإيمان.

ثانياً: العدالة؛ حيث إن الناس كانوا يعانون من الظلم المخيّم على المجتمع، فكانوا غارقين في الظلم من الرأس إلى أخمص القدمين، حتى إن بعضهم كان يظلم البعض الآخر. وكذلك داخل النظام الطاغوتي نفسه، حيث كان الظلم سائداً بين عناصره إضافة إلى ممارسة الظلم والجور على الجماهير الشعبية. كما أن الظلم كان ملموساً في القضاء، وفي تقسيم

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية في تاريخ: ١٤٢١/٧/٧هـق، ٢٠٠٠/١٠/٦م ـ المدرسة الفيضية / قم المقدسة.

الثروات وتوزيعها، وفي محيط العمل، وكانوا يمارسون الظلم على المدن النائية، وعلى الضعفاء، فكان الظلم شائعاً في كل مكان ولصيقاً بأفراد الشعب، يشعرون به حيثما حلّوا. ولهذا كان الشعب يبحث عن العدالة ورفع الفوارق بين الطبقات والتغلّب على الفقر، وهذه قيمة أخرى غير العدل كانت الجماهير تتطلّع إليها.

لقد كان بعض الأفراد أو الطبقات في قمة الثراء والغنى، بينما كان البعض الآخر محروماً حتى من ضروريات الحياة، وهذا ما كان يشمئزّ منه الجميع ويرفضونه. إن الجماهير كانت تحلم بإزالة الفوارق بين الطبقات أو تضييق فواصلها وإننا لم نكن مثل الشيوعيين في ادّعائهم بأن على الحكومة أن تمنح لقمة العيش ورغيف الخبز للشعب، أو أن يكون الناس متساوين في رواتبهم الشهرية. كلاّ، لكن الفوارق بين الطبقات كانت بصورة مذهلة بحيث لا يرضى بها الشعب والثوار المسلمون وقائد الثورة.

إن النظام الطاغوتي والأنظمة التي سادت قبله في إيران لم تكن أنظمة شعبية، ولم يكن للشعب أدنى دور في الحياة السياسية؛ فذات يوم جاء البريطانيون بأحد الأشخاص على رأس انقلاب دبّروه في طهران، ثم توّج نفسه ملكاً. وعندما أراد مغادرة إيران ـ أي عندما أرادوا منه مغادرة إيران بسبب كبر سنه وعدم جدواه لهم ـ فإنه نصّب ابنه ملكاً من بعده! فمن كان هذا الابن وما شأنه؟ وما موقف الشعب ودوره؟ هذا ما لم تكن له أهمية! وكان القاجاريون قبل هؤلاء؛ فكان يموت حاكم فاسد ليحلّ محلّه فاسد آخر، ولم يكن للشعب دور في انتخاب حكومته! وكان الشعب يرفض كل ذلك ويتطلع لأن تكون الحكومة جزءاً منه ومنبثقة عنه وأن يكون للجماهير تأثير في انتخاب الحكومات.

ثالثاً: التديّن؛ فكان الناس يحبون أن يصبحوا متدينين. ولكن النظام البائد كان يسعى في كل مكان ـ في الحياة الاجتماعية وفي الجيش والجامعة والمدرسة ـ إلى جرّ الناس نحو اللاّدينية. وكان الناس يستنكرون ذلك لأنهم كانوا متدينين وكشفوا عن أن الإيمان بالدين والإسلام متغلغل في أعماق حياتهم.

ومن تلك القيم أيضاً الابتعاد عن الإسراف والكماليات في أوساط الطبقة الحاكمة. إن الإسراف والكماليات أمر مرفوض في كل مجال، ولكن الذي كان يجعل الناس يشعرون بالحساسية المفرطة هو ظاهرة الإسراف والتبذير والحصول على كافة الكماليات من أموال الشعب في أوساط الطبقة الحاكمة، وهو ما كان يرفضه الناس. ولهذا جاء النظام الإسلامي ليقضي على تلك الظاهرة تأسيساً على هذه القيمة.

رابعاً: التدين والأخلاق، إن من تلك القيم أن يتصف الحكام بسلامة الدين والأخلاق؛ فلم يكن الشعب يرضى بأن يكون حكامه فاسدين أو غير متدينين أو تعوزهم الأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة هم ومن حولهم من عناصر البلاط، كما كان سائداً في ذلك الزمان!

خامساً: الأخلاق الفاضلة؛ فكان الناس يرغبون في أن تسود المجتمع الأخلاق الطيبة والإسلامية وروح الأخوّة والمحبة والتعاون والصبر والتسامح والغفران ومدّ يد العون للضعفاء ومؤازرتهم، وأن ينتشر قول الحق بين الناس.

سادساً: حرية الفكر والتعبير، واحدة من تلك القيم أيضاً، وهي من القيم الثورية؛ حيث كان الناس يرغبون في أن يفكروا بحرية بعد أن حُرموا حرية الفكر وحرية التعبير وحرية اتخاذ القرار في تلك الأيام،

وهو ما كان يقلقهم، فكانوا يسعون لاسترجاع هذه الحريات.

سابعاً: الاستقلال، ومن تلك القيم الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي؛ فكان الناس مستائين من أن تكون بلادهم واقعة تحت السيطرة السياسية للأنظمة الأوربية أو الأمريكية، أو خاضعة للسيطرة الاقتصادية للشركات العالمية التي تتلاعب بمصير البلاد كما تشاء.. ومن حيث الثقافة، فإن الثقافة الإيرانية ثقافة عميقة وغنية، فينبغي أن لا تكون تابعة للثقافات الأجنبية وتمشي على خطاها معصوبة العينين.

فالقيم التي ننادي بها هي: الدين والإيمان والاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي والاستقلال الثقافي وحرية الفكر وإشاعة الأخلاق الفاضلة وأن تكون الحكومة شعبية وصالحة وأن يتمتع الحكام بالدين والتقوى.. فماذا كانت الوسيلة لتحقيق هذه القيم؟ إنّها روح الإيمان والجهاد والتضحية والإيثار التي ترفرف بين جنبي هذا الشعب المؤمن. وما الذي استطاع رفع عماد هذا الصرح العظيم والبناء الإسلامي الشامخ بعد قرون في هذا البلد؟ إنها تلك القيم التي أسلفنا الحديث عنها، والتي تقرر أن تكون أساساً للنظام الجديد والحياة الجديدة في هذه المنطقة من العالم.

ولهذا فقد ضحى الناس بأنفسهم وأبنائهم واستشهد الكثيرون منهم في سبيل الله عملاً على تحقيق هذه القيم.

إن الشعب كان يعرف ماذا يريد وكان يسعى لتحقيقه؛ وسأبيّن فيما بعد أن كل تلك القيم يمكن تحقيقها جميعاً في المجتمع، وأن ما حققه النظام الإسلامي منها حتى الآن هو ما لم يكن يحلم به ولا يتصوره أحد.

إننا نبدو متخلّفين اليوم لأننا نقارن بين وضعنا الحالي والوضع النموذجي، ولكن إذا ما قارنا بينه، وبين وضعنا في الزمن الماضي وبينه وبين

الأوضاع الراهنة في بلدان أخرى، لوجدنا أن هذا النظام كان ناجحاً جداً بما حققه من إنجازات في هذا المضمار، وأن هذه الثورة استطاعت حقيقةً أن تفعل الكثير، وهو ما كان يتطلع إليه الشعب. ومع ذلك فإن البعض يحلو لهم القول بأن الشعب لم يكن يدري ماذا يريد! كلاّ، لقد كان الشعب يدري جيداً ماذا يريد، وإنه كان يريد الإسلام.

إن الإسلام ليس هو مجرد الصلاة والسجود ـ فهذا جزء من الإسلام ـ وإنّما يعني إقامة نظام اجتماعي وتأسيس حياة عامّة للجماهير قائمة على قواعد راسخة توفر لهم سعادة الدنيا والآخرة وتضمن لهم الاستفادة من العلم والتطور والصناعة والثروة والرفاهية والعزة الوطنية وما سواها، وهو ما كان يتطلّع إليه شعبنا.

إن الذين لم يكونوا على دراية بالإسلام، ولم يكونوا يريدونه من أعماق قلوبهم، كان يجدر بهم على الأقل ألاّ يتجرأوا ويتّكئوا على الأنظمة الغربية الطاغوتية أو أن يديروا ظهورهم لهذا النظام. ولكنهم يجلسون هاهنا ويبثّون الإثارات يميناً وشمالاً قائلين بأن الشعب لم يكن يدري ماذا يريد لدى استفتائه حول الجمهورية الإسلامية! كيف لم يكن الشعب يدري ماذا يريد؟ وإذا لم يكن يدري فكيف بذل كل هذه التضحيات وتحمل ثماني سنوات من الحرب المفروضة؟ لقد كان الشعب ومازال يدري جيداً ماذا يريد.

إن هذه القيم السائدة الآن في المجتمع والتي تمثل القاعدة للنظام الإسلامي ينبغي علينا أن نقبل بها جميعاً، إذ لو قبلنا ببعضها ورفضنا البعض الآخر لكان الأمر ناقصاً، ولو أعطينا لبعضها أهمية وتجاهلنا البعض الآخر لما تحقّق الهدف. هذا أولاً. وثانياً فإن الثورة نفسها حركة وتحوّل

وتقدّم نحو الأمام، فيجب علينا إصلاح الأساليب الخاطئة يوماً بعد آخر واتخاذ خطوة جديدة بغية تحقيق النتائج المتوخّاة[١].

التقدم والتمسك بالمبادئ

□ ما هو الطريق الأمثل لتقدم البلاد وتطورها، وما هي الطرق التي لا تؤثر ـ سلباً ـ على ما نؤمن به من قيم وأخلاق دينية؟

لابدّ هنا من توفر عناصر ثلاثة. وبودّي أن يهتم الشباب بذلك في الدرجة الأولى ولاسيّما تلك العناصر المؤثرة في مجال النشاطات السياسية؛ فعليهم بالإصغاء لما أقول. هناك عناصر ثلاثة أساسية: أولها الاهتمام بالقيم التي قامت الثورة على أساسها والحفاظ عليها. وثانيها أن ننظر إلى هذه القيم التي قامت ككل لا يتجزأ، فلا يهتم أحدنا بالاستقلال السياسي والثقافي والاقتصادي دون التدين، أو يهتم بالتدين دون الاهتمام بالحرية الفكرية، أو يهتم بحرية الفكر والتعبير دون الاهتمام بالحفاظ على الدين والإيمان لدى الجماهير،لأن ذلك يعد نقصاناً. فلابد من الاهتمام بالقيم جميعاً كوحدة كلّية.. وإن الأجهزة الحكومية هي التي يجب عليها أن ترعى هذه القيم وتقوم بالحفاظ عليها وحراستها. وأمّا العنصر الثالث فهو الحركة إلى الأمام؛ فالركود والسكون والصمت يبعث على الجمود والتحجّر والركون إلى القديم، فتفقد القيم فعاليتها وروحها. وإن الإبقاء على كل ما هو قديم يؤدي إلى الدمار، ولا من سبيل للتغلّب على ذلك سوى التقدم والإنطلاق للأمام، وهذه الحركة والإنطلاق إلى الأمام هو ما عبّرت عنه يوم تاسوعاء بـ(الإصلاحات الثورية)؛ فلو لم تقم الإصلاحات والتقدم والتجديد

---

(١) خطبة القائد في صلاة الجمعة، في تاريخ: ١٤٢١/٢/٧هـ ق، ٢٠٠٠/٥/١٢م.

على أساس القيم الثورية لأصيب المجتمع بالفشل. فهذه هي الأصول الأساسية، أي الاهتمام بالقيم، وألاّ نفرق بينها، وأن نواصل التحول والحركة نحو الأمام بجدّية في إطار القيم.

وفي الحقيقة فإن بيننا في المجتمع من يهتم ببعض هذه الأركان دون بعضها الآخر؛ فثمّة من يهتم بالقيم دون التطور والتحول، وبالعكس فثمة من يهتم بالتحول والتطور، ويتحدث عن التغيير والتجديد، دون أن يعير الأهمية اللازمة للقيم. ولا يعني هذا أنه لا يقبل بها، كلا، بل إنه يقبل بها، إلاّ أن همّه الأول هو التقدم والتغيير والتحول وليس القيم. وثمّة أيضاً من هم على العكس من ذلك، أي أنهم يؤمنون بالتطور ولكن قضيتهم الأولى هي الحفاظ على القيم. وأما بالنسبة للقيم، فهناك من يهتم أكثر بتدين وإيمان الجماهير، وهناك من يهتم بأمر استقلال البلاد من نير تسلّط القوى الكبرى، وهناك من يهتم بموضوع الحرية، ومن يهتم بقضية الأخلاق أكثر من غيرها من الأمور والقضايا الأخرى. وهذا في الحقيقة شيء طبيعي، ولا غبار عليه، ولكن من الأفضل أن يهتم الكل بكل هذه العناصر، وإذا اهتم البعض بعدد من القضايا واهتم البعض الآخر بعدد آخر، فهذا أمر حسن جيد حيث بوسع أحدهما أن يكمل الآخر؛ فالذين يهتمون بالقيم يكملون سواهم من الذين يهتمون بالتحول والتطور، والذين يهتمون بالتحول والتقدم يكملون أولئك الذين يهتمون بالقيم.

وإنه من الممكن أن ينشأ خلاف. ولكن هذا الخلاف لا أهمية له؛ فمن الممكن أن يتّهم الذين يهتمون بالقيم أكثر أولئك الذين يهتمون بالتحول بأنهم معرضون عن القيم. وبالعكس، إذ من الممكن أن يتّهم دعاة التطور سواهم من دعاة القيم بأنهم لا يؤمنون بالتقدم والرقي والحركة إلى

الأمام وينادون بالجمود والتوقف. فهذه ظاهرة يمكن أن تكون موجودة أو ستوجد في المجتمع، ولكن لا إشكال في ذلك ولا أهمية له، فينبغي على كل فئة أن تتحمل الأخرى وألاّ ترفضها. وعندما يقبل الجميع بالقاعدة الأساسية ـ أي القيم والتحرك في إطار القيم ـ بشكل عام، فلا أهمية حينئذٍ أن يولي البعض أهمية لقسم منها ويولي البعض الآخر أهميتهم للقسمِ الآخر، ولا داعي لنشوب الصراع.

إن الحد الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء ليس حداً واقعيّاً ولا مصيريّاً، وبوسع الجميع أن يحققوا وحدة عامّة فيما بينهم وأن يجسّدوا الهوية الكلّية للمجتمع الإسلامي والثوري وأن يعملوا كجناحين في الحقيقة، أي جناحين لطائر واحد؛ فلو تحرك الجناحان جيداً لحلّق الطائر وارتفع في الفضاء. إن الذائبين في القيم ـ بشرط ألاّ يديروا ظهورهم للتطور ـ وكذلك الذائبون في التحول والتقدم والحركة للأمام والتغيير والتبديل ـ بشرط عدم التنكّر للقيم ـ سيعودون جميعاً بالنفع على المجتمع كجناحين مرفرفين، وسيكملون الثورة في الحقيقة، وسيحققون التقدم في ظل القيم، وسيكونون على ما يرام[1].

(١) خطبة القائد في صلاة الجمعة، في تاريخ: ١٤٢١/٢/٧هـ ق، ٢٠٠٠/٥/١٢م.

فقاهة الحاكم

□ حبذا لو توضحوا لنا بشكل إجمالي أنه لماذا يصر الإمام رحمه الله تعالى وكذلك الدستور على أن يكون في رأس السلطة فقيه عادل عارف بأمور زمانه؟

يجب أن يكون فقيهاً حتى يكون عالماً بالقيم الدينية والمثُل الإسلامية؛ فمن الممكن أن يكون البعض جيدين ولكنهم يجهلون أمور الدين ولا يدركون جيداً مضامين القرآن والسنة والحديث والمفاهيم الدينية، وحينئذ من الممكن أن يخطئوا غير عامدين ولا مغرضين. إذاً.. فلابدّ أن يكون فقيهاً.

ويجب أن يكون عادلاً، لأنه لو تخلّف عن واجبه فلن يكون هناك ضمان للتنفيذ. ولو كان لا يفكر إلاّ في نفسه ودنياه وسعادته والحفاظ على منصبه فلن يبقى الضمان الضروري لسلامة هذا النظام. إذاً، لو كان عارياً عن العدالة لكان معزولاً بذاته دون أن يعزله أحد آخر.

ويجب أن يكون عارفاً بأمور زمانه، لأنه لو لم يكن كذلك لوقع فريسة للخداع؛ فلابد أن يكون عارفاً بأمور زمانه حتى يعرف الأعداء ويكتشف الحيل والمؤامرات ويتّخذ بشأنها الإجراءات اللازمة حسبما يقتضيه واجبه. وقد راعى الدستور كل ذلك، وهو المطلوب[1].

---

(١) خطبة القائد في صلاة الجمعة، في تاريخ: ١٤٢١/٢/٧هـ ق، ٢٠٠٠/٥/١٢م.

□ إن بعض الأجنحة السياسية تقوم بانتقاء ما يناسبها من القيم المعنوية للثورة على حساب باقي القيم فهل هناك خطر ينتج عن هذا الأمر أم أن المسالة تبقى في حدود اختلاف السلائق الذي تتميز به الأحزاب السياسية عادة؟

هاهنا تكمن المخاطر، والمهم هو أن نحذر الأخطار. إن الخطر يهدد كلا الطرفين، فخطر التحجر يهدد من يهتمون بالقيم دون الاهتمام بالتطور والتغيير والتقدم، فليكونوا على حذر. كما أن خطر الانحراف يهدد أولئك الذين يهتمون بالتطور والتغيير أكثر من اهتمامهم بالقيم، فليكونوا هم أيضاً على حذر. فليأخذ كل واحد منهما حذره، كي لا يصاب الجناح الأول بالجمود والتحجر، ولا يصاب الجناح الثاني بالانحراف والتمهيد للأعداء والمعارضين لمبدأ القيم. وإن هذين الجناحين لو أخذ كل منهما حذره لاستطاع المجتمع أن يشقّ سبيله نحو التكامل والرفعة التي أرادها الإسلام له في ظل الوحدة المطلوبة.

فأحد الأخطار ـ إذاً ـ هو الذي يهدد هذين الجناحين جراء الغفلة، ولكن هناك خطر أعظم من ذلك، وهو إنه خطر النفوذ، فمن الممكن أن يكون الجناحان وسيلة للنفوذ والتغلغل! وأحياناً يكون بوسع الأعداء أن يتغلغلوا من خلال كلا الطرفين؛ فمن الطرف الأول بذريعة كونه أصوليّاً ولا يرضى بالتطور، ويرفض سبل التقدم ويريد أن يعود بالثورة القهقرى. والأخطر من ذلك هو الطرف الثاني، أي معارضة مبدأ القيم وأصل الإسلام وأساس التدين وقاعدة العدالة الاجتماعية بذريعة التغيير والتقدم والتطور، فيقع نهباً للرأسمالية الغربية، ولا يكون همّه سوى الكسب المادي، ويصبح معارضاً لإزالة الفوارق بين الطبقات، ومخالفاً لاسم الدين، حتى لو لم يصرح بذلك!

إنه من الممكن أن يصل هؤلاء إلى الحكم ويدخلوا الساحة باسم التطور والتغيير والتقدم والإصلاح، ومن الممكن أن يتغلغلوا في الهيكل الاقتصادي للمجتمع.. ولو نفذ أمثال هؤلاء الأجانب والغرباء إلى الهيكل الاقتصادي للمجتمع لشكّلوا خطراً عظيماً، لأنه من الضروري أن تتحكم يد أمينة في اقتصاد وأموال وثروات المجتمع. ولكنّ الأخطر من ذلك هو أن يتغلغل هؤلاء في المراكز الثقافية وينفذوا إلى عقول الجماهير وإيمانهم ومعتقداتهم وخط سيرهم الصحيح، فيقبضوا على زمامها ويتحكموا فيها ويحدث ما هو واقع الآن في مجالات الصحافة والإذاعة والتلفزيون في عالم الغرب، أي تتحقق الرأسمالية.

وكما أن الإذاعات والتلفزة الدولية والإمبراطورية الخبرية العالمية يتحكم فيها الرأسماليون، فإن هؤلاء يدخلون إلى بلادنا ويسيطرون على مؤسساتنا الثقافية ويطمحون إلى طبع بصماتهم في حياتنا عن طريق الثقافة، وهو ما شاهدتُ دلائله قبل عدة سنوات هنا وهناك وأطلقتُ عليه اسم (الغزو الثقافي)، فقبل بذلك البعض ورفضه آخرون من الأساس قائلين إنه لا وجود البتة لهذا الغزو الثقافي! فلو جاء البعض ونادوا بالتطور دون الإيمان بأصل القيم، فواضح أي تطور هذا الذي يريدونه..! إنه تحويل النظام الإسلامي إلى نظام غير إسلامي. وإن التطور في نظرهم يعني إزالة اسم الإسلام وحذف حقيقة الإسلام والتخلي عن الفقه الإسلامي! وبالطبع فإننا نعرف بعض هؤلاء؛ فبعضهم من مخلّفات النظام البائد الذين أكلوا واتخموا على حساب ذلك النظام ثم لم يستطيعوا أن يجدوا لهم مكاناً بين الجماهير، فجاؤوا اليوم ليجرّوا أنفاسهم ويشمخوا برؤوسهم ويدّعوا الحرية وحبّ الجماهير ويتشدّقوا بالديمقراطية، وهم الذين كانوا عملاء

ظلم وجور للبلاط الذي كان يتحكم في رقاب هذا الشعب منذ خمسين عاماً مضت، دون إعارة أدنى اهتمام للشعب طوال تلك المدة! ثم برزوا اليوم ليرفعوا شعار الإصلاحات، وهم الذين عملوا بكل كيانهم في خدمة ذلك النظام!

فما معنى هذه الإصلاحات؟! إن هذه الإصلاحات هي الإصلاحات الأمريكية! أي أنكم يا أبناء الشعب الإيراني الذين قطعتم يد أمريكا تعودون لإصلاح أسلوبكم هذا وتأذنون للسادة الأمريكيين بالتفضل لدخول بلادكم ليأخذوا من جديد بزمام الاقتصاد والثقافة وإدارة شؤون هذه البلاد!

وأمّا البعض الآخر فلا ينتمون للنظام الغابر، ولكنهم منذ بداية الثورة، وحتى قبل الثورة، أظهروا أنهم لا يرغبون تماماً في إدارة البلاد طبقاً للشريعة الإسلامية! إنهم يريدون اسم الإسلام ويحبون اسم الإسلام، وليسوا أعداءً للإسلام بهذا المعنى، ولكنهم لا يؤمنون أبداً بالفقه الإسلامي والأحكام الإسلامية وحاكمية الإسلام، بل يؤمنون بالأساليب الفردية؛ وقد استطاع بعضهم السيطرة على الأمور والأخذ بزمامها في بداية الثورة.. ولو لم يكن الإمام قد وضع الثورة نصب عينيه لأعادوا الثورة برمّتها وهذا البلد للهيمنة الأمريكية من جديد! إن هؤلاء ينادون أيضاً بالإصلاح، وينادون أحياناً بالإسلام أيضاً، ولكنهم ينضمون لمن يرفعون الشعار صراحة ضد الإسلام ويعربون عن تضامنهم معهم! إنهم ينادون بالإسلام أحياناً ولكنهم يعملون مع أولئك الذين يرفعون شعار معارضة الحكومة الإسلامية وشعار العلمانية وشعار الفصل بين الدين والحكومة وشعار الحكومة اللادينية والحكومة المضادّة للدين وشعار المادية! ومن الواضح أن هؤلاء وصوليون ونفوذيون، وليسوا ممّن يقبلون بالقيم ولا ممّن يؤمنون بالتطور؛ كلا، إنهم

فقط وصوليون وأجانب وغرباء.. لقد تحدثتُ قبل عدة شهور من هنا ولكن البعض رفع عقيرته بالاستنكار لهذا المصطلح! نعم، إنهم ليسوا منّا، وإنهم يرفضون الثورة والإسلام والقيم، فلتكن الأجنحة التي هي منّا على حذر من هؤلاء[1].

بناء الحضارة الإسلامية

□ تفضل سماحتكم بأن بناء حضارة إسلامية هو أهم هدف يسعى لتحقيقه النظام الإسلامي ومن المعلوم أن ذلك يتوقف على توفر عناصر يمكن من خلالها الوصول إلى هذا الهدف فما هي تلكم العناصر وهل ثمة من يتحمل دورا رياديا في هذه المسألة؟

إنه لابد من توفر عنصرين أساسيين لتحقيق حضارة إسلامية ـ كما هو الأمر بالنسبة لسائر الحضارات ـ وهما: إبداع الفكر، وتربية الإنسان.

الإبداع

فالفكر الإسلامي هو بمثابة بحر عميق ومحيط زاخر، وكل من وقف على شاطئ المحيط لا يستطيع الإدعاء بأنه قد عرف هذا المحيط. كما أنه ليس بوسعِ كل من سبح لعدة أمتار بالقرب من الشاطئ أن يزعم بأنه قد بات عارفاً بهذا المحيط؛ فالغوص في هذا المحيط المتلاطم وبلوغ أعماقه وسبر أغواره ـ كما يستفاد من الكتاب والسنة ـ هو عمل ينبغي على الجميع القيام به، وهو أمر لابد من الإتيان به على طول الزمان. إن الإنتاج الفكري في كل زمان بما يتناسب مع متطلبات ذلك الزمان هو أمر ممكن

---

(١) خطبة القائد في صلاة الجمعة، في تاريخ: ١٤٢١/٢/٧هـ ق، ٢٠٠٠/٥/١٢م.

بالاغتراف من هذا المحيط المعرفي الهائل. إن كلام المرحوم الشهيد مطهري كان يبدو غريباً بالنسبة للبعض في يوم ما؛ لقد كان كلامه كلام الدين، وكلام القرآن، وكان كلاماً إسلامياً، ومع ذلك فإن الكثيرين من المعنيين بالدين والقرآن والإسلام كانوا يعتبرونه كلاماً غريباً! إن هذا ممكن في كل زمان بالنسبة للمفكرين الواعين، والعارفين بالقرآن والحديث وأساليب الاستنباط منهما، والواقفين على المعارف الإسلامية وفكر القرآن والحديث والسنة الإسلامية، بحيث إنهم لو كانوا مدركين لمتطلبات العصر لكان بوسعهم تلبية هذه المتطلبات ومعرفة ما تريده البشرية واستخراج لغة العصر من المعارف الإسلامية. إن هناك الجديد دائماً مما يقال، وإن الإبداع والإنتاج الفكري يعتبر نبراساً هادياً على طريق البشرية.

العلماء هم أصحاب الدور الخلاّق في هذه الحركة

والعنصر الثاني هو تربية الإنسان؛ فانظروا من هم أصحاب الدور الخلاّق، حيث يجب إبداع الفكر وصناعة الإنسان. إن أصحاب الدور الخلاّق هم أولئك الذين ينبغي عليهم أن يعرفوا كيفية ترشيد الأفكار، وهذا هو أحد أبعاد القضية. ولأنه لا يمكن السير على هذا السبيل إلا بالإيمان وطاقة الإيمان والمحبة، فلابد من وجود أولئك الذين يستطيعون تربية الروح الإيمانية في الإنسان. ولا ريب أن مدراء المجتمع هم من أصحاب هذا الدور، وكذلك السياسيون والمفكرون والمثقفون، وأيضاً فإن أبناء الشعب يستطيع كل منهم على نحو ما أن يجعل لنفسه دوراً، إلاّ أن دور علماء الدبن ودور أولئك الذين يستخدمون الأسلوب الديني في سبيل تنمية إيمان الجماهير هو دور فريد وبلا نظير. إن مدراء المجتمع في حاجة أيضاً لعلماء الدين من أجل أن يكون دورهم دوراً سليماً، وكذلك

السياسيون والعاملون بالحقل السياسي، علاوة على البيئات العلمية والثقافية المختلفة. فمن الممكن أن يومض ضوء كلمات عالم دين زاهد وعارف بزمانه فيكون سبباً في انجلاء الظلمات عن الأفئدة، وكثيراً ما حدث ذلك. وإن دوراً من هذا النوع لهو دور فريد. إننا لا نحصر الدور بعلماء الدين، ولكننا نراه لدى علماء الدين أبرز منه لدى الفئات الأخرى. ولهذا فمن الواضح أن الفكر والإيمان الديني والإبداع الفكري كلها من الأمور الضرورية واللازمة للإنسان لاجتياز هذا الطريق، وهو ما لا يتحقق إلا بوجود علماء الدين في الساحة. ومن الطبيعي فلابد أن تتوفر في عالم الدين الشروط اللازمة للقيام بهذا الدور، وهي شروط سأوضحها في نهاية هذا الحديث. وبالتأكيد فإن من بين أفراد الشعب من يقوم بدور ديني، وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاستعداد لأن يكون في موقع يمكّنه من أداء دوره.

الشروط اللازمة للقيام بهذا الدور الخلاق

إن الأوساط الحوزوية وعلماء الدين بوسعهم أن يكونوا أصحاب دور فريد فيما لو شبّوا وترعرعوا في بيئة تربوية سليمة وارتقوا المدارج اللازمة، وهو ما جعل من إمامنا العظيم الراحل نموذجاً لعلماء الدين؛ فلولا وجود الإمام بحماسه المتوقد ومنطقه السديد وثباته وصموده على هذا الطريق، ولو لم يستطع أن يجمع حوله كل هذا الحشد الغفير من علماء الدين، لما قام الشعب الإيراني بهذا التحرك العظيم بالتأكيد. إنه لم يكن بمقدور أي حزب سياسي أو أحد رجالات السياسة أو الجامعات أو أية شخصية اجتماعية مرموقة ومحبوبة بثّ الروح الحيوية في جماهير الشعب الإيراني العظيم ودفعها للخروج إلى الشوارع، إلاّ علماء الدين بقيادة الإمام

العظيم بكل ما له من خصوصيات متفردة والتي لولاها لما كان هذا الإنجاز أمراً يسيراً. فهذا هو دور عالم الدين الذي يتمتع بالشروط اللازمة والذي يظهر في الوقت المناسب، فيغدو صاحب دور عظيم يحفظه له التاريخ.

إن على طالب الحوزة العلمية الذي يدرس العلوم الدينية ويطبق برامج الحوزة أن يصبو للقيام بدور خلاق في هذه الحركة الشعبية العظيمة، ولا يجب بالضرورة أن يكون هذا الدور على غرار دور الإمام، بل إن هناك العديد من الأدوار التوعوية والإرشادية ممّا يقوم به الأنبياء، إذ إن صناعة الإنسان القويم والمؤمن تعتبر من الأهمية بمكان بحيث لو أنفق عالم الدين كل عمره وسعيه في سبيل تحقيقها لكان قد قام بإنجاز عظيم.

إن على طلاب وفضلاء الحوزات العلمية أن يقوموا بدور بنّاء في هذه الحركة الجماهيرية الواسعة وذلك الخط المستقيم الذي ينتهجه النظام الإلهي والإسلامي بعظمة وتألق، وأن يضفوا على هذا التحرك ما ينبغي له من حتمية ويسر في انطلاقته الرائدة. إن ثمة تحديات جسام تواجه النظام الإسلامي، فلو لم نكتشف هذه التحديات ـ الموجود منها والمتوقع ـ فلن يمكن القيام بالدور على ما ينبغي، ولن يمكن فهم الواقع ومواجهته. إذاً فالقضية التالية هي معرفة معضلات وتحديات النظام الراهنة.

إن الذي يجب توفره فيمن يريد السير على هذا الطريق هو معرفة الكمائن والموانع التي ينبغي مواجهتها والاستعداد لاجتيازها، حيث إن «**العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس**»[1]. والعالم بالزمان ليس هو الشخص الذي تربطه علاقات حميمة بعدد من الناس فحسب، ولا الذي تطرق سمعه أخبار من هنا وهناك، بل هو الذي يعرف أين يعيش من هذا

---

(١) الكافي، ج:١ ص: ٢٧.

العالم، وما هي صفوف المعارضة القائمة أمامه، وما هي أسباب هذه المعارضة وأهدافها، وما هي خطة المناوئين لبلوغ هذه الأهداف؛ فهذا هو العالم بالزمان. وبالتأكيد فإن هذا العداء وهذه المناوأة ليست أمراً شخصياً، فليعرف أين هي، وما هي الحواجز التي تعترض نظامه وتعوق طريقه وتحول بينه وبين الوصول إلى أهدافه.

إنني أقول لكم بأن العقبات والمشاكل والكمائن الماثلة على طريق أي مجتمع أو نظام أو مجموعة لا تمثل طريقاً مسدوداً رغم ما فيها من أذى ومضايقات. ويمكن القول ـ من ناحية ـ بأن المشاكل تعدّ من النعم لأنها سبيل التطور. إن الشعوب لا يمكنها بلوغ طموحاتها دون معالجة ما يعنّ على طريقها من حواجز وعقبات؛ فلو لم يخض الشعب الإيراني غمار حرب امتدت على طوال ثماني سنوات، برغم ما تكبده من خسائر وأضرار فادحة، لما حقق لنفسه هذه الثقة بالنفس وهذا الإزدهار العلمي والعسكري والصناعي وهذه العزة الماثلة أمام أنظار العالم، ولما جفّت آمال التسلط على هذا الشعب في قلوب الأعداء الألدّاء وأصابهم اليأس، ولاسيما العقلاء منهم؛ حيث إن غير العقلاء مازالوا يعيشون هذا الأمل! ولهذا فإن المشاكل هي هكذا دائماً، وعلى كل شعب أو مجتمع إنساني أن يتخطى هذه الموانع إذا أراد الانطلاق على سبيل الصلاح والفلاح وطريق بلوغ الأهداف المنشودة.

إن لكل مجموعة أو بلد أو مجتمع مشاكله الخاصة في كل زمان، وثمة علاقة بين أهداف كل شعب وما يعترض طريقه من عقبات ومعضلات لابد له من التغلّب عليها؛ فكلما كانت الأهداف رفيعة وسامية كانت المشاكل بالقدر المتناسب مع هذه الأهداف، وكلما كانت هناك

أصولية في الأهداف عرضتها الأزمات وواجهتها المعارضات بصورة طبيعية، ولهذا فثمة صلة مباشرة[1].

عقبات في طريق النظام الإسلامي

□ ما هي أهم التحديات التي تقف في طريق النظام الإسلامي وتحقيق ما يصبوا إليه؟

إنه لا يمكن لنا أن نقارن عصرنا هذا بعصر صدر الإسلام ونبي الإسلام الأكرم ﷺ؛ فمع أن هناك بعض وجوه الشبه، إلا أن ثمة بعض وجوه الاختلاف أيضاً؛ ففي صدر الإسلام كانت المواجهة الأساسية خلال عشر سنوات من حياة الرسول ﷺ مع جبهات ثلاث هي: جبهة المنافقين في الداخل، وجبهة أهل الكتاب واليهود ـ الذين كان لهم وضع خاص في المدينة وفي ظل حكومة النبي ـ ، وجبهة الكفار والمشركين. فهذه هي الجبهات الثلاث الرئيسية التي تعرفون ما مارسته من تحديات كما ورد في آيات القرآن الكريم ولاسيما في سورة البقرة؛ فالمواجهة مع اليهود لم تكن كالمواجهة والعداء مع كفار قريش، حيث إن اليهود كان لهم ماضٍ، وتاريخ، ومفاخر، وكتاب، ممّا خوّل لهم سلطة على الأميين والجاهلين بالمعارف الإلهية من نوع تلك السلطة التي تفرضها مجموعة مثقفة على مجتمع أمّي.

ولذا فقد كان النبي الأكرم ﷺ يضع أصابعه على المواضع الحساسة في مواجهته مع هؤلاء طبقاً لتعاليم الوحي الإلهي. وقد وردت أبعاد هذا

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤٢١/٧/٧هـق، ٢٠٠٠/١٠/٦م ـ المدرسة الفيضية / قم المقدسة.

التحدي الذي كان بين النبي الأكرم ﷺ وبين اليهود ـ وكذلك المنافقين ـ بشكل تفصيلي في سورة البقرة.

إنه لا يمكن لنا اليوم أن نقول بأننا نواجه مجموعات من هذا القبيل فقط، ولكن أمامنا مجالات للمواجهة والمجابهة بما يتناسب مع وضعنا نحن ووضع نظامنا، وليس المقصود هنا هو المعارضة السياسية بالتأكيد، ولا نريد القول بأن الذين سنشير إليهم الآن هم معارضون سياسيون للنظام أو أنهم يكافحون النظام، كلا، بل إنها مجالات للمكافحة، وإنها تحديات يواجهها النظام الإسلامي بصورة طبيعية.

إن ثمة من يعارضون الدين في الأساس، ولهذا فإنهم يرفضون نظاماً قائماً على أساس السياسة الدينية، لأنهم يرفضون أصل الدين في قرارة أنفسهم. وثمة من يعارضون السياسة الدينية، وهم يعتبرون الدين مجرد طقوس خاصة يمارسها الإنسان في باطنه وفي خلواته، ولا يعتبرون الدين مناسباً للحكومة، وللسياسة، ولإدارة شؤون الناس، لأنهم يرفضون أصل الدين. فأيّ دين هذا؟ إنني لا أدري؟

لقد أطلق النبي الأكرم ﷺ شعارات منذ بداية حركته وفي عصر البعثة لم يمكن فهمها وإدراكها إلاّ بهجرته إلى المدينة وإقامة النظام الإسلامي. إن ذلك التوحيد الذي يدعو له رسول الإسلام، والذي يشجب التفرقة الاجتماعية، ويثير الغلمان والعبيد المظلومين ضد ساداتهم، والذي يجعل الشباب الواعي والمستنير يثور ضد ممارسات الآباء السيئة والخاطئة والمنحرفة، ليس توحيداً فردياً وقلبياً وباطنياً وانعزالياً، بل إنه التوحيد الذي لابد من رفع لوائه، والذي يعيش المجتمع بفضل أسسه ومبادئه، أي عصر المدينة والهجرة. ولقد أقام الرسول ﷺ الحكومة الإسلامية منذ بداية

الهجرة. ولا أدري أن ذلك الذي يؤمن بدين محمد بن عبد الله ﷺ ولكنه لا يؤمن بهجرته وحكومته وولايته وسلطته، كيف يستطيع إقناع نفسه بذلك؟ وعلى أية حال ثمة مجموعة لا تستطيع أن تقبل بالسياسة الدينية، ولا بالدين السياسي.

وهناك مجموعة أخرى مصابة بالنفاق الديني؛ أي أنها تعتقد بضرورة الدين اسماً وعنواناً، ولكنها ترفض حقيقته وكنهه! وهؤلاء لا يستطيعون التنازل والقبول بسهولة عندما يبرز الدين في المجتمع بواقعيته وحضوره واقتداره ويقيم نظاماً ويرسي أساساً للحكومة. ولقد رأينا أولئك الذين يتحدثون باسم الدين والقرآن ونهج البلاغة، ولكنهم يرفضون المفاهيم الحقيقية للقرآن ونهج البلاغة!

وهناك أيضاً مجموعة ممن يحملون لواء التبعية للثقافة الغربية، والمبهورين بالغرب، والذين ينظرون لشعبهم وحضارتهم وتراثهم العلمي وماضيهم نظرة استخفاف واحتقار؛ لقد سحقوا تاريخهم حتى يستطيعوا معرفة الثقافة الغربية المستوردة وتلك الاصطلاحات والمفاهيم والمناهج التي تطرحها تلك الثقافة وتلك الحضارة، والتقرب منها! ولقد كان هناك من قالوا بأنه لابد لنا وأن نكون غربيين من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين! وهم أولئك الذين سببوا التخلف لهذا البلد مقدار مئة عام، والذين كلما أمعنّا النظر اليوم في ممارساتهم وأخطائهم وتقصيراتهم هم وحكامهم والموالين لهم في الحقبة الماضية اتّضحت أمامنا أكثر من ذي قبل. إنهم أولئك الذين كانوا يعتقدون بأنه لا خير في إيران والإيرانيين إلاّ أن يغيروا تماماً من ماهيتهم وأخلاقياتهم وسلوكهم وتصرفاتهم وملابسهم ولغتهم وكتابتهم وكل ما لديهم ويصبحوا كالشعوب الغربية! وهذه مقارنة في غاية

السذاجة والحماقة! فلأن ذلك الشعب يعدّ متقدماً من الناحية التقنية، إذاً فمن الممكن الأخذ بكل ما عنده، وإذا كنّا نطمح في بلوغ هذه المكانة العلمية فلابد لنا أن نقلد ذلك الشعب ونعيش مثله في أخلاقه وسلوكه وعقائده وعاداته وتقاليده! وفي الحقيقة فإن المرء ليعجب كيف يمكن لإنسان يدّعي الثقافة والتنور أن يفكر هكذا بسذاجة وضيق أفق! فهذه مجموعة أخرى أيضاً كانت ولازالت.

وهناك مجموعة من عشاق السلطة والمتعطشين للقوة، ولا شأن لهم بالدين أو الأخلاق أو العقيدة أو الله ومن قبيل هذه الأمور؛ فالذي يهمهم بالدرجة الأولى هو الأخذ بزمام السلطة وهم المتعطشون لها، وهؤلاء يمثلون أيضاً تحدياً أمام النظام الإسلامي.

وهناك مجموعة ممّن لا يستطيعون استيعاب المفاهيم الإسلامية على النحو الصحيح.

هذه هي مجالات التحدي أمام النظام الإسلامي.

ومن الطبيعي ليس كل من ذكرناهم يعتبرون بالضرورة معارضين للنظام الإسلامي، كلا، فمن الممكن ألاّ يكونوا من المعارضين، غير أن النظام الإسلامي ليس بوسعه أن يغض الطرف عنهم، ولا يمكنه أن يتجاهل وجودهم وأفكارهم ومحاولاتهم وأهدافهم ونواياهم وطموحاتهم وكل ما يدور بينهم وما يبدر منهم. فمن الحكمة والتدبير للنظام الإسلامي أن يفتح عيونه على هؤلاء وأن يعرفهم وأن يسعى لمعالجتهم؛ ولا نعني بالمعالجة استخدام القوة والقمع. فلا ينبغي التصور أن المقصود هو استخدام القوة كلّما يقال بأنه يجب معالجة هذا الفكر أو ذلك الشيء، لأن القوة هي سلاح من لا منطق له. وإن كل من يتمتع بالمنطق بإمكانه التوسّل بحرية

الاستدلال والمنطق بالصورة التي تعجز عنها كل حرية أخرى وكل قوة مادية؛ ولهذا فإنه لا حاجة إلى القوة[١].

مستقبل النظام الإسلامي

□ كيف ترون مستقبل النظام الإسلامي وسط هذا الجو المملوء بكل ألوان المادية من نظم سياسية ظالمة إلى ثقافة دنيوية إلى غير ذلك؟

إن النظام الإسلامي هو نظام قد رسم لنفسه نهجاً معقولاً ومنطقياً للتحرك. إن هذه مسيرة لا يمكن لها التوقف أو النكوص، وإنها حركة تكاملية بما تتمتع به من مراحل مختلفة تضمن لها الاستمرار والخلود. لقد تولدت هذه الحركة مع بداية الثورة الإسلامية، وسطع هذا الوميض في هذه النقطة من العالم، فأدهش الألباب، ثم نجح في تشكيل وتحقيق النظام الإسلامي الذي أخذ بزمام الحركة وسار بها قدماً إلى الأمام رغم ما يعترض طريقه من تحديات وعقبات وقلة الإمكانيات. إن هذا النهج لو تواصل بجد وعزم ومساندة ومعرفة بالثوابت الضرورية وعمل بكل ما هو تكليف فإن النتيجة الحتمية ستكون ازدهار الحضارة الإسلامية من جديد واستعادة رفعتها الواسعة في العالم. ولا يعني هذا بالضرورة أن يتوسع النظام السياسي الإسلامي في بلدان العالم الأخرى قبل عصر الظهور، كلا، بل إنه يعني ظهور حضارة تقوم على أساس فكر جديد، ومنطق جديد، وتنظر نظرة جديدة إلى قضايا البشر وحياة الإنسان، وتجد علاجاً لآلام البشرية، وتتحدث بلغة جديدة تفهمها الأجيال الحديثة وطبقات العالم المحرومة،

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤٢١/٧/٧هـق، ٢٠٠٠/١٠/٦م ـ المدرسة الفيضية / قم المقدسة.

وتحمل رسالة للقلوب والأفئدة، مما يمهد لها الانتشار تدريجياً في أوساط المجتمع الإنساني، وهذا شيء يمكن حدوثه. وطبقاً لما أراه اليوم في بلدنا، وما ألمسه من عمق للفكر الإسلامي لدينا، وانطلاقاً من هذه الحركة الواسعة والعظيمة التي أخذت في تعميق هذا الفكر منذ بداية الثورة والتي حققت الكثير من الإنجازات حتى اليوم، فإنه يبدو لي أن هذا المستقبل هو مستقبل حتمي وأكيد بالنسبة للنظام الإسلامي[1].

الوصول إلى المجتمع الإسلامي

□ ما هي المراحل التي يجب طيها من أجل الوصول لهدف الإسلام السامي وهو بناء عالمٍ إسلامي وأين نقف نحن الآن أي في أي مرحلة؟

إننا نصبو إلى ذلك النظام وتلك المؤسسات وتلك الحكومة التي يمكن من خلالها تحقيق الأهداف السامية، وذلك يتطلب مشواراً طويلاً وشاقاً تمثل الثورة الإسلامية نقطة بدايته. وعندما نطلق اسم الثورة فإننا لا نريد بها بالضرورة المواجهات والاضطرابات والهرج والمرج وما إلى ذلك، خلافاً لتلك الانطباعات التي يثيرها البعض في كتاباتهم وهم يشعرون بالحبور لتلاعبهم بتلك الكلمة! إنهم أحياناً يريدون تصوير الثورة على أنها أعمال شغب واضطرابات وقلاقل وفوضى، ثم يقولون: إننا لا نريد ثورة؛ أي أن الثورة شيء سيّئ ورديء! إنّها انطباعات خاطئة حول الثورة؛ فالثورة تعني التغيير الأساسي والبنيوي. وفي أغلب الأحيان فإنه لا يمكن القيام بهذا التغيير الأساسي بدون تحديات صعبة وبلا صدامات، ولكن هذا لا يعني أن الثورة لابد لها دائماً من التلازم مع الاضطرابات والقلاقل وسواها؛ كلا.

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ١٤٢٢/٩/٢٦هـق، ٢٠٠١/١٢/١٢م.

وفي نفس الوقت فإنه لا يمكن إطلاق اسم الثورة على كل شغب واضطرابات وقلاقل عامة أو جماهيرية، ولا على أي تغيير مهما كان أمره، بل إن الثورة تعني تبديل الأسس الخاطئة بأسس صحيحة حيثما كانت، وهذه هي الخطوة الأولى. وبعد الثورة مباشرة لابد من إقامة النظام الإسلامي. والنظام الإسلامي يراد به تطبيق مشروع منسّق وشكل إسلامي عام في مكان ما، وذلك كما حدث من إسقاط نظام ملكي استبدادي وفردي ووراثي وعميل في بلادنا واستبداله بنظام ديني شعبي متّسق بهذه الصورة التي اختارها له الدستور؛ أي نظاماً إسلامياً. وأما بعد قيام النظام الإسلامي فيأتي دور تشكيل الحكومة الإسلامية بمعناها الحقيقي، أو بتعبير أدق إيجاد حكام وسياسيين على النسق الإسلامي. ولأن هذا غير متوفر منذ اللحظة الأولى، فلابد من العمل على توفيره وتحقيقه بالتدريج. وعلى المسؤولين والحكام أن يكونوا متطابقين مع تلك الضوابط والشرائط التي ينبغي توفرها في شخص مسؤول في الحكومة الإسلامية؛ فإمّا أن يتم اختيار أشخاص من هذا الطراز ـ إن وجدوا ـ وإمّا أن يعملوا على تكميل ما ينقصهم ويزاولوا مهامّهم، وهذه هي المرحلة الثالثة التي نعبّر عنها بإقامة الحكومة الإسلامية. وإذا ما جاء النظام الإسلامي، فينبغي أن تكون الدولة إسلامية؛ أي الدولة بمعناها العام، وليس فقط مجلس الوزراء، بل السلطات الثلاث، والمسؤولين، والقائد، وكافة المؤسسات. وأمّا المرحلة الرابعة ـ والتي تأتي فيما بعد ـ فهي البلد الإسلامي؛ فإذا ما أصبحت الدولة أو الحكومة إسلامية بمعنى الكلمة، فإن البلد سيصبح إسلامياً هو الآخر بالمعنى الصحيح للكلمة، ولسوف يتم إقرار العدالة، والقضاء على التمييز الطبقي، والتغلب على الفقر تدريجياً، وتحقيق العزة الحقيقية لذلك الشعب، ويحقق ذلك البلد المزيد من التطور على نطاق العلاقات الدولية؛ وهذا هو

البلد الإسلامي. فإذا تجاوزنا هذه المرحلة، فإن المرحلة التالية هي مرحلة العالم الإسلامي، إذ يمكن إيجاد عالم إسلامي من خلال البلد الإسلامي، وإذا ما كان النموذج قائماً فمن الممكن خلق نماذج أخرى على غراره.

ففي أي مرحلة نحن الآن؟ إننا في المرحلة الثالثة، ولم نصل بعد لمرحلة البلد الإسلامي، ولا يمكن لأحد الإدعاء بأن بلدنا بلد إسلامي. نحن صممنا نظاماً إسلامياً ثم طبقناه على نطاق الواقع ـ وكلمة (نحن) تعني أولئك الذين قاموا بذلك ـ ولدينا الآن نظام إسلامي واضح المعالم. ومعلوم كيف يجب أن يكون المسؤولون، وما هي مهام السلطات الثلاث، وما الذي يجب على الحكومة عمله، إلاّ أنه لا يمكنني الإدعاء بأننا بلد إسلامي، فمازال ينقصنا الكثير.

إن علينا أن نبني أنفسنا وأن ننطلق إلى الأمام، وعلينا أن نقوم بتربية أنفسنا؛ وبالطبع إذا ما كان هنالك إمام معصوم يتصدى للأمور كأمير المؤمنين بحيث يكون قوله وفعله وسلوكه حجّة فإن مهمة المسؤولين في النظام ستكون أكثر يسراً وسهولة، لأن لديهم النسخة الكاملة الحقيقية التي يمكن الإقتداء بها. ولكن عندما يكون شخص مثلي على رأس السلطة فإن الأمور ستكون أكثر صعوبة بالنسبة للمسؤولين، ولكن ثوابهم سيكون أكثر أيضاً. إن أجرهم سيكون عظيماً إذا ما استطاعوا مواصلة هذا الطريق؛ فليبذل كل منكم جهده، وليطابق نفسه مع النموذج الإسلامي، واجعلوا من دينكم وتقواكم واهتمامكم بأمور الناس ومراعاتكم للأحكام الشرعية ورعايتكم لبيت المال والاجتناب عن الأنانية وحب النفس ومحاباة الأصدقاء والأقارب والابتعاد عن الكسل والبطالة وحب الشهوات وما إلى ذلك متطابقاً مع النموذج الإسلامي. وبوسع كل منكم أن يقوم بواجبه في

هذه المجالات وأن يشق طريقه إلى الأمام وأن يبني نفسه، ومن المتيقّن أن أجركم سيفوق أجر من كان يقوم بهذه الواجبات في عهد أمير المؤمنين، لأنه كان ينظر إلى أمير المؤمنين الذي هو نموذج للكمال، وهو ما تفتقرون إليه أنتم، حيث لا يوجد بينكم أحد من ذلك الطراز لتقتدوا به، سوى أن الضوابط في أيدينا جميعاً، ولكلٍّ منّا مهمة وواجب ينبغي عليه أداؤه[1].

لقد أكدت في العام الماضي أن مسيرة تحقيق الأهداف الإسلامية مسيرة طويلة، وشاقة بطبيعة الحال، والإنسان إنما يقترب من هذه الأهداف اقتراباً نسبياً، أما تحققها فمسيره طويل جداً، والخطوة الأولى فيه ـ والتي هي الأكثر إثارة وضجيجاً ـ هي الثورة الإسلامية، فهي ليست بالأمر الهين لكنها الأسهل. والخطوة اللاحقة هي تبلور النظام الإسلامي على خلفية الثورة الإسلامية، وما نسميه بالنظام الإسلامي، يعني أن تصبح الهيكلية العامة للمجتمع هيكلية إسلامية، وهذا ما تحقق. والخطوة اللاحقة ـ والتي هي أكثر صعوبة ـ هي إقامة الحكومة الإسلامية، والحكومة هنا لا تعني مجلس الوزراء وإنما مجموعة المسؤولين الحكوميين، أي أنا وأنتم، فيجب أن نتميز بإسلاميتنا في إطار هذا النظام الإسلامي، وهذه المرحلة هي الأصعب من سابقاتها.

علينا ـ نحن المسؤولين ـ القيام بعملية بناء متواصلة للذات ومحاسبتها على الدوام، والتواصي فيما بيننا بالحق وإرشاد بعضنا بعضاً ونغدو كالمرآة لبعضنا نكشف عيوبنا فيما بيننا ونسعى لإزالتها ونرتقي بأنفسنا نحو الأحسن يوماً بعد يوم، ومن تصدى للمسؤولية حديثاً يؤسس نيته على أن هدفه من تقبل المسؤولية هو إصلاح نفسه من أجل خدمة الشعب،

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ١٤٢١/٩/٥هـق ـ ٢٠٠٠/١٢/٢م.

إذ ذاك يتسنى إقامة الحكومة الإسلامية. فيتعين على السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ومسؤولينا على اختلافهم التأقلم في إطار هذه الأطر والموازين الدينية والأخلاقية الإسلامية بالمستوى المعقول، وهذه هي المرحلة الثالثة. ونحن الآن نمر بهذه المرحلة، وعلينا أن نعيش سعياً دؤوباً حيثما كنا؛ في مجلس الشورى، أو في الوزارة، أو في السلطة القضائية، أو من صنف علماء الدين، فإن أول وأهم واجب نتحمله هو إصلاح أنفسنا، لأن إصلاح شخصيتنا لا يعني إصلاح فرد بحد ذاته، إذ لنا تأثيرنا، فكل كلمة أو توضيح أو قرار منا له تأثيره في المجتمع، فإن أصلحنا أنفسنا نكون قد أصلحنا المجتمع. ولقد ولّى زمن ما قبل الثورة حيث كان البعض مشغولين بأنفسهم، وكنا يومها نؤاخذهم وندعوهم للاهتمام بالمجتمع والشعب والتفكير بسائر الغرقى لا أن ينشغلوا بإنقاذ أنفسهم وحسب. لقد ولّى ذلك الزمان، فلو فكرنا ـ أنا وأنتم ـ بأنفسنا نكون من الطبيعي قد أنقذنا الغرقى، ولو أصلحنا أنفسنا لصلح المجتمع. إذن فإقامة الدولة الإسلامية تمثل المرحلة الثالثة.

والمرحلة التي تليها هي مرحلة ازدهار وتلألؤ النظام الإسلامي، أي مرحلة بناء البلد الإسلامي، وإذا ما تبلورت هذه المرحلة إذ ذاك نغدو أسوة ومحتذىً لمسلمي العالم ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[1]، وإذا استطعنا طيّ هذه المرحلة بسلام ـ وليس ذلك بعيد المنال على همم المؤمنين من الرجال والنساء ـ حينها تحل المرحلة التالية وهي بناء العالم الإسلامي؛ لاحظوا، هكذا تقترب الغاية من إقامة النظام الإسلامي خطوة فخطوة من ثمارها النهائية، وليس لنا أن يراودنا الأمل بأن نصلح الدنيا أو يتحول البلد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

إلى بلد إسلامي دون أن نكون قد أصلحنا أنفسنا؛ كلا، فلابد أن نصلح أنفسنا. إذن من الأمور الضرورية بالنسبة لنا هي الاستقامة والثبات، والاستقامة تعني عدم تضييعنا المسار والاتجاه وإصلاح أخطائنا بشكل دائم وعدم الاشمئزاز إذا ما ذكّرنا بأخطائنا[١].

أخطار في طريق النظام الإسلامي

☐ ما هي مجالات المعارضة والتحدي أمام النظام الإسلامي في الداخل وما هو دور العدو في الخارج؟

لقد دوّنت بعض النماذج: فمن ذلك التحجر؛ إن عدم النظر إلى الأمور نظرة جديدة، وتجاهل حركة التاريخ وتطور الفكر الإنساني، والتنكّر للسموّ والارتقاء الفكري والسبل الحياتية، يعتبر تحجراً. إن كل علم تشاهدونه بما فيه من رفعة وتقدم هو صيحة ضد التحجر؛ فلو كان من المقرر أن نتوقف مؤكدين على كل ما اعتدناه ومتصورين أن ذلك شيء جيد، لما تطورت أصولنا، ولما قطع فقهنا منذ ألف عام وحتى الآن كل هذا الشوط من التطور والتقدم، وهكذا هي الحياة بكافة أبعادها؛ فالتحجر آفة من أخطر الآفات.

وإلى جانب التحجر، هناك التساهل الفكري والعملي؛ فالتساهل والتسيب، سواء في الفكر ـ أي أن ينجذب الإنسان نحو كل ما يطرح في الساحة من فكر وينبهر به دون روية وتقويم ونقد وفهم دقيق مع ما في الأمر من حساسية ـ أو في العمل؛ أي الجانب المقابل للتقوى، والتقوى هي نقيض التساهل؛ والتقوى تعني الدقة والمراقبة والمواظبة خشية أن يبدر من الإنسان عمل يتجاهل الموازين، سواء كان ذلك في القول أو

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ١٤٢٢/٩/٢٦هـق، ٢٠٠١/١٢/١٢م.

الفعل، وسواء كان ذلك العمل من الجوارح أو الجوانح؛ فهذه هي التقوى. وأما التساهل والتسيب فهو نقيض ذلك. فيا لها من مصيبة أن يكون ذلك التساهل في مجال الفكر، أو العلم، أو في أي مجال آخر! فحيثما كان التساهل والتسيب ـ والذي يستتبعه التساهل في القبول والفعل والفهم ـ فإن العواقب سوف تكون وخيمة.

إن التقليد الأعمى، وخصوصاً للغرب، هو أيضاً إحدى الآفات. ولأن الحضارة الغربية على قدر من التقدم التقني المبهر، فإنهم يقلدونها في كل ما تصدره من فلسفة وأخلاق ونظريات مختلفة.

كما أن التعيّش هو الآخر إحدى الآفات الخطيرة؛ فالتطلع نحو المنصب والمسؤولية والمنزلة الاجتماعية، وحتى نحو العلم بصفته وسيلة للتكسّب والتعيش، فهو أيضاً إحدى الآفات. كما أن الانتهازية وحب الراحة والطباع السيئة والشريرة هي كلها من الآفات. فهذه المجالات من نفسية وأخلاقية وسلوكية تمثل مظاهر المعارضة ومجالات التحدي أمام النظام الإسلامي؛ وهي نابعة من داخلنا نحن.

وجود العدو الخارجي

وأما من ناحية ثالثة فهناك العدو الخارجي؛ إن خطة العدو الخارجي هي استخدام كل هذه الإمكانات وتكريسها لمواجهة النظام في الداخل. إنني كلما حذرت في حديثي من مؤامرات الأعداء، فإن البعض يتساؤون ويقولون لماذا تتحدث عن العدو الخارجي دون الإشارة لقضايانا ومشاكلنا الداخلية؟ فلابد إذاً من التوضيح. إن العدو الخارجي إذا لم يضع نصب عينيه مشاكلنا ومعضلاتنا ونقاط ضعفنا في الداخل لما كان بوسعه السيطرة

والنفوذ، وهذا شيء واضح وبديهي قد أشرنا إليه مراراً. إن نجاح العدو الخارجي، يأتي في الأساس عند وجود نقاط ضعف وفراغ في الصفوف الداخلية للنظام؛ أي داخل البلد وفي أوساط المجتمع، وهو ما لاشك فيه، غير أنه لا يمكن تجاهل هذا العدو الخارجي لأنه يستغل كافة نقاط الضعف هذه بقدر ما يستطيع.

إن أحداً لن يطري مجتمعاً وإنساناً والأكبر منهما مسؤولاً فيما لو تجاهل العدو الخارجي وتعامى عن خططه ومساعيه، وتناسى استغلال هذا العدو لنقاط الضعف من أجل النفوذ والتغلغل في الداخل. نعم، إن العدو الخارجي هو حقيقة لا مراء فيها، غير أنه يستغل نقاط الضعف لدينا. وإن العدو الخارجي ستخيب آماله إذا ما استطعنا واستطاع النظام الإسلامي التغلب على نقاط الضعف في الداخل، ولكن عندما يشنّ العدو الخارجي هجوماً فلابد من المواجهة العاجلة والسريعة. ولنفرض أن العدو هاجم حدودنا ـ كما هو شأن الحرب العسكرية ـ فإن واجبنا الأول هو أن نهبّ لمواجهته وصد هذا الهجوم. ولا مجال هنا لأن نجلس ونقول: ترى لماذا قام هذا العدو بمهاجمة حدودنا، ولربما قمنا بما أغضبه وأثاره علينا، أو لعلنا انتهكنا بعض المجالات مما أثار حنقه علينا؟ لأن الوقت ليس وقت مناقشة هذه الأمور. فكيفما كان السبب، وأيّاً كانت نقطة الضعف، فلابد لنا أولاً أن نصد الهجوم، ثم نأتي بعد ذلك لمناقشة الوضع وبحث هذه القضايا.

والواقع أن النظام الإسلامي يتعرض اليوم لحقد وضغينة وعداء مراكز السيطرة العالمية في الساحة الدولية. ولا شك أن النظام الإسلامي نظام قوي وراسخ ممّا جعلهم عاجزين عن توجيه ضربة مؤثرة له، ولو لم يكن الأمر

كذلك لما توانوا عن ضربه لحظة واحدة. إن هذا النظام يتميز بخصوصيات لو توفرت في أي نظام آخر لجعلته راسخاً وقوياً؛ فهذا النظام نظام شعبي، ونظام إيماني، ونظام نابع من إرادة وإيمان الجماهير. وإن مسؤولي هذا النظام ليسوا من أولئك الطامعين في ملء جيوبهم وتحقيق الربح المادي؛ إن المسؤولين رفيعي المستوى في هذا النظام نزلوا إلى هذه الساحة بنوايا طيبة وإنهم يبذلون الكثير من الجهد والمساعي، وهو ما ليس بالقليل؛ وما مردّ اللطف والعناية الإلهية إلاّ لهذه الصفات؛ فعندما يصمد أحد الشعوب، ويتحمل المصاعب في سبيل الله، ويخلص مسؤولوه النية لله تعالى، فإن الله ينزل نصره، وهذه أمور لا يمكن مواجهتها ومكافحتها، وإلاّ فإن مطامع الأعداء كثيرة، وهو ما لا يمكن تجاهله[1].

الأساس النظري للنظام الإسلامي وللنظام الليبرالي

□ ما الذي تتضمنه النظرية الإسلامية في الحكم من أمر يصونها من الوقوع في الإشكالات التي ابتلت بها الأنظمة الليبرالية؟

إن أفضل تبليغ لأية نظرية سياسية هو تطبيقها على أرض الواقع، ولقد خاطبت أبناء أصفهان وشبيبتها وكررت أمامهم: اليوم تحيق أقوى ضربة بشأن الليبرالية الديمقراطية في العالم الغربي، هذا العالم المليء بممارسات القتل والدماء والجور والظلم التي تبلورت على أساس الليبرالية الديمقراطية، فكانت أوروبا وأطرافها محوراً لحربين عالميتين، فأوروبا تمثل منطلق الليبرالية الديمقراطية؛ فالاستعمار والتدخل في الشؤون

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية في تاريخ: ١٤٢١/٧/٧هـق، ٢٠٠٠/١٠/٦م ـ المدرسة الفيضية / قم المقدسة.

الداخلية للدول، والحوادث التي شهدتها دول أمريكا اللاتينية، والأهم من ذلك حوادث فلسطين، والحدث الأفغاني هذه الأيام ما هي إلا إفرازات هذا الواقع، فيما تفتقر الليبرالية الديمقراطية لما ترد به على هذه الحوادث، ولا حاجة ـ في هذا المضمار ـ للجدل النظري والفلسفي والجلوس حول طاولة الحوار؛ إذ عندما تسلط الشعوب أنظارها تجد هذه النتيجة التي أفرزتها هذه النظرية السياسية التي ثبت عقمها.

في ظل هذه الظروف تتطلعون أنتم لأن تطرحوا أمام العالم النظرية السياسية للإسلام ونظام الجمهورية الإسلامية، أي حاكمية الشعب الدينية؛ فالجمهورية تعني حاكمية الشعب، والإسلامية تعني الدينية، وهنالك من يتصور أننا إذ أطلقنا شعار حاكمية الشعب الدينية فقد جئنا بشيء جديد. كلا، فالجمهورية الإسلامية تعني حاكمية الشعب الدينية التي تتمثل في حقيقتها بتوجيه النظام وإدارته في ضوء الهداية الإلهية والإرادة الشعبية. والمؤاخذة التي تطال الأنظمة في العالم هي إما أنها تفتقر للهداية الإلهية كما هو حال الديمقراطيات الغربية التي تحكمها الإرادة الشعبية ظاهرياً لكنها تخلو من الهداية الإلهية، أو أنها تخضع أو تزعم أنها تخضع للهداية الإلهية لكنها تفتقر للإرادة الشعبية، أو تفتقدهما معاً، وهذا ما عليه الكثير من البلدان؛ أي لا يدخل رأي وإرادة الجماهير في شؤون البلاد ولا وجود للهداية الإلهية فيها. أما الجمهورية الإسلامية ـ حيث تتظافر الهداية الإلهية إلى جانب الإرادة الجماهيرية في التأثير ببنية النظام ـ فلا ترد أية مؤاخذة أو إشكال حول هذه النظرية في المحافل الجامعية أو التحقيقية؛ لكنكم إن أردتم إثبات أحقية هذه النظرية أمام شعوب العالم فعليكم إثباتها عملياً، وهذا هو التحدي الأهم الذي يواجهه نظام الجمهورية الإسلامية[1].

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ٢٥ شعبان ١٤٢٢هـق، ٢٠٠١/١١/١٢م.

المؤسسات والأجهزة التابعة للقيادة

▢ هل المؤسسات والأجهزة التابعة للقيادة تخضع للرقابة والتفتيش، أم أنها فوق الرقابة؟ وهل يخضع ممثلوكم في المؤسسات والمحافظات للرقابة؟

إنني أقولها لكم، ليس ثمة من يحق له تجاوز القانون ـ حتى القائد ـ ناهيك عن الأجهزة التابعة له. وبناء على هذا، فعلى الجميع الخضوع للرقابة، والغاية من الرقابة على أرباب الحكم ـ لما تعنيه الحكومة بطبيعة الحال، من اجتماع القدرة والثروة؛ أي بيت المال والسلطة الاجتماعية والسياسية بأيدي بعض الحكام ـ لكي يتحلّوا بالأمانة وأن لا يسيئوا استغلال السلطة أو تصاب نفوسهم بالطغيان؛ فالرقابة ضرورية وواجبة ولابد منها، وإن تصنيف المؤسسات والأجهزة على أن بعضها خاضع للقيادة دون البعض الآخر تصنيف خاطئ، ولا وجود لمثل هذا الإدعاء. وطبقاً لما ورد في القانون فإن السلطات الثلاث التنفيذية والقضائية والتشريعية تخضع لإشراف القائد، وهكذا الحال بالنسبة لسائر المؤسسات، ولا يعني الخضوع لإشراف القائد أنه هو الذي يتولى إدارتها، ولكن لا فرق في الأمر إذ لابد من خضوعها للرقابة. ومما يؤسف له أن الرقابة في بلدنا مازالت تفتقد البعد التخصصي والعلمي والعملي، وفي بعض الحالات تفتقر للحياد أيضاً، وعلينا الاعتراف بذلك، وحري بدوائر الدولة والمؤسسات العامة أن لا يراودها الوجل من الرقابة. وعليه فإن الأجهزة المرتبطة بالقيادة لا تفلت من الرقابة، وإنني أعتقد بإلزامية عمليات التفتيش، ولا يعني هذا الحيلولة دون وقوع الخطأ، إلا أنها على العكس من التساهل والتهاون إزاء الخطأ[١].

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ٥ /١٢/١٤٢١هـق، ٢٠٠١/٣/٢١م.

مصادر معلومات القائد

□ ما هي القنوات والكيفية التي تطلعون من خلالها على مجريات الأحداث؟ وهل يطلعونكم على كل شيء؟

إنني أسعى أن أكون على اتصال مع الأحداث عن طريق المصادر الرسمية وغير الرسمية، التقارير التي تصلني متنوعة، سواء تلك التي تصلني عن طريق الأجهزة الأمنية في وزارة الأمن أو القوات المسلحة، أو تلك المتعلقة بالأجهزة الخبرية من دوائر الدولة، كما أن قسماً من مكتب القيادة مخصص لإيصال المعلومات، مثل مكتب العلاقات العامة ومكتب التفتيش، فهما على اتصال دائم مع أبناء الشعب عن طريق الرسائل أو الهاتف، وكثيراً ما ألتقي أبناء الشعب وأتلقى منهم الرسائل. على أية حال فإنني أمتلك أذناً فعالة، لكنني في نفس الوقت لا أدّعي معرفتي التامة بكل ما يدور؛ فقد أعرف أموراً وأجهل أخرى، وإنني أعتقد بأن انقطاع من يتولى مسؤولية حكومية ـ سواء المسؤولية التي بعهدتي أو تلك التي يتحملها سائر المسؤولين ـ عن الأحداث وابتعاده عن الناس يمثل عنصر انحطاط، وأرى أن لا يسمح المسؤول لنفسه بالابتعاد عن وقائع المجتمع والحوادث الجارية فيه؛ فالانقطاع عن الناس أو كما يعبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام الاحتجاب عن الرعية في غاية الخطورة، ووصفه عليه السلام في كتابه لمالك الأشتر بـ (قلة علم بالأمور)؛ فالإنسان تضعف لديه المعرفة بالأشياء نتيجة احتجابه عن الناس. كما أنني أزور الناس في بيوتهم؛ فمن الأعمال التي دأبت عليها منذ بداية رئاستي للجمهورية وحتى الآن ـ والحمد لله ـ هي التوجه نحو بيوت أبناء الشعب ومجالستهم ومحادثتهم والاستفسار عن

أوضاعهم المعاشية ـ وقد تزداد هذه الزيارات أو تقل ـ وإن معرفة الأخبار عن طريق أبناء الشعب يمثل إحدى القنوات. أما القناة الثانية فهي قناة العدو، ولم يسألني سائل عما إذا كنت أمتلك المعلومات عن العدو أو لا؟ لكنني أقول: نعم، فلست غافلاً عن العدو، وهنالك الكثير ممن يتصورون أننا نرمي سهامنا وسط الظلام ونتحدث عن العدو، كلا فإننا نعلم ونشعر بوجود العدو؛ فخلال الأيام الأخيرة نشرت بعض الصحف الأمريكية تصريحات أدلى بها رئيس وكالة المخابرات الأمريكية وتناقلتها بعض صحفنا أيضاً، يقول فيها: لدينا جواسيس فعّالين في بعض الدول منها إيران، ويتكلمون بلغتهم الأم التي هي اللغة السائدة في تلك البلدان، ثم تحدث عن إيران بالذات فقال: لدينا جواسيس في إيران ولغتهم الأم هي الفارسية ومتوسط أعمارهم ٣٠ عاماً. وقد يتبادر لدى البعض التساؤل عن الداعي بأن يصرح هؤلاء بالأمر، أقول: إذا ما استفاضت المعلومات لم تعد ذات أهمية بالنسبة لصاحبها، إذ ذاك يصبح من السهولة معرفة الكثير من الأمور التي تترشح من هنا وهناك. نعم، فليس من البراعة التغافل عن العدو.

خلال عهد الشاعر حافظ الشيرازي تعاقب على حكم شيراز أربعة أمراء منهم الملك الشيخ أبو إسحاق ـ واسمه الشيخ ولم يكن شيخاً ـ وقد ذكره حافظ في عدة مواضع لمحبته له، وكان الأمير الشيخ شاباً وسيما حسن العشرة، وكان الأمير مبارز الدين أحد سلاطين تلك الفترة فتحرك من كرمان نحو شيراز قاصداً احتلالها، واتسم زحفه بالهدوء لئلا يشعر به أهل شيراز ليفاجئها بالحصار ولا يمنح أهلها فرصة للدفاع عنها، لكن بعض أهلها وجنود الحكومة عرفوا بالأمر بيد أن أحداً لم يكن يجرؤ على إخبار الملك الشيخ أبي إسحاق، حتى وصل العدو إلى تخوم شيراز وحاصر

المنطقة بأسرها. وأخيراً وجد وزير الملك عدم إمكانية البقاء على هذا الحال، فغداً يهجم العدو على شيراز والملك لا علم له بوجود العدو على مقربة من المدينة ـ فهل هذه براعة في أن يجهل المسؤول أين يكمن العدو؟ ـ فذهب الوزير إلى الملك، لكنه لم يجرؤ على التصريح له بشكل مباشر، فدخل إليه من مدخل آخر قائلاً له: إن الجو لطيف جداً والفصل ربيع والصحراء زاهرة بالخضرة، ألا ترغب بالصعود إلى أعلى القصر للاستمتاع بهذا المنظر؟ وهكذا أخرج الملك إلى أعلى القصر، ولما وقع بصر الأمير على تلك الحشود في الصحراء، تساءل: لمن هذا العسكر، قيل له: إنهم جنود الأمير مبارز الدين، قال: ومتى جاؤوا؟ قيل له ـ مثلاً ـ قبل عشرة أيام، فبدلاً من أن يستعد هذا الملك عديم الغيرة والحياء للحرب ويلبس لامتها، بادرهم بالقول: وا أسفي على هؤلاء الذين جاؤوا للحرب في هذه الأجواء الربيعية! ـ ولقد قاتل فيما بعد ووقع أسيراً ثم قتل ـ فلا يصح أن يتولى المرء المسؤوليات المهمة في المجتمع هكذا[1].

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ٥ /١٤٢١/١٢هـق، ٢٠٠١/٣/٢١م.

النظام الإسلامي، إنجازات تحققت وآمال لما تزل

□ نحن نعلم ومن خلال المشاهدات العينية التي نراها كم هي الإنجازات العظيمة التي تمت في هذه السنوات ،إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود أمور أخرى كنا ـ نحن الإيرانيون ـ نتوقعها من النظام إلا أنها لم تتحقق إذاً ما هي الأسباب التي أدت إلى تأخر تحقيق بعض هذه التوقعات وما هي الأمور المهمة التي تم تحقيقها خلال الثلاثة عشر سنة الماضية؟

إن حكومة الجمهورية الإسلامية قد حازت لحد الآن على درجات عالية من التوفيق، فإذا نظرنا إلى نظام الحكومة الاجتماعي من مختلف الجهات وقد مضى عليه ثلاثة عشر سنة، وقمنا بإجراء عملية حسابية منطقية للنتائج المتوقعة منه مع ما فيه من الإيجابيات والتي هي كثيرة وقيمة وعظيمة إلى جانب المشكلات التي وجدت خلال الثلاثة عشر سنة، والتي هي أيضاً بدورها عظيمة جداً، فإذا كتبنا هذا كلهُ على صفحة واحدة وأحصيناه يجب أن نقول: إن ما كان يتوقّع من حكومة الجمهورية الإسلامية إما أنه قد تحقق كله أو أن ما تحقق منه هو الأكثر مما كان متوقعاً يمكن طبعاً أن نذكر مورداً معيناً ولكن توقع حصوله غير منطقي، ونقول: هذا لم يتحقق ولكن هذا أمر توقعه غير منطقي، مثلاً في الحرب إذا كُنا نريد أن نسيطر على نهر أو مرتفع وبعد أن يسعى المقاتلون ويبذلوا جهداً كبيراً ويقدموا شهداء ويسيطروا عليه ويكبدوا العدو خسائر فادحة ويصلون إلى هدفهم، بعد هذا تُشن الحملات الإعلامية المعادية إما من قبل العدو مباشرة وإما من قبل حماته ويقولون: إن إيران لم تستطع أن

تحتل البصرة وكأننا كنا نريد بتلك الأعمال العسكرية المحدودة أن نحتل البصرة، نعم نحن لم نتمكن من احتلال البصرة، ولكن ما هدف الحملات الدعائية؟

هذه لم تكن إلا لأن هناك نفوساً مضطربة كانت جالسة ومنتظرة لترى فوائدها من رؤوس الأموال التي وظفتها في جبهات القتال، فهي تشعر أن هذا التوظيف ذهب سدى، لذا يقولون: إنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا البصرة ـ مع أن البصرة لم تكن هي الهدف. وهذا نفسه يجري في الجمهورية الإسلامية هذه الأيام، فإن الإذاعات الأجنبية مملوءة بالإحصائيات للأعمال التي لم تتحقق في إيران، وقولهم هذا صحيح إلى حد ما، وإن كانوا يكذبون في موارد كثيرة، فإن الأعمال التي حصلت إما أن يقولوا أنها لم تحصل أو يكتمونها، فهم يعتقدون أن الصدق لا يجب أن يقال، ولكن ما يقولون عنه أنه لم يحصل، فإنه ليس من الأمور التي قال النظام بأنه يستطيع أن يحققها خلال الثلاث عشر سنة.

أي نظام استطاع بهذه التشكيلات المنسجمة وهذه القوة العملية الموجودة عند الموظفين أن يحصل على هذه المنجزات في هذه المدة حتى يتوقع من حكومة الجمهورية الإسلامية مع كل هذه المشاكل أن تحقق نفس النتيجة.

تطبيق الفقه في المجتمع

ونحن إن أردنا أن نلخص الشيء الذي لا بد وأن نقوم به، في جملة واحدة أو عبارة واحدة فإن هذه العبارة هي (الفقه الإسلامي). يجب أن نطبق الفقه على المجتمع، ليس الفقه الإسلامي هو عبارة عن الطهارة والنجاسة والعبادات، وإنما هو الذي تشمل فروعه جميع جوانب حياة الإنسان الفردية والاجتماعية والسياسية والعبادية والعسكرية والاقتصادية، فقه (الله أكبر) يدير حياة الإنسان فهو الذي ينظم ذهن وفكر وروح الإنسان وهو الذي يصحح آداب حياته وينظم علاقاته الاجتماعية والسياسية ووضعهُ المعيشي وعلاقاته الخارجية.

ونحن إذا أردنا أن نتعلم هذا الفقه فقط خلال ثلاث عشرة سنة فهل يمكننا ذلك؟ مع أن العمل به أصعب من تعلّمه. فإذا أردنا أن نحذف خطيئة من المجتمع فإن ذلك لا يمكن بإشارة واحدة ولا يمكن أيضاً أن نفعل هذا بالإكراه، وإذا أردنا أن نزيل الفقر من المجتمع، هذا المجتمع الذي كان إنتاجه وعلاقاته الاقتصادية إلى سنوات بل قرون متمادية تحت ظل وضغط الحكومات الظالمة، فإنه لا يمكننا في مدة قصيرة أن ننظم جميع شؤون هذا المجتمع، فإن إدارة البلد صعبة جداً وإدارة الحياة ومواجهة الواقع أصعب بمراتب مما يتخيله الإنسان ويتصوره عن تنظيم الأوضاع.

فنحن لابد وأن ننظر إلى الهدف الذي حددناه خلال هذه المدة لنرى هل أنجز في هذه المدة عمل يوصلنا إلى ذلك الهدف أم لا؟.

وهل كنا موفقين بمقدار ذلك العمل أم لا؟ فإن رأينا أنه تم هكذا عمل فنحن موفقون، فإذا أردنا أن نقوم بعملية إحصاء نهائي لما حصل من الأعمال فإني أقول: إن هذه النتيجة قد حصلنا عليها.

سير المجتمع نحو الاتجاه الصحيح

نحن استطعنا في بلدنا ـ عندما أقول (نحن) لا أقصد أنا نفسي بل نحن النظام وأفراد الناس والمسؤولين والروحانيين وأساتذة الفكر والكتّاب وغيرهم والدور الذي قام به الإمام العظيم قُدِّسَ سِرُّهُ، وكل من كان له أدنى دور نحن استطعنا في هذا البلد أن نغير جهة الحياة التي كانت للناس وهذه الجهة هي جهة الخطيئة استطعنا أن نغيّرها ونهدي الناس إلى طريق الحق والصواب وفعل المعروف، فإن هذا قد حصل في هذا البلد.

وعندما يكون المجتمع متجها صوب الخير والصواب ليس معنى هذا أنه لا يوجد مخطئ ومذنب في المجتمع، بل قد يكون المذنبون كثيرين، ولكن الجهة صحيحة وكما يقول الإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ عندما كنا في خدمته، وذلك حينما أصدر إحدى فتاواه المعروفة مؤخراً كان يُعبر هكذا: اليوم كل شيء في بلدنا يسير بالإتجاه الصحيح ويترقى باتجاه ذلك.

ومن الطبيعي رغم كون المجتمع يسير بالإتجاه الصحيح أن يوجد إنسان خبيث يسيء الاستفادة من الناحية المالية أو الثقافية أو من ناحية إدارات الدولة قد يسيء فرد الاستفادة من المراكز والمنابر والمناصب المختلفة، هذا كله ممكن ولكن الشيء الموجود أن الوجهة التي يسير نحوها المجتمع صحيحة.

نحن استطعنا أن نجعل القوانين في بلادنا إسلامية، فإن كل قانون تضعه الدولة فهو قانون إسلامي. نحن استطعنا أن ننتخب المسؤولين التنفيذيين من بين الأشخاص المتدينين، فكل مسؤول تنفيذي يوضع في مركز حساس في الحكم فهو متدين. وإن شاء الله تعالى سيأتي ذلك الوقت

الذي سيصبح فيه كل المسؤولين التنفيذيين العاديين متدينين أيضاً. ولكن هذا من الأعمال الطويلة الأمد، لأن هذا العمل ليس عمل الدولة، وإنما عمل العلماء والروحانيين، عمل المبلغين والمربين، عمل الدين الذي يصنع الإنسان.

وإلا افترضوا أننا لو أردنا اليوم أن نفرّغ الوظائف التي يشغلها الأفراد وكما يقال اللادينيون ـ غير الملتزمين دينياً ـ فإنه لا يعلم أننا نستطيع سد هذا الفراغ بأشخاص متدينين عقائديين كما نريد.

يجب أن نصنع الإنسان، وصنع الإنسان مشكل، أنظروا أنتم إلى الحوزة سترون أن صنع الطلبة وصنع الإنسان وتربية العنصر الصالح لمختلف الأعمال كم هو شاق، وسيأتي الكلام عن وضع الحوزة في موضعه الخاص به.

فالتغيير في المجتمع صعب جداً وخاصة في المجتمع الإسلامي لأن الحكم الإسلامي متميز في العالم ـ فهو عزيز ومستعصٍ على الكفار (أشداء على الكفار) من هذه الجهة فإن نظامنا في هذه الأيام موّفق ومترقّ.

الموقع المتميز للجمهورية الإسلامية في العالم

قبل قليل كنت استمع إلى الأخبار، قال أحد قادة إحدى المجموعات الغربية المهمة: «إن هناك إمبراطورية إسلامية في حال التكوين والتحقق ولا يمكن إرعابها بأي وسيلة من الوسائل» والشيء الملفت للنظر هو أنه لم يقل: لا يمكن القضاء عليها، لأن الكلام ليس في القضاء عليها، لأنه من المعلوم أنه لا يمكن القضاء عليها.

فالدول الكبرى كانت تسيطر على الشعوب وعلى الدول وتغلبها

بإرعابها وإخافتها فإنه يكفي لأن تطلق صرخة فترتعد منها فرائصهم وترتعش أرجلهم وأيديهم وينهزموا وقد رأيت هذا الوضع في الفترات السابقة عندما كنت أسافر إلى المؤتمرات الدولية، فقد كان الجو هناك هكذا، قلوبهم كلها متفقة على شيء واحد ولكنهم يخافون والشعوب أيضاً تخاف فليس هذا الخوف خاصاً بالدول فلا تتصوروا أن الشعوب لا تخاف، أما الشجاعة التي ترونها في شعبنا فهي موهبة إلهية وجدت فينا هذه الأيام طبعاً وهذا الإحساس بدأ يظهر في الدول الإسلامية في العالم، فهي عزيزة مستقلة مرفوعة الرأس، وهذا ما أدركه العدو من صلابتها، فهو يشعر باستحكامها وصلابتها، وأنها كالجبل، فلا يمكن زعزعتها ببساطة.

إنجازات الجمهورية الإسلامية من ناحية الوضع الاقتصادي

إن الشيء الموجود اليوم في إيران على المستوى الاقتصادي، فهو من جهة كونه إنتاجا وطنيا يعتبر عملا أصيلاً وحقيقياً، وقد يقال: أن مستوى الإنتاج الوطني قد وصل إلى نفس الدرجة التي وصل إليها في أزمنة سابقة على الثورة، ولكننا إذا قارنّا الإنتاج الحاصل الآن بمستوى الإنتاج الماضي مع الأخذ بعين الاعتبار التضخم الحاصل وغيره، فإننا نحصل على أرقام معتبرة الآن بالإضافة إلى الاختلاف الموجود في معنى الإنتاج الوطني في كلا الفترتين.

إن الشعب الإيراني وحتى في القرى النائية يعلم أن الجمهورية الإسلامية أوجدت له وسائل الرفاهية في مختلف شؤونه الحياتية كالسكك الحديدية والطرق المعبدة أو الممهدة ووسائل الاتصالات، والاستيراد، والكهرباء، والماء، وخدمات هاتفية، مع العلم أن هذا ليس خاصاً بالمدن

الكبيرة، وإحصائيات هذه المشاريع لم تكن موجودة سابقاً، وقد كنت أطلع في السابق كم كان الإمام قدس سره يحث المسؤولين ويتسائل: لماذا لا تبرزون الإحصائيات للعالم؟

وأنا الآن عندما التقي مع الأوساط المختلفة وأطلع على هذه الإنجازات أقف على أرقام مذهلة في هذا المجال. نعم يمكن لشخص حقود سيء لا يشعر بالمسؤولية أن يطعن بما تحقق من الأعمال، وكذلك يمكن للعدو الأجنبي أن يشكك في هذه الإحصائيات ويقول: أن دولتكم قالت كذا وكذا ونحن لم نر ذلك.

أتريد أن يأتوا بها إلى طهران ويطلعوك عليها في مكتبك، اذهب أنت واطّلع عليها حيث هي، فإنني عندما ذهبت إلى (بوشهر) أطلعوني على إحصائيات الإعمار التي أنجزت هناك وقد كانت تبعث على الحيرة مع أن بوشهر محافظة فقيرة للغاية، طبعاً إذا تصور أحد أن ما أنجز سوف يغير الملامح العامة للبلاد بحيث أن الإنسان لا يجد كل آثار الفقر التي كانت موجودة، فإنه سوف يكون من التوقعات غير المنطقية في هذه المدة، وهو مثل فتح البصرة، وهل يمكن أن تنجز هكذا أعمال في مدة ثلاثة عشر سنة، وهل يستطيع من لديه ثروات وميزانية عشرة أضعاف ما عندنا أو عشرين ضعف أو مائة ضعف هل يستطيع أن يمحو هذا الفقر من بلده؟

طبعاً نحن لا نقاس بأولئك لأنهم هم لا يريدون ذلك لأن السياسة الرأسمالية ليست مبنية على أن يصبح الناس أغنياء أو لا يبقوا فقراء، فإنها إن أغنت الفقير فإنما لأجل أن يعمل لها والذي لا يعمل فلا مانع عندها أن يلاقي الموت، والموجود في الرأسمالية تشريد وبطالة، وإذا لم تستطع الشركات الرأسمالية أن تستخدم هذا الإنسان أي إذا لم تكن لها به حاجة

وقيل لها: إن الدولة تريد أن تزرقه إبرة سم لتقضي عليه تقول: نعم لتزرقه، لأن هذا ليس مشكلة عندها.

وأما نحن فالموضوع عندنا غير هذا نحن نقول: إن كل إنسان وليس الإنسان الذي يعيش في هذا البلد فقط ـ وإن كان علينا مسؤولية مباشرة وأكثر فورية بالنسبة إلى شعبنا ـ وإلا فإن جميع المسلمين في العالم هم عائلتنا بمعنى من المعاني، وإذا فرغنا من المسلمين فإن كل جياع العالم عائلتنا (هذا إذا لم يكونوا محاربين) وهذه القضية قضية مبدئية ولذلك فإنه بناءاً على هذا فإن الدول الغربية المتقدمة اقتصادياً سوف لن تستطيع أن تقوم بهذا العمل وهو محو الفقر بشكل كامل.

وأما الجمهورية الإسلامية فهي متجهة إلى ذلك وان شاء الله سوف تصل إليه. الإحصاءات التي أجريت على الأميين تشير إلى تدني ملحوظ في هذا الحقل، وكذلك إحصاءات مشاكل الطبقات الفقيرة في مختلف المناطق تدنّت أيضاً إلى درجة كبيرة طبعاً، المستوى المعيشي ارتفع والتوقعات ازدادت والتضخم العالمي يؤثر على التضخم في بلدنا، ولكن السياسة الاقتصادية الموجودة هنا الآن هي سياسة واقعية أي أن الشيء الموجود بعنوان الإنتاج الوطني الذي نسعى لزيادته، والبرامج الاقتصادية التي تعلن هي برامج حقيقية وإنتاج حقيقي بما للكلمة من معنى، وتستطيع أن تملأ خزينة البلد وليست هي أمراً شكلياً وظاهرياً، ففي الماضي الصناعة التي كانوا يأتون بها صناعة كاذبة ومزيفة، كانت صناعة ولكن لم تكن بالتي تجعل البلد مستغنياً.

تطور الصناعة نحو الاكتفاء الذاتي

في مجال سلسلة الحلقات الصناعية فإن هذه السلسة الموجودة في أي بلد ما يكون لها حلقات كلها ضرورية لتلك الصناعة، فهي تبدأ من المعادن والمواد الأولية وتنتهي في الإنتاج الذي يجعل هذه المواد وسائل يستعملها الناس في بيوتهم، فإن هذه السلسلة في الصناعة كان يوجد منها حلقات لا تصنع في البلاد فتكون السلسلة مقطوعة ويتركونها هكذا عمداً لأجل أن تبقى البلاد دائما محتاجة إلى الأجانب، وأما اليوم فليس كذلك، فإن المعنيين يعملون بشكل حثيث وواقعي لترميم هذا النقص.

الثورة الثقافية في الجمهورية الإسلامية

وكذا الحال في الحقل الثقافي، فالملاحظ أننا (نحن وأنتم) أيها الإخوة: كنا نمتلك دوافع لتبليغ الإسلام قبل الثورة وكان طموحنا أن نكتب كلمتين أو نلقي خطبة، وكنا نأمل أن ينشر من الكتاب الذي نؤلفه البالغ مائتين أو ثلاثمائة صفحة عشرة آلاف نسخة لعل يقرأه عشرة آلاف شخص، وكنا نرجو من المحاضرة التي أعددناها وشغلنا فكرنا فيها وتوصلنا إلى بعض النتائج الفكرية أن يجتمع خمسمائة شخص ليستمعوا إليها.

أما اليوم فإن الإذاعة والتلفزيون يمضيان ساعات كثيرة في بيان الحقائق الدينية، طبعاً أنا لست راضياً بهذا فقط وأقول لكم: إنني لست راضياً عن كمية البرامج كذلك ولست راضياً عن كيفيتها، وهذا تقصيرنا كلنا، ولأجل أي شي نستحي من بعضنا ولا نصارح أنفسنا؟ فإن الحوزة العلمية يجب عليها أن تُعِدَّ لذلك كله، فأنتم اليوم يجب عليكم أن تهيئوا المواد

الفكرية اللازمة لجميع الطبقات في المجتمع والتي تصيّرهم مؤمنين بالإسلام بعيدين عن الذنوب راغبين بالحق مطمئنين برضا الله والتي تترك الأثر فيهم بحيث توصلهم إلى رضوان الله تعالى، وأنا أتساءل: أين هذه البحوث الفكرية؟ سيرة الأئمة الآن تلقى من خلال وسائل الإعلام، فعندما تمر مناسبة وفاة (شهادة) أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام يتكلم في الإذاعة والتلفزيون عن ذلك الإمام العظيم في ذلك اليوم خمس أو سبع أو عشر ساعات، وهذا ليس بقدر ما ينبغي، لأننا إذا استطعنا حقا أن نتكلم مثلاً عن الإمام الباقر عليه السلام في الإذاعة عشر ساعات أو خمس ساعات ومع ما لهذه الوسيلة الإعلامية من تغطية واسعة هذا يعني أنه قد بذلت جهود كبيرة لإعداده، أتعلمون كم يحتاج الروحانيون والمفكرون الإسلاميون من العمل لإعداد هذه الخمس ساعات من البرامج أن هذا ليس بعمل سهل، الإشكال يرد علينا وعليّ أنا أيضاً من جهة كوني روحانياً مثلكم، إننا لا نملك الكفاءات لسد الفراغ، هذا التقدم العظيم الذي وصلت إليه إذاعتنا وتلفزيوننا لسد الفراغ ووسائل الاتصال الجماعي مهم جداً، ولكن ليس معنى ذلك انه لا يوجد نقص فيه، بل هذا موجود، فإن هناك أشياء كثيرة لا بد من إصلاحها على المدى الطويل.

والإنسان الذي يتصور أننا نستطيع أن نصلح ثلاثة عشر ألف موظف أو اثني عشر ألف موظف موجودين في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون منذ زمن الشاه وذلك في فترة وجيزة مع أن منهم المتخصصين والفنيين والكتّاب والممثلين والفنانين والمشغولين بجميع أنواع الوظائف، من يتصور أننا نستطيع أن نستبدلهم بشباب متدينين مسلمين في مدة ثلاثة عشر سنة فهو مشتبه، وإن كان قد تم استبدال قسم منهم، وبقدر ما يأتي من

موظفين متدينين إلى الإذاعة والتلفزيون ستكون هذه البرامج جيدة. وفي كل مرة ترون أن البرامج ليست جيدة فهو معناه أننا لم نستطع أن نبدل مسؤول تلك البرامج، بعض العلماء يقول لي: إن البرامج التلفزيونية سيئة، وأنا لعلي استمع إلى الإذاعة وأنظر إلى التلفزيون أكثر منكم وأرى كم يوجد من الخطأ فيها، فهناك ملاحظات لديّ، أو لعل الكثير ممّن يذكرون لي الملاحظات يتصورون أني غير ملتفت إليها، ولكن ليس كذلك، بل أنا ملتفت لها، فأنا دائما على صلة مع العاملين في هاتين المؤسستين، فأنا لم أهمل هذا الموضوع، فإنني في هذه السنوات الثلاثة الأخيرة ركزت على الإذاعة والتلفزيون بمقدار لم يحصل في الفترات السابقة، وقد حصل فيها تقدم نسبي، وإن كانت الملاحظات الموجودة كثيرة والموارد التي توجد عليها ملاحظات سببها فقدان الكوادر المناسبة لها، وعندما توجد الكفاءات المناسبة فستصبح جيدة، والمورد الذي توجد فيه الكفاءات فهو جيد، فإن الفيلم الذي يعرض في التلفزيون وتشاهدونه ويهتز قلبكم منه شوقاً إلى رضوان الله ويجري دمع الإنسان تأثراً، فهذا الفيلم هو إنتاج ذلك الإنسان المتدين الذي أتى إلى هذه المؤسسة بعد الثورة، وليعلم أن هذه الجودة عندما نقول: أن الإذاعة والتلفزيون جيدان هي جودة نسبية، فالإنسان لا يرضى بالجودة النسبية، فإن الإنسان عندما يُبتلى بمرض شديد ويتماثل للشفاء ويستطيع أن يفارق السرير ويخطو عدة خطوات، فيسألوه: كيف حالك يقول: الحمد لله جيد، فهو يصدق عليه أنه جيد ولكن إنما يكون جيداً حقيقة عندما يستطيع أن يعدو ويحمل حملاً ثقيلاً ولأجل أن يصدق عليه أنه جيد بكل ما للكلمة من معنى لابد وأن يصل إلى هذه الحالة.

فتقريري عن وضع البلد هو أننا بحمد الله نستطيع اليوم أن نقول بكل

جرأة وافتخار واعتزاز ونحن مرفوعوا الرأس: أن الدولة الإسلامية نالت من التقدم أكثر مما كان يتوقع لها، وبالمقدار الممكن وذلك بما يتناسب مع الإمكانات والمشاكل الموجودة ولا أقل من أن التقدم كان بمستوى التوقعات(١).

نحن والعدو

□ لعل من الفوارق بين نظامنا والنظم الأخرى التي تعاديها القوى الكبرى أن الهجوم ضدنا لا يقتصر على جانب المقدرات التي يتمتع بها بلدنا بل يتعدى ذلك ليشمل الجانب النظري للنظام أي نظام الجمهورية الإسلامية الذي اختارته جماهيرنا أي إننا مستهدفون ليس فقط في خيراتنا ومقدراتنا الوطنية بل أيضا فيما نطرح من نظرية للحكم فما هو تعليلكم لهذا الأمر؟

إنه لحري بي القول أن عظمة إقامة النظام الإسلامي وضخامته كانت بالقدر الذي أصبح الشغل الشاغل لأكبر الدوائر السياسية في العالم ولسنوات متمادية للحديث عنه، والسبب في ذلك هو تبلور أفق جديد في حياة الوسط الإسلامي ـ الذي هو عبارة عن مجموع الدول والشعوب الإسلامية ـ بانبثاق الثورة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامي الذي غذاهم بمبادئ جديدة تتميز بقدرتها على إرباك النظام الاستكباري، وذلك لارتكاز بناء النظام الاستكباري على فرض الهيمنة والتسلط اقتصادياً وثقافياً وسياسياً على المناطق التي تضم الأقطار الإسلامية، وأن حياته رهينة بهذه المناطق لحاجته لمصادر الثروات وللأسواق معاً. لقد شعروا بالخطر لإحياء الفكر الإسلامي والمبادئ الإسلامية لأنها تناهض بشدة هذه الهيمنة، وها نحن

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ١٥/٨/ ١٤١٢هـق، ١٩/٢/١٩٩٢م.

نلمس بشكل عملي الأصداء وردود الأفعال التي عمت الأمصار الإسلامية إزاء قيام النظام الإسلامي، ونرى مدى تأثر شبابهم ومثقفيهم والسواد الأعظم منهم برسالة النظام الإسلامي. ولو تتبع المرء الحوادث التي شهدها العالم الإسلامي على مدى عشرين عاماً سيدرك جيداً السبب في القلق والإرباك الذي ينتاب أمريكا وغيرها من الدوائر الأستكبارية؛ فإنهم يشعرون بالخطر ولهم الحق في ذلك. وهذا لا يعني نية النظام في شن الحرب على دولة أو نظام معين، وإنما لأن نزول هذا الفكر إلى الميدان مدعاة خطر عليهم. إنهم تمكنوا وعبر تلويحهم بشعار الديمقراطية من تقويض النظام الماركسي على الصعيد النظريِ، لكنهم لم يفلحوا في محاصرة النظام الإسلامي من خلال هذه الحملات لأنه نظام جماهيري، وحاكمية الشعب في النظام الإسلامي هي الأكثر حقيقة وواقعية وأصالة وعمقاً منها في الأنظمة الغربية، التي تتخبط في تناقضاتها وهي تتشدق بحاكمية الشعب؛ فالتصورات التي يقدمونها بشأن حاكمية الشعب التي يتبجحون بها ما هي إلا تصورات شوهاء، في حين يستند النظام الإسلامي إلى آراء الشعب وفكره ومعتقداته، لكنهم يكثفون دعاياتهم علّهم يغمطون هذه الحقيقة وهذا البعد من أبعاد الجمهورية الإسلامية. وما تستهدفه أبواق الدعاية الاستكبارية اليوم من أهداف شاخصة واتخذت منها مادة إعلامية تتغذى عليها من قبيل حذف الجمهورية إنما تأتي لمواجهة هذه الحقيقة. إن نظاماً استند منذ انبثاقه على آراء الشعب، لَهُم أعجز من أن ينالوا منه؛ فالشعب هو الذي اختار أصل النظام وهو الذي اختار من دوّنوا الدستور وصوّت لصالحه. والجماهير هي التي توجهت ولمرات عديدة نحو صناديق الاقتراع لاختيار رؤساء الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي

بكل حرية؛ إنها حقيقة قائمة بنفسها، لكن أولئك يتشبثون مرغمين بشتى التأويلات وفبركة الأقاويل عساهم يفلحون في تضليل الرأي العالم العالمي والمحلي. فنظامنا نظام شعبي، وشعبيته أكثر وضوحاً وجلاءً وواقعية وأصالة من الديمقراطيات التي يعجّ بها العالم، وقد استطاع سدّ الفراغ المعنوي الهائل الذي يعاني منه العالم المعاصر.

كان من الطبيعي أن يوظفوا كافة إمكانياتهم ضد هذا النظام منذ انتصار الثورة وحتى يومنا هذا؛ إما لإقصائه عن الساحة، أو الحيلولة دون مضيّه قدماً، أو بغية التسلل إليه؛ ولقد جهدوا وبذلوا محاولات محمومة لكنهم أخفقوا في جميع تلك المحاولات، لا لأن النظام الإسلامي قد حقق ما هو مؤمل من أي نظام إسلامي من حيث التقدم، كلا فهنالك مؤاخذات تطال التشكيلة التي تمثل المتصدين للنظام ـ ولاسيما الذين يحملون الدعوة للدين والمعنويات والروحانية ـ وهذه المؤاخذات تمس في الواقع صلب سلوكياتنا الشخصية ومختلف الأصعدة، ولولاها لكان النظام قد حقق ازدهاراً ونجاحات تفوق ما هو عليه الآن، بيد أن أصالة النظام الإسلامي وتأثير الأحكام النورانية للإسلام أتاحتا لمسؤولي هذا النظام ـ وبما أسبغ الله عليهم من توفيق ـ العمل والتحرك؛ وشعبنا بدوره اقتحم معنا الميادين بإيمان واندفاع مواصلاً هذه المسيرة الإسلامية، فكان أن حققنا نجاحات باهرة، وعلينا أن ننظر بعين البصيرة لهذه الإنجازات الكبرى التي حققها هذا النظام؛ فنظام مستقل مستند لأحكام الإسلام النورانية، ونظام قوامه الجدارة في الحاكمية، نظام يتملك الجماهير فيه الشعور بالتدين، ومستقبل يزدهر بتحقق كامل الأحكام الإسلامية إن شاء الله، كل ذلك يثقل كواهلنا بمسؤوليات جسام[١].

---

(١) كلمة القائد في انعقاد الدورة السادسة لاجتماع مجلس خبراء القيادة، في تاريخ: ١٤٢٢/٦/١٧هـق، ٢٠٠١/٩/٦م.

أطر النظام وحدوده

□ من المعروف أن لكل نظام حكم في العالم ضوابط تؤطره سواء كان هذا النظام من النظم الوضعية أم أنه نظام ديني نرجو من سماحتكم توضيح إطار نظام حاكمية الشعب الدينية وهل يلتقي في هذه الناحية مع الأنظمة الأخرى؟

إن إدارة شؤون الأمة والمجتمع في ضوء المنطق الإسلامي إنما تتأتى عبر هدي الأنوار القرآنية والأحكام الإلهية، والأمة تتبوأ شأناً ومنزلة في القوانين السماوية والإلهية التي يتضمنها القرآن، والجماهير هي التي تنتخب وتمسك بمصير البلاد وإدارتها؛ وحاكمية الشعب هذه تمثل أرقى أشكال حاكمية الشعب التي يشهدها عالمنا المعاصر، لأنها متأطرة بإطار الأحكام والهداية الإلهية؛ فالإنتخاب للشعب، لكنه انتخاب استطاع أن يسير بالإتجاه الصحيح في ضوء القوانين السماوية المنزهة عن كل خلل ونقص.

إن لكل ما عرفته الدنيا من الديمقراطية وحاكمية الشعب إطاراته؛ فالإطار الذي تتقولب فيه الديمقراطيات الغربية عبارة عن مصالح وأطماع الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال المتسلطين على مقدرات المجتمع، وفي هذا الإطار فقط يكتسب رأي الشعب اعتباره ويصبح ساري المفعول، فإذا ما تطلّع الشعب إلى ما يتعارض مع مصالح الرأسماليين وذوي القدرة مالياً واقتصادياً ـ وسياسياً تبعاً لذلك ـ فليس هنالك من ضمان بأن تذعن هذه الأنظمة الديمقراطية لإرادة الشعب، فثمة إطار متماسك ومحكم يهيمن على هذه الأهداف والديمقراطيات.

وفي البلدان الإشتراكية السابقة التي كانت تدعي الديمقراطية أيضاً؛

كان الحزب الحاكم هو الذي يمثل هذا الإطار ولم تكن أيّة فاعلية أو فائدة لرأي الشعب خارج إطار توجهات الحزب الحاكم وسياساته وتطلعاته. على أية حال ثمة إطار يفرض نفسه.

أمّا ميزة النظام الإسلامي فهي أن الأحكام الإلهية المقدسة وقوانين القرآن ونور الهداية الإلهية الذي يشع على قلوب أبناء الشعب وأعمالهم وعقولهم ويهديهم هي التي تمثل هذا الإطار؛ فهداية الأمة واحدة من تلك القضايا ذات الأهمية القصوى التي طواها الإهمال في الأنظمة السياسية الشائعة في العالم ولاسيما الأنظمة الغربية. وهداية الأمة تعني العمل على أن تتخذ إرادة الأمة سيرها باتجاه الفضائل الأخلاقية وإقصاء الأهواء المفسدة ـ التي تطرح أحياناً تحت يافطة آراء الشعب وإرادته ـ عن آفاق الانتخاب الشعبي، وذلك إثر التعليم والتربية الصحيحين وإرشاد الأمة نحو مناهل الفضيلة.

إنكم تشاهدون اليوم في الكثير من الديمقراطيات الغربية اتخاذ أقبح الانحرافات ـ الانحرافات الجنسية وما شابهها ـ طابعاً قانونياً ورسمياً على أنها رغبة شعبية وتتم الإعانة عليها، وهذا ما يدلل على غياب العنصر المعنوي والهداية الإيمانية. وفي النظام الإسلامي ـ أي حاكمية الشعب الدينية ـ فإن الشعب هو الذي ينتخب وهو صاحب القرار وهو الذي يمسك بمقدرات البلد وإرادته عن طريق منتخبيه، بيد أن رغبته وانتخابه وإرادته إنّما تستظل بظل الهداية الإلهية، ولا يحيد بها عن جادة الصلاح والفلاح ولا يخرج عن الصراط المستقيم أبداً، وهذا هو البعد الجوهري في حاكمية الشعب الدينية؛ وهذه هي هدية الثورة الإسلامية للشعب الإيراني، إنها تجربة حديثة وفتيّة لكنها جديرة بالتأمل واقتفاء أثرها وتقليدها من

قبل الذين تهفو قلوبهم نحو الفضائل ونحو مجتمع إنساني طاهر صالح؛ ويعانون الأمرّين من الجرائم والرذائل الأخلاقية وتفشي القبائح الخلقية بين البشر.

على مدى قرون متوالية تصدى الشعب الإيراني لمن عاصرهم من الحكام الذين استحوذوا هم أو أسلافهم على السلطة بضرب السيوف ثم أورثوها ذراريهم بقوة الحراب.

إن الحكم وحق الحاكمية على الشعب دون إرادته ورغبته وانتخابه مثله كالمال الذي يورثه الحكام لأبنائهم وذراريهم حتى أجيال متعددة، وخلال الفترات المتأخرة ـ أي منذ منتصف الحقبة القاجارية والعهد البهلوي بأكمله ـ استباح عنصر بشع آخر ميدان الحكم في البلاد هو التدخل الأجنبي؛ فلقد جاء الإنجليز برضا خان بهلوي إلى سدة الحكم في ضوء اختيارهم وأسبغوا عليه دعمهم، ثم جاؤوا بابنه، وبعد انقلاب ٢٨ مرداد[1] كان الأمريكيون هم صنّاع القرار في إيران والممسكين بالسلطة والحكومة في بلادنا، ولم يكن للشعب أي دور أبداً. فالشعب لم يكن هو صاحب الخيار في أهم شؤون حياته؛ في التربية والتعليم، في الاقتصاد، في السياسة، في علاقاته الدولية، وفي نظامه الحياتي العام، والذين يسيطرون على مقدراته ويحكمونه لم يستأذنوه في التصدي لهذه المسؤولية، فلم نجرب أبداً أي مشاركة شعبية ولا رأي للشعب إلاّ في غضون فترة وجيزة وبشكل ناقص. إنّه الإسلام والثورة وجهاد هذا الشعب وتضحياته وشخصية الإمام العظيم التي قلّ نظيرها هي التي مهدت لنزول اللطف

---

(١) الانقلاب على حكومة محمد مصدق والذي قامت به الحكومات الغربية حيث أعادت الشاه محمد رضا بهلوي إلى الحكم.

والرحمة الإلهية فأصبحت هذه الهدية العظمى من نصيب الشعب الإيراني.

إن جميع أصحاب القرار في هذا النظام مسؤولون، واعتبارهم إنما يكمن في العمل بواجباتهم أمام الله والشعب والدستور، واعتبار جميع المسؤولين في النظام الإسلامي منوط بأن يعتبروا أنفسهم كادحين لدين الله منفّذين للقوانين ملتزمين بالدستور، وهذا ما يصبو إليه الشعب ووقع اختياره عليه؛ ومن زلّت قدمه وحاد عن هذا الدرب ـ سواء كان القائد بالذات أو رئيس الجمهورية أو غيره من المسؤولين ـ إنما يكون قد عزل نفسه بنفسه قبل أن يُبادَر إلى عزله لأنه يصبح فاقداً للشروط. وبناءً على هذا فإن المسؤولية جسيمة[١].

النظام الإسلامي والتصدي للتهم المغرضة

□ إن الدعايات والتهم التي يرمى بها نظام الجمهورية الإسلامية كثيرة، من انتهاك حقوق الإنسان إلى الانتقاص من حقوق المرأة إلى الاستبداد وعدم إعطاء الشعب حقه في تقرير مصيره ، فبماذا تردون على هذه المسائل خاصة وإنها فاعلة التأثير لدى بعض من لم يدركوا حقيقة الأمور؟

الإعلام الحديث ذو التغطية العالمية، هو دون شك أمضى أسلحة الاستكبار، عدد مراكز البث الصوتي والتصويري والصحفي التي تكرس أكثر جهد لمعاداة الإسلام كثير، ويزداد باطراد. ثمة خبراء أُجراء منهمكون فقط في تدبيج التعليقات والأخبار والتحليلات من أجل تضليل أذهان مستمعيهم وإعطاء صورة محرّفة ممسوخة عن النهضة الإسلامية والشخصيات الإسلامية الكبرى، والجمهورية الإسلامية خلال الأعوام التي

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ١٤٢٢/٦/١٢هـق، ٢٠٠١/٩/١م.

تلت انتصار الثورة الإسلامية حتى يومنا هذا تواجه باستمرار وبشكل متزايد مثل هذا الإعلام المعادي. ولا بد من القول أن هذه الخطة التي اختطها العدو مقابل الحركة الإسلامية الأصيلة المنطلقة من الفطرة والحاجة الإنسانية لم تحظ بكثير من النجاح ولم تحقق ما استهدفه العدو. ولا أدل على ذلك من تنامي أمواج الدعوة الثورية التي أطلقها الإمام الراحل العظيم في أرجاء العالم الإسلامي، وانتشار فكره واسمه وتعاليمه وصورته ومعالمه في شرق العالم وغربه، رغم كل الإعلام الكاذب والقول الباطل الذي أُطلق ونُشِر للإساءة إلى هذا الوارث للأنبياء بشخصيته الملكوتية. ومع هذا لا بد من الإذعان إلى أن العامل العام في حفظ سلامة الشعوب المسلمة وسداد فكرها هو ما ينهض به العلماء والمثقفون والكتّاب والفنانون والشباب العامل والواعي من نشاط في حقل التوعية. وفي هذا المجال يتحمل الجميع وخاصة علماء الدين الملتزمون مسؤوليات كبرى. العدو بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران حتى اليوم ألقى قائمة من الإتهامات على إيران الإسلام. ونرى توجيه نفس هذه التهم اليوم لكل النهضات الإسلامية في جميع بقاع العالم.. تهمة التعصب والجمود الفكري التي يطلقون عليها اسم (الأصولية)... تهمة الإرهاب.. تهمة انتهاك حقوق الإنسان... تهمة معاداة الديمقراطية.. تهمة إهمال حقوق المرأة.. تهمة معاداة السلام والنزوع إلى الحرب.. وقليل من الإنصاف يكفي لأن يتضح لكل شخص كذب هذه التهم ووقاحة من يطلقها. إيران الإسلام تُتهم بمعارضة الديمقراطية بينما هي بعد خمسين يوماً على انتصار الثورة الإسلامية الكبرى وحتى أربعة عشر شهراً من ذلك التاريخ أجرت استفتاءين شعبين عامين اختار الشعب في أحدهما الجمهورية الإسلامية ونظاماً سياسيا لبلده، وفي الثاني صوت

للدستور، كما جرت ثلاثة انتخابات، انتخب الشعب فيها على الترتيب أعضاء مجلس الخبراء لتدوين الدستور، ورئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، والانتخابات الحرة تجري حتى اليوم باستمرار باشتراكٍ حماسي جماهيري لتعيين رئيس الجمهورية وأعضاء المجلس في الموعد القانوني المقرر. وتهمة الإرهاب يطلقها على إيران الإسلام من تنال منهم الحكومة الإرهابية الصهيونية أكثر الدعم، ومن احتضنوا في كنف حمايتهم المجموعات الإرهابية الإيرانية المعادية للثورة، ومن عمد أجراؤهم داخل إيران الإسلام مئات المرات إلى تفجير القنابل وقتل الآلاف من عامة الناس والعناصر الثورية والرجال والنساء والأطفال الأبرياء.

معاداة السلام ينسبها إلى الجمهورية الإسلامية من فرضوا على إيران ثمانية أعوام من الحرب بتشجيعهم النظام العراقي ودفعه، مغدقين على ذلك النظام، الذي كان نظامهم المحبوب بسبب هجومه على إيران الإسلام، ألوان الدعم والمساعدات.

تهمة غصب حقوق المرأة يطلقها من لا يستسيغ أن يرى مكانة المرأة الإيرانية السامية حيث تشارك في أرقى نشاطات البلد مع حفظ حجابها وحدودها الشرعية، ويرون أن الوصفة المطلوبة لحياة المرأة الاجتماعية تنحصر في الإبتذال المهيمن على علاقة المرأة والرجل والاستثمار البشع للمرأة في المجتمعات الغربية.

تهمة نقض حقوق الإنسان تطلقها على إيران أنظمة ترتكب أفظع الانتهاكات وأكبرها بشأن حقوق الإنسان أو تمهِّد لارتكابها. هل نُقِضت حقوق الإنسان في العالم الحديث كما نُقِضت في البوسنة؟ أليس نقض حقوق شعب بكامله مثل الشعب الفلسطيني نقضاً لحقوق الإنسان؟ التهجير

الجماعي لأكثر من أربعمائة مواطن فلسطيني من أرضهم وبيوتهم ووطنهم أمام مرأى ومسمع العالم الذي يدعي الدفاع عن حقوق الإنسان[١]، كيف اعتبر قضية يمكن غض الطرف عنها؟ إسقاط طائرة مدنية إيرانية بيد أمريكا في سماء الخليج الفارسي، ظلم السود الأمريكيين، دعم الانقلاب في الجزائر، دعم النظام الفاسد المصري، الإحراق الجماعي لمجموعة من الأمريكيين. أليست هذه وأمثالها استهانة بحرمة الإنسانية ونقض حقوقها؟ هل هذه الحكومات، التي تنتهك حقوق الإنسان صراحة أو تنظر إلى المنتهكين ببرود ولا مبالاة بل بعين الرضا والتشجيع أحياناً، هي مستاءة حقا مما تدعي أنه نقض لحقوق الإنسان في إيران الإسلام؟ الحقيقة أن هؤلاء الذين يطلقون التهم، ومن متزعميهم أمربكا التي افتعلت أخيراً ضجة جديدة مستندة إلى هذا السلاح الإعلامي المتصدي المتهرئ، يعلمون جيداً أنهم يطلقون كلامهم جزافا. إن الذي لا يستسيغونه من الجمهورية الإسلامية ليس هذا، بل هو شيء آخر تقتضي مصلحتهم السياسية أن لا يعلنوه صراحةً، وان كانت تصريحات منظريهم وكتابهم تنم لدى التدقيق عن ذلك[٢].

---

(١) الذين أبعدتهم السلطات الصهيونية من فلسطين إلى بلدة مرج الزهور في الجنوب اللبناني في عام: ١٩٩٢م.

(٢) بيان القائد للحجاج، عام: ١٤١٣هـ ق، ١٩٩٣م.

توصيات للمسؤولين

□ ما هي نصيحتكم لنا نحن الذين نتشرف بخدمة الشعب وقد استلمنا بعض المسؤوليات وكما تعلمون أن الظروف قد تغيرت عن زمان الحرب وأصبحت الاستقامة والتمسك بالطريق القويم من حيث لا نشعر وبشكل تدريجي أصعب من السابق وخاصة في التعلق بالمظاهر الدنيوية؟

أبدأ حديثي بالآية الكريمة والواردة في معركة احد ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. فمع أن هذه المعركة كانت حادثاً زمنياً قصيراً نسبياً وتافهاً بالقياس إلى الأحداث التاريخية والعالمية والاجتماعية الأخرى، إلا أن الدرس الذي علمه القرآن إيّانا من هذه المعركة عظيم وخالد، وخلاصة ما حدث هو أن الله سبحانه وعد المسلمين بالعون، وهذا ما تحقق في احد فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ أي أن وعد الله بمدّ يد العون إليكم قد تحقق، وانتصرتم مما اضطر العدو للتراجع والانسحاب حتى كنتم السبب وراء المشكلة التي أصابتكم. فقد ورد في الروايات أن الرسول ﷺ قال: «**انتم المنصورون أو أنتم الغالبون ما ثبتّم**»، حتى إذا طغى حب الدنيا، والغفلة عن الواجب، والتنافس على الحطام الدنيوي الفاني على الشعور بالتكاليف وتحكيم الضمير الباطني الديني، انقلب الأمر، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٢.

﴿فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ بترككم أماكنكم التي قيل لكم احرسوها والزموها انعكس الأمر وتغيّر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١] وهذا قانون كباقي القوانين الطبيعية والتاريخية الأخرى، كقانون الجاذبية مثلا، فالله سبحانه وتعالى لا يسلب نعمة من أحد، بل نحن الذين نغيّر بسلوكنا وسوء تدبيرنا في الأمور، ومن هنا يأتي القرآن ليعلّمنا الاستغفار من الإسراف في أمورنا فيقول ﴿ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾[٢].

ثم يقول سبحانه: ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾[٣] فإنهم أخطأوا بعد أن أراهم الله آيات النصر، إلاّ أنهم حيث كانوا يؤمنون بالله ولم ينفضوا أيديهم تماماً ولا تركوا الهدف، ولا دلسوا إيمانهم بالله، فقد عفى الله عنهم حيث قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ أي عن خطأكم وسيثبتكم ويعينكم في المستقبل: ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

ما مرّ كان صورة عما حدث في أُحد وهو درس عظيم لنا، إذ لا ينبغي أن نعتبر تلك الساعات القليلة التي حدثت فيها المعركة لا ترتبط بنا، فمجتمعنا يعيش الوضع نفسه منذ انتصار الثورة ولحد الآن، وما تحقق لنا من نصر كان نصراً مقطعياً، فنحن لازلنا مأمورين بحراسة الثورة والمحافظة عليها، فإذا غفلنا عن ذلك يلتف العدوّ علينا ويصيبنا بخسائر عظيمة لا تعوض. لننظر إلى مسيرة الثورة منذ انتصارها ولحد الآن فسنجد أن الغفلة

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

كانت السبب وراء كل حادثة خسرنا فيها وكل التفاف حدث علينا، تعالوا نسعى للعثور على موضع الغفلة، ودعونا من السعي وراء التحاليل السياسية في كل واقعة، لا ريب أني لا أنكر الفعل والانفعال والتأثير الخارجي الواقعي والسياسي، لكن سر القضية يكمن في ذواتنا. يقول سبحانه وتعالى في نفس السياق بعد آيتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾[1] فما تحقق لنا من نصر كان بسبب التقوى وأية خسارة قد نصاب بها في واقعة معينة لا بد أن يرجع سببها إلى تزلزل في تقوانا وضعف في ذواتنا ومرض في نفوسنا نحن عنه غافلون.

الغفلة أسوأ أمراض المجتمع:

إخوتي، علينا أن لا نغفل فإن أكبر عذاب إلهي ينزل بأمة عندما تصاب تلك الأمة بالغفلة، وأسوأ مرض تصاب به الأمة الغفلة، يجب أن لا نغفل عن ذكر الله، يجب أن يكون الله حاضراً في نفوسنا وقلوبنا وفي جميع قراراتنا وحركاتنا، في الأعمال الإدارية والسياسية والعسكرية، وعند صرف الأموال وتخصيص الميزانية، ووضع القوانين والقضاء، وفي جميع الحالات يجب علينا أن نذكر الله، يجب أن نعمل لله تعالى، وبهذا النحو يتقدم المجتمع فالكل يحتاج إلى التقوى أنا وأنتم نحتاج التقوى لأمرين:

الأمر الأول: إذا عملنا من غير تقوى وأصبنا اثر ذلك بخسارة فإنها تنزل بالإسلام لا بنا، وعندها يكون الوزر والوبال على عاتقنا.

لقد ذكرت على ما يخطر ببالي في إحدى خطب صلاة الجمعة قصة لمولوي لا زلت كلما تذكرتها اهتز، وحاصلها انه كان في إحدى المدن الإسلامية محلّة يقطنها النصارى، وقد تعلق قلب إحدى الفتيات المسيحيات

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٥.

بالإسلام ورغبت في اعتناقه، وقاطعت الكنيسة والمراسيم الدينية، وقد احتار والدها في أمرها، وحدث أن عثر على مؤذن قبيح الصوت، فأعطاه الأب مالاً، وقال له: أذّن عند بيتنا، فعندما أذّن ذلك الشخص، وارتفع صوته النكر أصاب الذعر أهالي المحلة، فسألت الفتاة، ما الخبر؟ فأجابها الأب لا شيء إنه أذان المسلمين فقالت الفتاة: أهؤلاء هم المسلمون؟ فزال حبّ الإسلام من قلبها.

هذه القصة يذكرها مولوي في كتابه (مثنوي) وهو كتاب مليء بالحكمة وهذه من حِكمه، وهذه حقيقة فإنه ينظر إلى الإسلام من خلالنا، وبواسطتنا يتعرفون على الحقائق الإسلامية، وعندما نخطئ يحسب خطأنا على الإسلام، وانكسار المسلمين لا سامح الله يحسب على الإسلام أيضاً، إذ يقولون أن الإسلام انكسر، ولا يقولون أن مجموعة من الناس لم تفهم الإسلام، ولم تعمل به بالشكل الصحيح قد انكسرت. هذا هو فهمهم فلا تقولوا حتى بألسنتكم أن نظامنا ليس قيمياً بل هو كسائر أنظمة العالم فإنّهم يكونوا قد وصلوا إلى هدفهم وهذا انكسار لنا، فان هدفهم تحطيم هذه الجبهة وهذه الجبهة لا تتقدم إلا بالتقوى والطهارة والنزاهة ومحاسبة كل منا لنفسه محاسبة دقيقة وسليمة (حاسبوا أنفسكم) بدون ذلك لا يمكن أن يتقدم النظام.

إذا تصور أحد أننا نقوم بنفس الأعمال التي تقوم بها الحكومات الأخرى وموظفوها في العالم فذلك خطأ، فنحن نملك أصولاً وأساليب مخصوصة أساسها الإسلام، وهذه الأصول يجب أن تحكم العالم لا أن نقبل بالأصول الخاطئة الجاهلية السائدة في العالم الاستكباري التي يريدون فرضها علينا.

يجب المحافظة على النظام بالتقوى:

يجب أن لا نغفل عن ذكر الله ولا ننسى الموت والحساب الإلهي، فلو تعرض عملنا أو احتملنا تعرضه لتفتيش مفتش بشري ضعيف قليل الإطلاع، لأخذنا جانب الحيطة والحذر، فكيف بنا ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1] عندما نصاب بالتعب ونشعر بعدم ضرورة الاستمرار بالعمل، وعندما يأتينا صديق، وعندما تميل أنفسنا، وتبرز روح الأنانية والتفكير الشخصي، وعندما يتخذ موقف باطل إزاء أخ مسلم، عندها تذكروا هذه الآية ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ..﴾ فالآخرون لا توجد لديهم هذه الآيات، والأنظمة التي لا تعتقد بالله والقيامة يتصرف أصحابها على أساس الخداع والحيلة وقلب الأمور والتمويه حتى لا يطلع المفتش والقاضي والمحكمة والجهات العليا وتنتهي القضية.

أما نحن فلسنا هكذا، فعندما لا يطلع الآخرون، ولا يشخصوا خطأنا، تبدأ مشكلتنا، فلا ينبغي لأنفسنا أن تتغلب علينا، وتوسوس لنا.

أيها الإخوة يجب المحافظة على النظام على أساس التقوى وطريق التقوى ذكر الله.

إن أقل فشل تصاب به أمتنا اليوم يؤدي إلى تراجع الصحوة الإسلامية خمسين سنة أو أكثر إلى الوراء، فهؤلاء الشباب في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، وحتى في مدن البلدان الأوروبية يهتفون باسم الإسلام، ويتحركون باسم الجمهورية الإسلامية، هؤلاء شاهدوا الإسلام مع كل هذا التقدم مع ذلك الوجه النوراني والكلمات الحكيمة، والإدارة الإلهية للمجتمع مع تلك

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

التقوى التي عمّت المجتمع ببركة الثورة الإسلامية وشملت جميع الأفراد وبمستويات مختلفة فإن حصل انكسار أو فشل أو صدرعمل سيء فستبقى آثار وتغيرات سلبية، ويتجرأ العدو علينا.

الأمر الثاني: إن حركة هذا النظام وموفقيته لا تتحقق إلا ببركة التقوى.

وهذه خصوصية النظام الإلهي فنظام الحق لا يتقدم إلا بالتقوى، أما نظام الباطل المقابل لنظام الحق فهو شكل آخر، وهناك ثمة أصول وقواعد يجب الالتزام بها أيضاً حتى يمكن التقدم، أما التقوى فهي بمعنى الطهارة والنقاء والورع ورعاية كل القيم المطلوبة في مجتمع إسلامي عقائدي، أما في جبهة الباطل فهذه الأمور ليست لازمة، فهؤلاء لما كانوا غير ملتزمين، فلا يتورعون عن الأساليب الباطلة، ولا تهمهم النتائج القبيحة. فهم يقتحمون، ويتحركون ويفقدون شيئاً ويكسبون آخر. أما جبهة الحق فليست كذلك فهي لا تستطيع الوقوف بوجه الباطل والتقدم إلا عندما تكون مع الله ومتحلية بالتقوى فقط لا غير.

يجب المحافظة على أن يكون نظامنا نظاماً دينياً، نظاماً قيّميّاً ولكن الاستكبار وأياديه وأبواقه يسعون في هذه السنوات إلى إقناعنا بعدم فائدة ذلك، وإيصالنا إلى حالة الندم فتراهم يكثرون القول بأنّ هؤلاء رجعيون متعصبون، وقد قاموا بعرض بعض الأحكام الإسلامية وشوهوها، ويحسبون أعمالنا الشخصية أو أعمال غيرنا من المسلمين على الإسلام، كل ذلك من أجل أن نرتعب وتزهق نفوسنا، وتسبق منا كلمة، ونقول، نظامنا ليس نظاماً دينياً بل هو نظام كسائر أنظمة العالم المختلفة.

أيها الوزراء، وأعضاء المجلس، والمدراء المختلفون في الدولة ومسؤولو القضاء، لا تعتبروا أنفسكم في غنى عن الدعاء والنافلة

والذكر والتوجه والتوسل والبكاء والإنابة إلى الله تعالى.

لا تقولوا: إننا ما دمنا مشغولين بخدمة الناس فلا حاجة لنا بالدعاء، إنما يدعوا الأشخاص الذين لا عمل لهم. كلاً يا سادة هذا هو أصل القضية، فعندما لا يكون ذلك نصبح بلا حافظ، فحينما تصطف الوساوس أمامنا ونحن ضعفاء النفس لم نتربَّ وحريصون على الدنيا فإنا سننقاد إلى هذه الوساوس حتماً. إذن من الذي يحفظنا من ذلك ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[1].

فادْعُوا وصلوا النوافل وتوجهوا إلى الله، واجعلوا لكم في اليوم ساعة بينكم وبين الله، دعوا فيها الأعمال المختلفة وكونوا في أنس مع الله وأوليائه، مع ولي العصر عجل الله تعالى فرجه وأرواحنا فداه. وآنسوا أنفسكم بالقرآن وتدبروه.

أنا أحوج منكم إلى هذه النصائح فكلنا محتاجون. وهكذا نستطيع تحمل المسؤولية الثقيلة والأمانة الإلهية التي لم يعطها الله لأحد خلال القرون الطويلة منذ صدر الإسلام وإلى وقتنا الحاضر وقد وضعها الله في أعناقكم. هكذا نتمكن من حمل هذه المسؤولية وإبلاغها هدفها وإلا أصابنا الخزي دنيا وآخرة[2].

---

(١) سورة الفرقان، الآية:٧٧.

(٢) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤١٢/٢/٣هـ ـ ق، ١٩٩١/٤/١٤م.

الحكومة والجماهير:

ما هي حقوق الشعب علينا نحن المسؤولون، وكيف يمكن الوصول إلى أن نرضي شعور الجماهير تجاه النظام وتجاه المسؤولين؟

تحتل مسألة الحكومة والجماهير مركز الصدارة من بين المسائل الأخرى فهؤلاء يا سادة ـ على حد تعبير الإمام الراحل ﴿قدس سره﴾. أولياء نعمتنا، وليس هذا على سبيل المزاح، فقد رأيت مسؤولاً كان يتعامل مع الناس بنحو من التكبر، فبعثت له وقلت اخبروه أنه إن شاء أن يصحح سلوكه السابق فعليه أن يظهر في ذلك المكان وتلك الهيئة ويقول أنا خادمكم، ولا يعد قوله كذباً ومخالفاً للواقع؟ ولماذا جاء إلى المسؤولية؟ وما هي فلسفة وجودنا؟ وهل لدينا عمل سوى خدمة الناس؟ فإن الإمام ﴿قدس سره﴾ كان يقول: لئن يسمّوني خادماً خير من أن يسموني قائداً، وهذا الكلام صحيح لأن الخدمة أعظم مدحاً لصاحب القلب الواعي، وكل كيان الإمام كان واعياً، فلم يكن الإمام ﴿قدس سره﴾ عندما قالها يريد المزاح أو المجاملة، ولو أن الشعب شهد له بالخدمة ـ وهو يشهد له قطعاً ـ لكان ذلك مفرحاً للإمام أكثر مما لو رددت كل الجماهير وبصوت واحد أنت قائدنا فخدمة الناس فخر، وأما هذه العناوين والأسماء والمسؤوليات فليس لها أدنى قيمة. كثيرون جاءوا بهذه العناوين والأسماء وذهبوا دون أن يأخذوا معهم سوى لعنة الله وعباده على مّر التاريخ.

فما قيمة كوني قائداً أو رئيس جمهورية أو رئيس القوة الكذائية أو وزيراً أو غيرها من العناوين؟

يجب أن تحظى الطبقة المحرومة بعناية خاصة:

إذا تمكنت من إقناع نفسي بأني خادم ذلك حسن، لكن أخدم من؟ الناس طبعاً ولا ريب أن المقصود من الناس جميع أفراد الشعب. لكن الطبقة المحرومة يجب أن تحظى بعناية خاصة لأمرين:

الأول: لأن احتياجاتهم أكثر فمقتضى العدل إيلاؤهم عناية أكبر.

الثاني: لان دعمهم للنظام أشدّ وأدوم، كان ذلك من البداية، فمن الذي كان يتواجد في الجبهات؟ لاحظوا النسبة بينهم وبين المرفّهين الأغنياء، فهؤلاء الذين لم يعانوا من شيء وقد مرّت سني الحرب الثماني دون أن يشعروا بها بل كانوا يأكلون ويتمتعون وكأنّ حرباً لم تكن، وإذا تعرضت المدن للقصف أياماً محدودة ركبوا سياراتهم ورحلوا إلى مكان آخر يرتاحون فيه وهكذا انقضت الحرب دون أن يشعروا بما جرى على هذه الأمة.

هؤلاء ليسوا ممن ينبغي للدولة أن تقدم لهم وسائل الراحة والخدمات، بل إن من يجب أن يمنح الأولوية في الاهتمام هم أولئك الذين ذاقوا مرارة الحرب والقصف والحصار الاقتصادي وشحة الماء والكهرباء والمشاكل والغلاء وقاسوها بكل وجودهم خلال (١٠ ـ ١٢) سنة من عمر الثورة.

هؤلاء هم العامة الذين أوصى بهم أمير المؤمنين عليه السلام في عهده التاريخي إلى مالك الأشتر حيث دعاه إلى ترك الخاصة والمحافظة على العامة الذين يقفون إلى جنب واليهم في الحرب ويعينونه على المشكلات ويشاركونه في تحمّل المصاعب ويزيحون عن قلبه الغم ويجعلون من أنفسهم درعاً لدرء البلاء عنه وهم صادقون.

وعلى العكس منهم يقف طلاب العافية المتخمون وأصحاب الأطماع الذين لا يقنعون فإنّهم مع الوالي ما دام يصلهم منه خير فإن قلّ خيره عنهم ذرة واحدة ولّوا الأدبار.

واجبات المسؤولين تجاه الناس

أيها السادة علينا واجبان تجاه الناس: أولهما خدمتهم. وثانيهما كسب حبهم وثقتهم.

فماذا تعني خدمة الناس؟

تعني أن برامجكم وخططكم ـ أينما كنتم وأي موقع شغلتم ـ صحيحة عندما يبلغ نفعها إلى الجماهير الذين ذكرتهم. لا ريب إنّا لسنا بصدد النفع القصير الأجل، فلا تقولوا أن الخطة الخمسية قد وصلت إلى كذا وكذا. فإنّ الموظفين والعمال والمستخدمين قد تردت أوضاعهم المعيشية. وأما ما يخص الأمور المتعلقة بالغلاء والتضخم والمشاكل الأخرى فهناك سأطرحها على المسؤولين المعنيين ومجلس الوزراء في اجتماع خاص إن شاء الله تعالى، فالخطة الصحيحة والأسلوب القويم هو الذي ينتهي إلى خير العامة سواء في الجهاز القضائي أو التشريعي أو التنفيذي. فكل شخص يحيا في هذا البلد عليه أن يسعى لخدمة الناس والمجتمع. قولوا للمتخصصين والخبراء في الوزارات إن كانوا لا يعملون بهذه الأمور أو غير ملتفتين إليها، إن ما نطلبه منكم أن تبحثوا عما ينفع الناس وهنا تكمن فائدة التخصص، وأما أولئك المتخصصون الذين لم يدركوا مشاكل المجتمع فمن غير المعلوم أنهم أمناء. فأنا لا أقول امسكوا بأيدي المتخصصين والخبراء ونحّوهم عن أجهزة الدولة. كلاّ بل

أقول أرشدوهم ووجهوهم وافهموهم ما الذي تريدونه منهم.

صحيح أنه تم تقديم خدمات كثيرة للمحرومين منذ انتصار الثورة وإلى الآن فأنا منذ ما يقرب الاثنتي عشر سنة على إطلاع كامل بالأعمال التنفيذية التي تجري في الدولة، وأعلم ماذا أنجز لحد الآن، فقد تم إنجاز الكثير خلال هده المدة وبذلت الأجهزة المختلفة جهوداً ونشاطات كبيرة. لكن الفاصلة بين الاحتياجات والإنجازات ما زالت كبيرة وغير قابلة للقياس. فنحن لا نريد أن نعمل فقط، بل نريد قلع الحرمان من جذوره وإخراج المحروم من الحرمان فهذا هو ما نطمح إليه.

قد يقول البعض إني أعمل عشرة ساعات في اليوم بينما يعمل الموظف (٦ ـ ٨) ساعات. هذا المنطق غير سليم. فان العمل ليس له حد. بل علينا أن نعمل حتى نبلغ النتيجة المرجوة ونقترب من الهدف المطلوب، ويجب على المرء أن يعمل ما دام لديه القدرة والقابلية. لكنه إذا شعر بالتعب والإفتقار إلى الراحة عليه أن يستريح لكي يستعيد استعداده ونشاطه للعمل مرة أخرى فنحن لا نرفض أو ننفي وجوب الإستراحة للإنسان(١).

كسب ثقة الجماهير

☐ ما هو الطريق الذي يسلكه النظام الإسلامي لكسب ثقة الناس؟

إنّ أنظمة العالم أيها السادة ـ تدار بواسطة ثلاث أساليب: نظام القوة وهو حال الأنظمة البوليسية في العالم، وهذا النظام وإن أطلق عليه البعض لفظ الإدارة إلا انه ليس كذلك، كما أنه لا يدوم أيضاً فقد رأيتم نتيجة

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤١٢/٢/٣هـق، ١٩٩١/٤/١٤م.

الأنظمة الاستبدادية الشيوعية والملكية وشبه الملكية بأعينكم، فهذا نحو من الإدارة لا يليق بنا.

أما النحو الآخر من الأنظمة فهي تلك الأنظمة القائمة على التزوير والإعلام الكاذب كما هو حال الأنظمة الديمقراطية الغربية التي تخلو من الضغوط والإرهاب الموجود لدى الأنظمة البوليسية الاستبدادية، فالناس يعيشون في ظل الحرية ظاهراً لكنهم يعيشون في الواقع وسط جو عظيم من الخداع والاحتيال والتزوير وحكامهم يسيطرون على الإعلام، والوسائل والأجهزة الإعلامية العظيمة بأيديهم ويحاصرون المجتمع فلا يدعون عاملاً أو موظفاً أو كاسباً يظفر بفرصة يستطيع من خلالها النظر ـ من تلك القبة المشادة التي حبس فيها ـ إلى الخارج والتدبر في المسائل التي تحيط به، فهو يصدق كل ما يقولونه له، وهذا حال البلدان الأوروبية وأمريكا وسائر البلدان المتظاهرة بالديمقراطية أيضاً فهم يوجّهون سيلاً هائلاً من الإعلام إلى الناس حتى لا يدعون لهم فرصة للتفكير، فإذا استطعتم أن تعثروا على ثغرة عندها سترون أن هذه الديمقراطية والحرية ستتبدل فهم يعتقدون بالديمقراطية ما داموا ممسكين بعنان الناس بالتزوير والخداع والأساليب المنحرفة، حتى إذا حدث حادث وبدأ أمر فكسر طوق التزوير والخداع هذا فستظهر لكم فداحة الخطب وعظمة المصيبة وستبرز الممارسات الشديدة فيها، ها انتم ترون تعامل دول أوروبا وأمريكا مع الحركات الإسلامية وحركات التحرر وتعامل أمريكا مع الزنوج وغيرهم فإنهم يتعاملون معهم بمنتهى الخشونة، وهذا نحو أخر من الإدارة وهو لا يليق بنا أيضاً كما أنه ليس إسلامياً.

وأما النظام الثالث فهو الذي يدير أمور الناس بالمحبة والرحمة

ويتعامل مع الناس بالرأفة والاحترام والاهتمام حتى يرتبطوا بالحكومة ويمشوا وراءها وهو النظام الإسلامي.

ونظامنا كان منذ البداية وإلى الآن متّصفاً بهذه الصفات ويجب أن يبقى كذلك، فإنّ أعظم الأزمات يمكن تجاوزها بعاطفة الناس ومحبتهم[١].

وجوب الترفع عن بعض الأمور:

□ كيف يجب أن يتعاطى المسؤول في النظام الإسلامي مع بيت المال؟

يجب أن يثق الناس بنا أنا وأنتم، فإذا انحدرنا صوب قضايانا الشخصية، وانصبّ تفكيرنا على أنفسنا، وانشغلنا بالمظاهر البراقة ورحنا نلهث وراءها دون أن نضع حداً معيناً لما ننفق من بيت المال فهل ستبقى للناس ثقة بنا؟ أم أنّ الناس عميٌ لا يبصرون؟ شعبنا كان ولم يزل من أذكى شعوب العالم وقد أصبح اليوم ببركة الثورة الإسلامية من أذكى الأذكياء، ألا يرى هذا الشعب كيفية حياتنا؟ فعندما كان شباب حزب الله يذهب للعمل في جهاد البناء أو حرس الثورة الإسلامية أو الوزارة الكذائية ويسأل كم تريد أن يكون راتبك الشهري؟ كان يجيب مستنكراً هذا الكلام ويقول أنا لم آت لأجل المال. وكانوا كثيراً ما يصرّون على الواحد منهم لكي يأخذ قدراً من المال لزوجته وأطفاله وتمشية أمور معاشه. أتحسبون أن هذا أسطورة.

فإنكم لو نقلتم هذا الكلام إلى أناس يعيشون في الخارج غير مطّلعين على وضعنا في السنين المنصرمة لظنوا أن هذا الأمر أسطورة؟ لكنها حقيقة حصلت في إيران هذه بل وفي طهران وفي هذه الوزارات بالذات.

---

(١) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤١٢/٢/٣هـق، ١٩٩١/٤/١٤م.

ولم تحدث هذه مرة أو مرتين فقد كان عضو مجلس الشورى يخجل إذا أعطي له راتبه أن يأخذه، هكذا كان أصدقاؤنا في الدورة الأولى.

وقد اطلع الشعب على هذا الأمر فلا ينبغي أن ننغمس في الحياة المادية وندعو المحرومين من ضروريات العيش لينظروا إلينا على أساس أسوة وقدوة لهم. يجب علينا الترفع عن أمور كثيرة لا عن المحرمات فحسب، بل عن المحللات أيضاً. أنا لا أدعي أن نكون مثل النبي ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان تلميذه، فإن الإنسان يرتعد فرقاً حين يطالع سيرتهم. فهذا أمير المؤمنين قد أصبح زهده مضرباً للأمثال لدى المسلمين وغيرهم وعندما يصف النبي ﷺ يقول: «**قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا**»[١].

وقد جاءوا إلى النبي ﷺ ذات مرة بطعامين أحدهما عسل والآخر شيء خليط بماء، فقال ﷺ: «**إني لا أحرمهما لكني لا آكلهما جميعا إما العسل وإما الماء**».

لكنهم لم يريدوا منا هذا. ولو طلبوه منا لهلكنا فهل نطيق العيش هكذا؟ إذ من الواضح أن تلك النفس القدسية الملكوتية أمر آخر: يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه:

إن الله سبحانه وتعالى أعلم النبي ﷺ أن سيأخذ منه الدنيا ليبدله بما هو أحلى فذلك الأحلى يراه الأولياء لا أنا وانتم، لكن يجب علينا مواصلة السير في هذا الطريق والتقليل من نفقاتنا وتجنب التبذير والترفع وعدم الاهتمام بكثير من أمورنا الخاصة. فانا وانتم لا زلنا أولئك الطلبة الذين كنا قبل الثورة فالبعض منكم كان معلماً أو طالبا جامعياً أو من أهل المنبر أو

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

من طلبة العلوم الدينية، هكذا كنا، فما بالنا تجري عندنا الحفلات والأعراس كما تجري عند الأعيان؟ وما بال بيوتنا قد صارت كبيوت المترفين ولماذا حين نمشي في الشارع نمشي كمشية المترفين؟ حسناً فمن هم المترفين؟

أو يكفي فارقاً بيننا وبينهم أننا أطلقنا لحانا وحلقوها؟ لا يا سادة فنحن قد نكون مترفين. والله إنه قد يوجد في هذا المجتمع الإسلامي مترف أيضاً. وعندئذ نخشى من الآية الكريمة القائلة ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[1] فالمترف يأتي معه الموت بالفسق أيضاً. ضعوا حداً لنفقاتكم، فنفقات الدولة كثيرة وثقيلة. وقد يضطرها ذلك إلى رفع الدعم المالي عن بعض الحاجيات. وهذه سياسة صائبة وصحيحة ومنطقية.

لا ريب في ذلك لكنها إذا نفذت أدّت إلى الضغط على الشعب ولا مناص من ذلك. لكن ينبغي أن نكون منصفين في نفقاتنا ولا نفتعل نفقات إضافية فإن استخدام أموال الدولة في تغيير ديكور غرفة المدير العام أو معاون الوزير أو الوزير، المسؤول الكذائي في السلطة القضائية والدوائر المختلفة جرم كبير. فلا ينبغي لنا أن نستبدل سياراتنا بسيارات جديدة لنوزعها على الأجهزة ثم نعد ذلك من جملة نفقات الدولة ونلغي الدعم المالي بسببه، فإن هذا غير صحيح.

أوقفوا هذه التصرفات، فأجهزة الدولة يجب أن تصدر تعليمات حول تغيير الديكورات وتبديل المنازل والنفقات الزائدة ولنضع مقداراً معيناً لها. إني لا أدعو كما هو الحال عند بعض المتطرفين ـ إلى أن نذهب إلى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

المساجد ونمارس أعمالنا الوزارية فيها، فذلك غير ممكن. فالوزارة تحتاج إلى مبنى وغرف وكوادر ومستلزمات أخرى لمن يريد الخدمة. لكن ذلك له حد محدود تجب مراعاته. أنا أسأل لماذا كل هذه السيارات الفخمة المتطورة الراقية؟ بسبب وجود مخاطر أمنية؟ وأية مخاطر؟

تعالوا أيها السادة الأعضاء في مجلس الأمن الوطني، وابحثوا في الأمر، وتدارسوه فإن استدعى الأمر أن أتدخل فاخبروني لأتدخل أي وضع نرى؟ ما لنا نجد عشرات السيارات من مختلف الألوان مصطفة أمام الوزارات قد وضعت كلها في خدمة المسؤولين دون حساب ولا كتاب فمن أوصاكم بهذا.

وقد رفع إليّ تقرير بأن أحد طلبة القسم العقائدي السياسي في أحد الأجهزة لديه سيارة شخصية ومع ذلك فهو يستفيد أيضاً من سيارة الدولة فكتبت له: أنّ ذلك ليس من حقك. فأجابني بأنّ هذا أمر عادي لدى الجميع. فأنا أعلن الآن وقد كتبته من قبل أن الانتفاع من إمكانات الدولة لا يجوز ما دام يمتلك إمكانات شخصية مثلها. فإذا كان لدى البعض سيارة فليركب سيارته وليأتِ إلى الوزارة ومحل عمله. فلماذا تستخدم سيارة الدولة.

والله لولا ملامة الناس والتوصيات الأمنية لاستفدت من سيارة بيكان في تنقلاتي. اكتفوا بقدر ما تمليه الضرورة وارعوا الحدود فهذه الأمور تباعد بيننا وبين الناس، وبينهم وبين الروحانيين فهم إنّما كبروا في أعين الناس وأحبوهم لأنهم وجدوهم أتقياء ورعين لا يبالون بالدنيا. فبدون التقوى والورع والإعراض عن الدنيا لا تبقى ثمة محبة لهم في قلوب الناس، فالناس لا يجاملوا أحداً كما أن الله لا يجامل أحداً كذلك، وقد

كرّرت القول مراراً بان الله تعالى قال عن بني إسرائيل في آيات عدة من القرآن: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١] ولعل هذه العبارة وردت ثلاث أو أربع مرات. ونفس بني إسرائيل هؤلاء يقول سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ﴾[٢] فكان سلوكهم الذي قادهم إلى ذلك. أتحسبون أنّ الله تربطه بي وبكم قرابة أم تحسبون أن بين الله والجمهورية الإسلامية رابطة قربى؟ أنا وأنتم الذين يجب أن نعيّن أن هذه الجمهورية إسلامية أو غير إسلامية فذلك يتعلق بسلوكنا نحن، فكثير ـ طبعاً ـ فهموا هذا المعنى ولمسوه واقتلعوا هذه الأمور وجذورها من نفوسهم هؤلاء ليسوا بقلائل بل هم موجودون بين العلماء وغيرهم يمارسون حياتهم في غاية البساطة ولم ينقادوا لوساوس النفس. وهم جمع ليس بقليل لكنهم لا يشكلون الأكثرية طبعاً. بل هم مجموعة لا يستهان بها لم تستهوها هذه الأمور يمارسون حياتهم كما كانوا قبل الثورة وفي أوائل انتصارها. وهذا هو الصحيح، وهو ما يجلب محبّة الناس وثقتهم[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٧..

(٢) سورة البقرة، الآية:٦١.

(٣) حديث قائد الثورة الإسلامية، في تاريخ: ١٤١٢/٢/٣هـ ـ ق، ١٩٩١/٤/١٤م.

توسعة العلوم والتحقيقات

□ ما هي مميزات المجتمع الإسلامي التي تسعى الثورة الإسلامية لتحقيقها في مجال العلم والمعرفة وما هي رسالة الجامعات في هذا الخصوص؟

إنّ توسعة العلوم والتحقيقات والنمو العلمي وتفتح الطاقات الإنسانية، واتّساع الوعي والمعرفة العامّة تعدُّ إحدى النقاط الأساسية للثورة.

ذلك أنّ المجتمع الإسلامي الذي نسعى إليه مجتمع تفجّر وتوظّف فيه كلّ الكنوز الفكرية والذهنية الإنسانية ـ وهي أغلى الثروات الوطنية لأيّ مجتمع ـ وتنمحي فيه الأمية، وتتسع المدارس لكلّ الأطفال والصغار، وتعمر فيه الجامعات والحوزات العلمية، وتنشَط وتتقدّم فيه مراكز التحقيق، ويتيسر الكتاب في كلّ مكان، وأمام كلّ شخص، وتكون مواد الكتب والمطبوعات مواد ثرية توعوية، وتسمو فيه همم العلماء والأساتذة ودوافعهم، ويجد المخترعون والمبتكرون والمجددون والكتّاب والفنانون أمامهم جوّاً مليئاً بالتدفُّق والحيوية والعطاء.

إنّ البون بين الوضع الذي نعيشه اليوم والوضع الإسلامي المطلوب والمقبول بون واسع، إلا أنه يمكن أن يطوى، وعلى إيران الإسلامية أن تثبت أنها اليوم مهد العبقرية والنبوغ والطاقات العلمية الفريدة، وأنّ قرنين من التسلّط الاستبدادي والاستعماري لم يستطيعا أن يمحوا الجوهر الذاتي لهذا الشعب، فإذا كان التسلّط الاستعماري والاستبدادي خلال القرنين الماضيين قد أوقفا حركة نمو الطاقات، فإنّه يجب تلافي هذا التخلّف في عصر الحرية ووعي الشعب وببركة الثورة الإسلامية.

رسالة الجامعات

إنّ على الجامعات أن تواصل جهودها العلمية والتحقيقية بمعنويات ثورية ونشاط إسلامي، وإلا فإن مصيرها لن يكون أفضل من المصير الذي واجهته الجامعات في عصر الطاغوت، إذ كان فقدان المناعة العلمية في قبال الأجانب، واستحقار القيم الذاتية سبباً في كبح فورة الطاقات المتفجِّرة، وتشجيع الأدمغة المبدعة على الفرار من بلادها.

إنّ على الأساتذة الكبار والمخلصين أن يغتنموا فرصة هذا الجو الثوري لتربية الطاقات الخلاقة، كما أنّ على الطلبة الجامعيين ـ في الوقت نفسه أن يكرموا فيه أساتذتهم وهي فريضة إسلامية ـ أن لا يسمحوا لأحد أن يستغلّ علمه وتخصصه، وبنية سيئة أحياناً، لتمهيد السبيل للثقافة الاستعمارية في الجامعات ويحوِّلها ـ كما كان الأمر في عصور التسلُّط الأجنبي ـ إلى معاهد لتربية الأدمغة الغريبة عن ذاتها، والتي تعيش التبعية للأجانب[1].

مسؤولية المثقفين

□ **بماذا تنصحون المثقفين وما هي مسؤوليتهم أمام الشعب؟**

ليعلم المثقّفون المخلصون الصادقون أنّ الامتحان اليوم امتحان عظيم، وسيصدر التاريخ حكمه الدقيق المبين فيهم وفي سلوكهم اليوم، وإذا كان هناك بين من ينتسبون إلى فئة المثقّفين من لم يستطع ـ في ظلّ حكم العملاء ـ أن ينهض بمسؤوليته كمثقّف يقف إلى جانب الشعب في قضاياه ويحارب في جبهة الكفاح ضدّ أمريكا والنظام العميل الذي أقامته

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

في البلاد، فإن اليوم هو يوم حكم الشعب وسيادة القيم الإسلامية والإنسانية، ويوم الصراع ضد الأجانب الحاقدين الماكرين، الأمر الذي يتطلّب تلافي ما مضى من الفرص الضائعة، ومدّ صفوف كفاح الشعب الإيراني ضدّ أمريكا والاستكبار وإمبراطورية التبر والقهر العالمي الماكرة بما يملكه ـ بدوره ـ من قوّة وطاقة، ويضع لسانه وقلمه في خدمة الجهاد الإسلامي العظيم لهذا الشعب.

إنّ الحياة في ظلّ نظام أقيم على المعرفة والثاقفة والقيم الإلهية مدعاة للفخر، نظام يقف على رأسه الإمام الخميني، ذلك الإنسان العظيم الذي أذعن حتى أعداؤه بعظمته وأنّه إنسان استثنائي، ولذا فهم يحقدون عليه لعظمته، ولا ينكر أحد تساميه المعنوي وزهده وطهارته وعلمه ومعرفته وصفاء روحه الكبيرة، ولم يتصوّر أيّ أحد فيه أدنى شائبة من الضعف والتسليم، في قبال أعداء الشعب، ولم يفكّر بوجود قمة أسمى منه في عظمته الروحية.

ضعف أدعياء الثقافة

وما أحقر وأضعف وأسخف أولئك الذين تتعلق قلوبهم بنظام يقف على رأسه أناس فسّاق فاسدون وخونة من قبيل ملوك المئة سنة الأخيرة، ويديره أشخاص كرضا خان[1] ومحمد رضا[2] وعَلَم وإقبال وهويدا

---

(١) رضا خان كان مؤسس السلالة البهلوية (١٨٧٨ـ١٩٤١م) وقائدا على فرقة القوات الكازاخية في عهد دولة القاجاريين. قام سنة ١٩٢١م وهو على رأس وزارة الحرب (الدفاع) بحل الحكومة. تولى مابين سنوات ١٩٢٣ـ ١٩٢٥م منصب رئيس الوزراء. بعد أن قام بخلع آخر الملوك القاجاريين سنة ١٩٢٥م، أجبر البرلمان (المجلس الوطني) على أن ينتخبه ملكاً على البلاد. تميز حكمه بالشمولية (الدكتاتورية). كان في صراع دائم مع رجال الدين. أبدى

وزاهدي ومنصور[٣]، وأتباعهم المجرمين المنبوذين، وتقف أمريكا وإنجلترا سيدة عليهم وصاحبة السلطة العليا على الدولة والشعب!

ترى هل يمتلك أدعياء الثقافة الذين وجدوا في ظلّ الحرية الإسلامية فرصة سانحة ليدبّجوا صفحات فيها من ادّعاء الثقافة والكلام الذي يحقّق طموحات الأجانب المطرودين من البلاد الشيء الكثير؟

هل يمتلكون الشجاعة الكافية ليقرّروا بكلّ صراحة بأنّ تألّمهم وتحرّقهم ليس لأجل العلم أو الحرية، وإنّما هو نابع من لَمٍّ بساط التمتع الرخيص بالفسق والفجور والفساد، وقطع أيدي أولئك الذين يشيعون الثقافة الغربية الممزّقة للنفوس، وأنّ عداءهم للنظام ليس معلولاً لوجود عيب أو نقص فيه، بل هو بدواعي الرغبة للرجوع إلى تلك الحياة المخجلة التي زيّنها الأجانب لهم من قبل، واستمدوا من وجودهم هم ما يحقق هذه الحياة الرخيصة؟

إنّنا لا نتوقع شيئاً من أولئك الذين مسختهم الثقافة الاستعمارية الغربية، إلا أنّ كلّ أملنا في أن يقدِّر المثقّفون الحقيقيون المخلصون ـ الذين يسعون لعلاء شعبهم ووطنهم وعزتهما وتقدمهما المعنوي والمادي، ويرفضون كلّ أشكال التسلُّط الأجنبي ـ النظام الإسلامي باعتباره

رضا خان تعاطفا مع هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية. تسبب موقفه في تدخل القوات البريطانية والروسية (السوفيتية) وغزو البلاد. تم عزل الشاه سنة ١٩٤١م ثم نفي إلى جنوب إفريقيا. من أهم خطواته اجبار النساء على خلع الحجاب.

(٢) محمد رضا بهلوي (٢٦ أكتوبر ١٩١٩ إلى ٢٧ يوليو ١٩٨٠م). كان آخر شاه يحكم إيران قبل الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، واستمر حكمه من ١٩٤١ إلى ١٩٧٩م.

(٣) رؤساء الحكومات في عهد محمد رضا بهلوي.

سرّ عزّة إيران والحياة التي وُلدت في الشعب من جديد، ويدركوا مسؤولياتهم تجاه هذا الأمر[١].

بناء البلد وإعماره

□ ما هي الأهداف التي تعمل من أجلها الثورة الإسلامية، في مسألة إعمار وبناء البلاد؟

يجب أن تكون مسألة بناء البلاد وإعمار هذه الأرض الثرة بالخيرات، وتلافي التخلّف المؤسف الذي فرض على هذا الشعب الواعي في عهود حكومة الطواغيت من الأهداف الأصلية للجمهورية الإسلامية.

وفي الفرص التاريخية أي في العصور التي كان العالم فيها يدخل توّاً في طريق المعرفة والصناعة، وكانت إيران قادرة ـ عبر نوع من الوعي والتحرّك المناسب ـ أن تساهم في التقدّم العلمي والصناعي للبشرية، وتستفيد من نتائجه، كان شعبنا أسير حكام ظالمين مستبدّين عملاء جهلة، مما تركه متخلّفاً تماماً عن قافلة التقدم المذكور.

لقد قام ملوك عصر البهلوي والقاجاري ـ بدلاً من إعمار البلاد والاستفادة من تلك الإمكانات البشرية والطبيعية التي وهبها الله لتحقيق تلك الأهداف ـ بتقديم إيران لقمة سائغة للنفعيين الناهبين، ومنحوا ثرواتها نهباً للطامعين، أو تركوها معطّلة راكدة، وأهدروا كلّ إمكاناتها الإنسانية، وجعلوا مصالح الدول والشركات الخارجية هدفهم بدلاً من مصالح الشعب، حتى أن السكك الحديد التي تأخّر إنشاؤها مئة عام خطّطوا لها وفقاً لرعاية المصالح

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

العسكرية للأعداء، بدلاً من رعاية مصالح الشعب والاحتياجات التجارية له.

وهكذا حولت هذه السياسة الذيلية وسوء الإدارة وضعف الثقة بالنفس، واستبداد النظام البهلوي والقاجاري خلال حكم دام مئتي عام حولت إيران التي كانت يوماً ما حاملة للواء العلم في العالم ببركة الإسلام إلى أطلال فقيرة لمعونة الأجانب وتابعة لنفوذهم، فامتلأت بالقرى المهجورة والمدن الاستهلاكية، والمزارع القاحلة والصناعة التجميعية والعقول الراكدة .

وبعد أن انتصر الإسلام وأقيم النظام الشعبي الثوري للجمهورية الإسلامية، أدرك الأعداء الأجانب بكلّ دقّة أنّ هذا النظام الثوري ـ بما يملك من إسناد شعبي قوي واعتقاد راسخ بطاقاته الشعبية والوطنية ـ يستطيع أن يضع البلاد على طريق التنمية والتقدم المادي، ويتلافى كلّ أنماط التخلّف بتخطيطه الذكي، ويقطع ـ إلى الأبد ـ أيدي النفعيين الأجانب ذوي النوايا السيئة، لذا راحوا يتوسلون بكلّ أسلوب للحيلولة دون إعمار البلاد.

وأحد تلك الأساليب الماكرة الحرب المدمِّرة التي فُرضت على شعبنا، وجُنّدت كلّ همم الشعب والمسؤولين ـ بدلاً من الإعمار والتقدّم العلمي والعملي ـ للدفاع عن الأرض الإسلامية واستقلال البلاد.

واليوم إذ خمدت نيران الحرب، وتمّ التخطيط لبرنامج البناء من قبل الحكومة والمجلس، وشمّرت القوى المخلصة عن سواعد همّتها وعزيمتها، فإن من الواجب على الجميع أن ينظروا إلى عملية بناء البلاد نظرة جدية تماماً، ويرفعوا العقبات التي تعترضها.

إنّ السمعة الإسلامية اليوم رهينة بتحول إيران الإسلامية إلى بلد عامر

يشمل فيه العمل والإبداع الجميع، وتنتظم فيه حياة الشعب، وتجتث جذور الفقر والحرمان، ويتوازن الإنتاج الداخلي مع حاجات الشعب، وتصل البلاد في المجال الصناعي والزراعي إلى مستوى الاكتفاء الذاتي، فلا يملك العدو أن يضغط على الشعب من خلال احتياجاته الحياتية.

وخلاصة الأمر: ما نرمي إليه هو أن يصلح الدين والمعنويات الحياة المادية للناس أيضاً.

إنّ بعض وسائل الإعلام الأجنبية المغرضة لَتصرّ على زرع مفهوم: «إنّ التزام مبادئ الثورة يعني الابتعاد عن الرفاه العام، وإبقاء مشاكل الفئات الضعيفة والمحرومة دونما حلّ»، وهذا المعنى يردّده أناس ساقوا مجتمعاتهم في ظلّ الفكر الماركسي الثقيل في طريق ملؤه الشقاء، بينما كان قادة تلك الأقطار ـ مثلهم كمثل قادة الأقطار الرأسمالية ـ يغرقون في حياة مترفة، في حين كانت الطبقات السفلى من المجتمع تعاني من أنماط المصاعب المادية والمعنوية.

إنّ مكافحة الفقر والحرمان تعدُّ من الأهداف الأولى في النظام الإسلامي، وليس ادّعاء التزام مبادئ الثورة دون الجهاد في سبيل إنقاذ المستضعفين والمحرومين إلاّ كلاماً فارغاً وادّعاءً خاوياً.

إنّ الحكومة والشعب يجب أن يعتبرا مسألة إعمار البلاد واجباً ثورياً، فيعملا ـ عبر تعبئة كلّ القوى والطاقات والعقول والسواعد وتعاونها ـ على بناء البلاد وتقدّمها إلى المستوى الذي يحيي الأمل في قلوب الشعوب المظلومة، ويعرض أمامها سبيل الراحة المادية والتعالي المعنوي معاً[1].

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

استمرار العصر الخميني

□ ما هو ردكم على من يظن بأن عصر الإمام الخميني قد انتهى أو أن الحكومة الإسلامية قد أدارت ظهرها لمفاهيمه؟

إنّ فترة السنوات العشر ـ من عمر الثورة ـ خلال الحياة المباركة للإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ مثّلت نموذجاً لحياة مجتمعنا الثوري، وإنّ الخطوط الأصلية للثورة هي تلك التي رسمها الإمام. أمّا الأعداء السذّج الطامعون ذوو القلوب العُمي والذين ظنّوا أنه برحيل الإمام سيبدأ عصر جديد بمعالم متميزة عن عصر الإمام الخميني رحمه الله فهم في خطأ كبير. إنّ الإمام الخميني حقيقة حيّة دائماً:

اسمُه لواء هذه الثورة.

وطريقُه طريق هذه الثورة.

وأهدافُه أهداف هذه الثورة.

إنّ شعب هذا الإمام وتلامذته الذين نهلوا من المعين الفيّاض لذلك الموجود الملكوتي، ووجدوا فيه عزتهم وكرامتهم الإسلامية والإنسانية، لَيشهدوا اليوم أنّ الأمم الأخرى وحتى الشعوب غير المسلمة راحت تنظر إلى لائحة التعاليم الثورية لذلك القائد العظيم باعتبارها سرّ خلاصها، وتجد فيها حريتها وعزّتها.

لقد سرت اليقظة اليوم في قلوب كلّ المسلمين، وفي كلّ مكان، ببركة ذلك الإنسان الوحيد في عصره، وراحت قصور الإمبراطوريات التسلُّطية الظالمة تهتزّ وتسير نحو الفناء، وأدركت الشعوب قوة النهضة الشعبية، وراحت تجرّب مسألة انتصار الدم على السيف، وهي كلّها في كلّ مكان

تركِّز أنظارها على الشعب الإيراني المقاوم الذي لا يعرف التعب أو الكلل.

ومن الطبيعي أن لا تهتم أمريكا وباقي قادة الإستكبار بشيء أكثر من تركيزها على أن يعود الشعب الإيراني، أدراجه، من طريقه الّذي طواه خلال الأعوام العشرة، أو يشكّ فيه، فإنّ ذلك سوف يطفئ شعلة النور التي أشعلت الآمال في قلوب الشعوب ويدعها تشكّ في قيمة موضوع انتصار الدم على السيف.

إننا نعلن أمام جميع الشعوب وبكلّ صراحة: أنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنّما هي خداع ومكر استكباريّ لا غير، وإنّ الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضراً بكلّ قوّته، وإنّ عصر الإمام الخميني مستمرّ وسيبقى مستمراً دائماً:

نهجه نهجنا

وهدفه هدفنا

وإرشاداته المشعل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل.

يجب أن يَعتبر كلّ الشعب ـ وخصوصاً الشبّان الأعزّاء واليافعين ـ أنفسهم جنوداً لإمامهم الحبيب، ويسيروا متوكّلين على الله، ومستمدّين من توجُّهات وليّ الله الأعظم (الإمام المهدي) أرواحنا فداه نحو تحقيق الأهداف السامية لإمامهم بكلّ قوة وقدرة، وليعلموا أن النصر النهائي سيكون حليفنا حقا ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغلبَنَّ أنا ورسُلِي﴾[1]»[2].

---

(١) سورة المجادلة، الآية:٢١.

(٢) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

هدف النظام

□ ما هو النموذج الذي يسعى النظام الإسلامي لتطبيقه في مجال بناء الدولة؟

لا مبرر لأن نسعى لبناء دولة أو حكومة أو بلد يضاهي اليابان ـ على سبيل المثال ـ بما هو عليه الآن من مستوى قد لا ينال نظيره، أو تلك الدول التي هي أقل منها شأناً، ولم أشأ التطرق لذكرها الآن. يعني إذا ما انطمست المعنويات وتلاشى العمل في سبيل الله، ولم يكن الهدف إقامة المجتمع الإسلامي المثالي، فحينها يفقد العمل والجد مبرره، لذا فلابد من أن يكون التحرك في سبيل الله ويتأطر العمل بإطار الأهداف الإلهية: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1]. والعمل والنشاط لابد منهما بالنسبة للإنسان، وإلاّ فما أكثر الدول في العالم التي نال بعضها حصته من التطور، بيد أن ما نصبوا إليه نحن هو تحقيق الأهداف الإلهية وتجسيد القيم. وبناءً على هذا فإن ما يحتل اهتماماتنا هو تحقيق طموحات الثورة وأهدافها بقيامنا لله. والمثل التي جاءت بها الثورة وتتركز كافة جهودنا وأعمالنا من أجلها ترتكز على دعامتين هما: الدين والأمة. والدين بلا أمة لا قدرة له على الفاعلية، لأن ديننا ليس بذلك الدين المعزول عن الأمة، وإنها لخدعة أن نحاول الفصل بين الإسلام وبين جموع الأمة ومصالحها ونقول: دعوا الأمة هي وقدرها وتمسكوا بدين الله وبالإيمان! فذلك بعينه الإسلام المحرف الذي انبرى الإمام قُدّس سرّه لمقارعته منذ أن انطلق في نهضته وأدرك الكثير من الصالحين والعلماء في وقتها ما كان يدلي به الإمام في هذا السبيل، فيما

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

بقي بعض المتحجرين والبلداء على جهلهم، ولم يزل البعض أيضاً لم يدرك بعد حقيقة عدم انفصال الفكر الإسلامي عن الأمة وجماهيرها. فاعلموا أن كل ما يتبادر إليكم بعيداً عن صلاح الأمة وإسلامها قد أخطأتم معرفته؛ أي من المسلّم به أن هنالك خطأ في فهمه إن كان من الإسلام أو أي شيء آخر.

إذن، ما في إسلامنا وثورتنا من قيم يقوم على هاتين الركيزتين[1].

إن الإسلام يولي اهتمامه لدنيا البشر وآخرتهم، لذا فإن المسؤولين في البلاد مكلفون بالاهتمام بالجوانب المعنوية والقيمية للشعب بموازاة اهتمامهم بالشؤون المادية. أما الأجانب فإنهم يروّجون إلى أية منظومة إذا ما أرادت معالجة مشاكل الجماهير وزيادة وتيرة الإنتاج في البلاد، وتفعيل الحقل الصناعي والمعدني، ومضاعفة العائدات الزراعية، وتشجيع المصانع للعمل بأقصى طاقاتها، وهذا مما يعني حتمية تناسي مبادئ الثورة وأهدافها وأبعادها المعنوية، أو على الأقل التقليل من شأنها وإضعافها. هذه هي الفكرة التي يحاول الأعداء غرسها في أذهان جماهيرنا. وإنه لمن دواعي الأسف أن يرى المرء بعض الأصدقاء قد استحوذت عليهم الغفلة والسذاجة وأخذوا يرددون أباطيل العدو تلك! إن الدنيا والآخرة متلازمتان؛ فالمبادئ والرفاهية متلازمان وبمقدورهما السير قدماً جنباً إلى جنب، فلو تصور أحد استحالة نهوض المجتمع الذي تسوده المبادئ لمعالجة مشاكله المادية والرفاهية، فذلك معناه القول بإهمال الأديان والمقدسات والمبادئ لدنيا الناس ومعيشتهم. وفي ذلك مخالفة لصريح ما ورد في الإسلام وسائر الأديان الإلهية.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية، في تاريخ: ١٤١٠/٧/٢هـق، ١٩٩٠/١/٢٩م.

لا شك في أن السير باتجاه حلحلة المعضلات التي تواجه الجماهير وفتح المنافذ نحو حياة مرفهة سليمة وصالحة بحيث يتنعم أبناء الشعب بالخيرات والمواهب والنعم المتوفرة، يمثل تكليفاً إسلامياً يقع على عاتق الجميع، وبالذات على عواتقكم أيّها المسؤولون وكوادر البلد، وهذا ممكن عملياً ويعد بلا مواربة أحد المبادئ الإسلامية التي كان إمامنا العزيز يؤمن بها. وإذا ما وقع التعارض يوماً بين المتطلبات المادية والمسائل المعنوية فإن الشعب المؤمن الثوري سيضحي بدنياه الفانية اليسيرة في سبيل المبادئ الخالدة التي يصعب بلوغها. أما على المدى البعيد وما تضعون من خطط شاملة فإن الشعب الإيراني سينجح إن شاء الله في نيل طموحاته وتوجهاته الثورية ومعنوياته الإسلامية إلى جانب الرفاه المادي، ولسنا في عجالة من أمرنا ولن نضطر مسؤولينا للاستعجال، وسوف نتحرك بتأنٍّ وتؤدة مستجمعين قوانا في كافة الحقول الاقتصادية والثقافية والصحية وفي المجالات الخدمية والإنتاجية ولاسيما الزراعة والمعادن ـ وهذا ما ينبغي أن نتحرك فيه حركة مخطط لها ـ ونضع الخطط اللازمة بإذنه تعالى، وهذه هي مسؤوليتكم والدَّين الذي في أعناقكم إزاء الشعب[١].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه رئيس الجمهورية والوزراء، في تاريخ: ١٤١٠/١/٢٧هـ ق، ١٩٨٩/٨/٣م.

العلاقات الدولية

▢ ما هي الخطوط العامة للسياسة الخارجية في الجمهورية الإسلامية؟

من النقاط الأساسية مسألة الحفاظ على العزة والكرامة الثورية للجمهورية والشعب الإيراني في العلاقات والمحافل الدولية، ذلك أنّ انتصار الثورة الإسلامية في إيران أوجد تحولاً عميقاً في العلاقات الدولية من زاويتين:

الأولى: إنه وجّه ضربة قاصمة لتسلّط القوّتين العظيمتين آنذاك في مجال تعاملهما مع الدول الضعيفة في العالم، وأوهن بشدّة ذلك الجلال والعظمة التي اكتسبتاها ـ بمرور الأيام ـ في أعين الشعوب والدول.

والثانية: إنه وهب الشعوب ثقة وشجاعة وروحية وجرأة في مجال المقاومة والكفاح ضدّ الدول العميلة المفروضة عليها، هذه الثقة راحت تأثيراتها العميقة تبدو شيئاً فشيئاً على الساحة العالمية، فرحنا نشهد اليوم ـ وبعد أحد عشر عاماً ـ تغيراً كبيراً في الملامح السياسية العالمية، إلاّ أنّ كلّ ذوي الآراء النافذة قد أدركوا ـ منذ البدء ـ أنه بانتصار هذه الثورة العظمى بدأ عصر جديد في العلاقات الدولية والروابط العالمية.

وهذا العصر يجب أن يطلق عليه: (عصر الإمام الخميني)، وسمته أنه يعبّر عن يقظة الشعوب وجرأتها وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلّط للقوى العظمى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي جذور القدرة الواقعية لبني الإنسان، وظهور القيم المعنوية والإلهية. ولقد تحقّق ما كان الإمام العظيم يتوقعه عندما انهارت الماركسية اليوم، وتلاشى المعسكر الشرقي، وثارت الشعوب ضد الحكومات الشيوعية المستبدة، وخرجت إحدى

القوتين العظميين من ساحة السياسة العالمية، وتحولّت إلى قوّة من الدرجة الثانية، في حين راحت القوة الثانية تشعر ـ بشدة ـ بالخطر، عبر تنامي أنواع المقاومة الشعبية في كثير من نقاط العالم، من جنوب أفريقيا وشمالها وفلسطين المحتلة، وحتى أقصى نقاط شرق آسيا.

ومن جهة أخرى نجد الاتساع المتزايد للفساد وعدم الإيمان والتحلّل، ووجود الفراغ المعنوي والأفكار المتطرفة داخل المجتمع الأمريكي، وانقطاع حجّة الصراع ضدّ الشيوعية، والتي كان قادة أمريكا يسعون عبر التمسك بها إلى ملء الفراغ العقائدي اللازم لوحدة الشعب، كما نلاحظ انهيار الحسابات السائدة في العلاقات الأمريكية، الأوروبية، والتي كانت قد سمحت لأمريكا ببسط نفوذها حتى على الأقطار الأوروبية.

إنّ الجمهورية الإسلامية لَتحمل على عاتقها مهمة الحفاظ على هذا النمط الثوري المتصاعد، وتقوية معنويات الشعوب المظلومة الأسيرة، وبالتالي عليها أن لا تسمح لأي تغيير ـ مهما كان بسيطاً ـ في موقفها الصلب العزيز في العلاقات الدولية، وتتعامل مع المتجبرين من موقع القوة، ومع الدول الضعيفة من موقع الدعم، ومع الشعوب الثائرة من موقع الرعاية والهداية قولاً وعملاً. وتنظر للحكومة الأمريكية باعتبارها رأس الفتنة الاستكبارية، ورمز الشيطنة ونقض القيم، وتدينها لاعتدائها على الأقطار الضعيفة، ودفاعها عن الصهيونية الغاصبة، وعدائها لنهضة الشعوب وحريتها، وحقدها الإجرامي وعدائها الشديد للشعب الإيراني، فترفضها وتعلن النفور عنها، ولا تدع أيّة فرصة لكشف وجهها الكالح، وفضح ألاعيبها وادعاءاتها الكاذبة للحرية وغير ذلك[١].

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

□ ما الذي تقصدونه حينما تقولون أنكم تريدون نظاماً يحقق الحياة الطيبة؟

هنالك قضية إسلامية جوهرية ذكرها القرآن الكريم، وحري بنا نحن أبناء الشعب الإيراني أن تعيش في مخيلتنا على الدوام، وهي عبارة عن التحرك باتجاه الحياة الإلهية الإسلامية الطيبة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]؛ فالله ورسوله لا يدعوان نفس الإنسان للحياة الحيوانية، فالحيوانات إنما تبحث عن العلف وإخماد أوار شهواتها، وهي إنما تكافح لملء بطونها والبقاء في هذه الحياة ساعات معدودة. أمّا الحياة الطيبة فهي تكرّس هذه الحياة في سبيل الله وبلوغ الغايات السامية؛ فليس الهدف الأسمى للإنسان إشباع بطنه بأي نحو كان، فذلك أدنى ما يسع كل حيوان أن يتخذه هدفاً له، بل الغاية القصوى للإنسان عبارة عن الوصول إلى الحق وبلوغ القرب من الباري تعالى والتخلق بأخلاق الله. ولغرض الوصول إلى هذه الغاية على الإنسان أن يتوفر على مجموعة من السبل المعنوية والمادية؛ فالغذاء ضروري ولكن من أجل أن ينطلق الإنسان نحو هدفه، والحياة المرفهة ضرورية لبني البشر، والإسلام يقود البشرية نحو الرفاهية والحياة الوادعة بقوانينه وأحكامه، بيد أن هذه الحياة الوادعة ليست هي الهدف بحد ذاتها، فما أكثر الذين هنأت حياتهم بعيداً عن الهواجس إزاء معيشتهم ومواردهم لكنهم لم يتنسّموا عبير الإنسانية قط. والحضارات المادية تدعو البشر لمثل هذه الحياة، وهم كاذبون في ذلك أيضاً؛ ففي الأنظمة والدول التي تستقيم حياتها على الأجهزة المتطورة والعلوم المادية لا يتنعم الناس

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

جميعهم بالحياة الهانئة، بل هي تقتصر على فئة معدودة منهم.

ها هي أمريكا والدول الأوروبية المتطورة تعج بالفقر المدقع والموت الناجم عن شحة المواد الغذائية وفقدان المأوى والسكن، بل وحتى الحياة الحيوانية، أما المنتفعون بالتقنية والعلوم الحديثة فهم يشكلون طبقة خاصة من مواطني هذه الدول، وأما الذين يضطرون للمتاجرة بكرامتهم ونواميسهم ويتجرعون المهانات لتأمين لقمة العيش وسد رمق الجوع فهم يمثلون شريحة واسعة وهذه الحقيقة واقعة، وما تلك المظاهر البراقة الخادعة الجذابة التي تتناقلها عدسات التلفاز ووكالات الأنباء إلاّ مشاهد دعائية تعرضها أمام الشعوب. كذبت المدنية الغربية ـ بما تمتلك من تطور علمي وبغزوها للفضاء والثروات الطائلة التي بحوزتها أو تلك التي نهبتها من دول العالم الثالث وسائر الدول الفقيرة ـ إن هي ادّعت استغناء الطبقات الفقيرة في الدول المتطورة، فالحضارة المادية لا تقوى أيضاً على أن تهب للإنسانية تلك الحياة المعاشية الوادعة وتجعلها تتنعم بالرفاهية.

في النظام الإسلامي ليس السعيد مَن حشى بطنه وحسب، فبالإضافة إلى ضرورة تأمين المعيشة المادية والرفاهية والأمان له، لابد أن تتميز روحه وقلبه بالنقاء والتألق والنورانية، ويتملّكه الشعور بالأخوة والإيثار في مقابل الآخرين، ويعيش العبودية والإخلاص لله سبحانه، وذلك ما يريده الإسلام وسائر الأديان الإلهية لبني البشر، فالهدف إذن أسمى من الماديات التي يسعى الإسلام لتوفيرها أيضاً؛ أي أن الجميع يجب أن يتمتعوا في ظل النظام الإسلامي بالرفاهية والطمأنينة والأمان والحياة التي يحلمون بها، وهذا لم ولن تؤمّنه حضارة الغرب المادية ولا حضارة النظام الاشتراكي الشيوعي الذي شاهدتم بأعينكم أي مصير كان بانتظاره! ونحن تكفينا

تجربة الصدر الأول للإسلام كنموذج لتحقيق تعاليم الإسلام الإلهية.

لو عملنا بالأحكام الإسلامية، وقرن المجتمع الإسلامي إيمانه بالعمل بالتعاليم والقوانين الإلهية، فسيتحقق ما تصبو إليه البشرية على مدى التاريخ، وهو الاستقرار والرفاه المعاشي المتوائم مع التكامل والرقي والسمو المعنوي؛ فالإنسان ليس كالحيوان يكفيه ما تلقيه أمامه من علف، بل الإنسان ينشد الصفاء والشعور بلذة النورانية والعبودية لله سبحانه وتعالى. إنكم تشعرون باللذة عندما تعبدون الله أو تتوجهون إليه بالدعاء بحضور قلب، أو تؤدون الصلاة مقرونة بالتوجه إليه، أو تتصدقون على أحد المستحقين، ولا يمكن أن تأتي هذه اللذة عن طريق الأكل مطلقاً.

إن الشعور باللذة ينتاب الذين تذوقوا طعم العبودية لله سبحانه ـ ومثل هذه قد تراود المؤمن أحياناً خلال مسيرته ـ في تلك اللحظات التي يتوجهون بها إلى الله ويخلصون التعبد له ومناجاته والبكاء بين يدي بارئهم بحيث يكونون على استعداد للتضحية بالدنيا وما فيها كي تدوم تلك اللذة لديهم. وبطبيعة الحال فإن الماديات تسلخ الإنسان عن تلك الحالة، ولعله يضيعها أحياناً، بيد أن أولئك الغافلين عن الله والغايات المعنوية لا يتذوقون طعم تلك اللذة مطلقاً، وما أكثر الذين تصرَّمت أعمارهم في ظل الأنظمة المادية الفاسدة ولم تتبلور في داخلهم حالة التوجه إلى الله تعالى ولم يتذوقوا تلك اللذة المعنوية؛ إنهم لا يفهمون ما نقول أنا وأنتم. أما الإسلام فهو يريد الارتقاء بالبشر وتنوير الأفئدة وتنقية صدورنا من القبائح بحيث يجعلنا نتحسس تلك اللذة المعنوية، ليس في محراب العبادة فحسب، بل على امتداد آنات العمر جميعها؛ في العمل والدرس وفي ساحة الحرب والتعليم وحتى خلال عملية الإعمار، وما قيل في المشهور:

«طوبى لمن هم في صلاة دائمة» إنما يعني أن يكون الإنسان مع الله أثناء العمل والتكسب ويعيش ذكر الله أثناء الأكل والشرب منوراً بذلك الحياةَ وجنبات الكون؛ فإذا ما استطاعت الدنيا تربية هكذا أناس، حينها ستقتلع جذور التقاتل والظلم والتمييز والرذائل، وتلك هي الحياة الطيبة.

إذن، فالحياة الطيبة لا تعني انهماك الناس في الصلاة والعبادة وإهمال الحياة والجوانب المعاشية، بل هي التي تجمع بين الدنيا والآخرة وبين المادة والمعنى.. والحياة الطيبة هي أن تتفاعل الشعوب للقيام بعملية البناء والارتقاء بالحقول الصناعية والتجارية والزراعية إلى أعلى المستويات، وبلوغ الاقتدار العلمي والتقني، ونيل التطور في مختلف المجالات، وفي جميع تلك الحالات تعيش قلوبهم مع الله وتطّرد معرفتهم بالله سبحانه يوماً بعد يوم، وهذه هي غاية النظام الإسلامي والهدف الذي نادى به الأنبياء والمصلحون ودعا إليه أعلام الإسلام على امتداد القرنين المنصرمين. ولقد أدرك الأعداء ما تخفيه جعبة الإسلام فاستولى عليهم الرعب؛ فإذا ما رأيتموهم يقارعون الإسلام فلأنهم يدركون أنه لو أُطلقت يد الإسلام في بناء البشرية والمجتمعات الإنسانية لما بقي للقوى المادية ومدنيتها أي تأثير. ومن هذا المنطلق تأتي مناهضتهم للجمهورية الإسلامية التي رفعت راية الإسلام والقرآن. ولقد أعلنت ثورتنا وإمامنا وشعبنا منذ البداية أنه بالرغم مما يروّج له الأعداء من انفصال الدنيا عن الآخرة فإننا لسنا بذلك الشعب الذي يرضى بذلك، فالدنيا تتلازم مع الآخرة ولا تنفك عنها بأي حال.

لقد أدركت القوى الكبرى وفي مقدمتها إمبراطوريتا العصر في الشرق والغرب ـ وإحداهما آل مصيرها إلى الزوال ـ منذ البداية أنه لو نزل هذا الفكر الحديث والنظام الجديد وهذه الحضارة الراقية إلى الساحة؛ إذ ذاك

عليها الرحيل، إذ لا بقاء للتعسف والإغارة والعدوان والغزو ـ وهذه مظاهر مازالت على مرأى من الدنيا ـ لذا فمنذ اليوم الأول الذي شعروا فيه بعدم مهادنة هذا الكيان الجديد (الجمهورية الإسلامية) لعتاة العالم، استهدفوه بمواقفهم العدائية واستمر الأعداء في مناصبته العداء ومحاربته والتصدي له بكل ما استطاعوا حتى يومنا هذا[١].

إن أهدافنا ـ أيها الأخوة والأخوات ـ واضحة، وهي خلاصة الإسلام الذي لا يعد معتقداً وحسب بل هو الحياة الطيبة للإنسانية. وحينما نقول الحياة الإسلامية والنظام الإسلامي فإننا نقصد ذلك النظام وتلك الحياة التي تجتمع فيها كافة المواهب التي يتمناها الإنسان؛ فيها الصفاء المعنوي والرفاه المادي، والأمن الاجتماعي والروحي، فيها العلم والمعرفة والبصيرة والتحقيق، فيها التعبد والخلوص والتوجه إلى الله سبحانه والعبودية له.. تلك هي الحياة الإسلامية الطيبة التي نصبوا لتحقيقها، وهي التي يمنحنا إياها الإسلام وأثبت ذلك عملياً بالتجربة، حيث أكد قدرته بالدفاع عن الأمة التي تؤمن به وتحيا في ضوء مبادئه؛ وأن مناصبة القوى الدولية العداء لنا بسبب الإسلام، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٢]. فالصراع إنما يدور حول الإسلام الذي يمثل قلعتنا الحصينة. والإسلام هو الخندق المنيع الذي بإمكاننا التمترس فيه للدفاع عن كرامتنا وشخصيتنا وهويتنا والاستمتاع بالحياة الطيبة[٣].

---

(١) خطاب قائد الثورة في أهالي مشهد في جوار المرقد الطاهر لثامن الحجج الإمام علي بن موسى الرضا، في تاريخ: ١٤١١/١٠/٣هق، ١٩٩١/٤/١٨م.

(٢) سورة البروج، الآية: ٨.

(٣) حديث قائد الثورة، في تاريخ:١٤٠٩/١١/٢٨هـ ق، ١٩٨٩/٧/٢م.

وبوسعنا التنعم بحياة ذات مستوى راقٍ مادياً ومعنوياً، بحيث نعيش أحراراً أعزاء سادة أنفسنا يكللنا الإيمان والتقوى والصدق والطهارة إلى جانب الرفاهية والتنعم بالمواهب المادية، وهي تلكم الحياة التي يتمناها الإسلام لأمته وأتباعه، ونحن بإمكاننا توفير مثل هذه الحياة بما فيها من تلك المقومات المتقدمة؛ فالشعب الإيراني قادر على بلوغ مثل هذا المستوى لتوفر الإمكانيات الضرورية لديه، ليصبح هذا البلد وهذا الشعب القدوة والأنموذج الذي يأخذ بأيدي سائر الشعوب إلى طريق الخلاص والفلاح بإذنه تعالى[١].

الإسلام ولواء الحرية

□ ما هي الحرية التي يرفع لواءها الإسلام والقرآن، وما هي الحرية المرفوضة؟

إنّ النظام الإسلامي لم يشأ مطلقاً أن يتعلم الحرية ـ التي يحمل لواءها الإسلام والقرآن ـ في مدرسة المدّعين الكاذبين للحرية في النظم الغربية.

إننا نرفض مطلقاً وبشكل حازم حرّية الفساد والتحلُّل والتميُّع وحرية الكذب والتزوير والخداع، وحرية الظلم والاستغلال والتعدي على حقوق الشعوب، هذه الحريات التي يحمل لواءها الغرب ويطبّقها في تعامله.

إنّنا نرفض تلك الحرية التي تفسح المجال للمنجرف سلمان رشدي كي يهين مقدّسات مليار إنسان، ولكنها لا تسمح لمسلمي انجلترا حتى بالتمتع بحقّ إقامة الدعوى ضدّه، وتلك التي تسمح للحكومة الأمريكية

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أهالي محافظة أصفهان، في تاريخ: ١٤٠٩/١٢/١٢هـق، ١٩٨٩/٧/١٦م.

بتشجيع مجموعة من الأرذال وتأليبهم على معارضة حكومة شعبية، ولا تسمح لتلك الحكومة الشعبية بالقيام بأي عمل مضاد لأولئك الأرذال، وتلك التي تسمح للرأسماليين الجشعين الناهبين كي يتسلّلوا بشكل غير مشروع إلى الأقطار الضعيفة، ويغيروا على ثرواتها، ولا تفسح المجال لتلك الشعوب بالكفاح ضدّ الغزاة، إننا نرفض هذه الحرية بكل نفور ونعدّها عاراً يلطّخ جبين الإنسانية.

إنّ الحرية ـ في منطقنا ـ هي الحرية التي يمنحها الإسلام للشعوب، ويحوّلها إلى أطواد شامخة أمام المتسلّطين الظلمة الغاصبين، وهو ما حدث بالنسبة للشعب الإيراني فصنع هذه المعجزة. مثل هذه الحرية توجد في قطرنا وسوف تبقى دائماً، وعلى كلّ فرد من أفراد الشعب أن يصونها ويدافع عنها.

كما أنّ على المسؤولين أن يقدّروا هذه المشاركة والتفاعل الشعبي وتأثيره المصيري في استقلال البلاد، ويشجّعوا الشعب على التفاعل المتصاعد التأثير في السوح السياسية والاقتصادية والثقافية والدفاعية والأمنية[1].

دور الرعية في النظام الإسلامي

□ ما هي أهم وظيفة يمكن أن تمارسها الرعية في الدولة الإسلامية عند الإمام علي عليه السلام؟

إن كل ما بحوزتنا عن أمير المؤمنين عليه السلام غالباً ما يتعلق بفترة حكومته، أما ما يتصل بفترة خمسة وعشرين سنة عاشها من وفاة النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

حتى استلامه للخلافة فهو محدود للغاية، فيما تتصف المرحلة التي قضاها أثناء وجود النبي ﷺ بالطابع الجهادي وخضوعها لإشعاعات شخصية النبي الأعظم ﷺ، وعليه فإن ما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام غالباً ما يتصل بفترة حكومته التي استمرت إلى ما يقرب من خمس سنين، وقد صدر عن حاكمٍ ليرسم من خلاله الخلُق الذي ينبغي للحاكم التزامه، ويختص بعدُه الأول بالواجب الملقى على عاتق المسؤولين، ويتمثل في أن المسؤول في النظام الإسلامي مكلّف بالعمل من أجل الخلق وفي سبيل الله، لا من أجل أهوائه ومصالحه الشخصية، فيما يرتبط بعدُه الآخر ـ وسأتطرق له باختصار ـ بعامّة الناس، وهو يتمثل بالدرجة الأولى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على صعيد الشؤون الاجتماعية. وبطبيعة الحال فقد كانت التقوى في بعدها الفردي موضع عناية فائقة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن ليس هنالك خطاب يفوق في شدته وحزمه وصرامته الخطاب المتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه تكليف عام، ولنا أن نأسف لعدم بيان معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل صحيح؛ فالأمر بالمعروف يعني توجيه الأمر للآخرين للقيام بالعمل الصالح، والنهي عن المنكر هو زجر الآخرين عن فعل القبيح؛ وكل من الأمر والنهي فعل لساني ولفظي تسبقهما مرحلة أخرى هي القلبية التي إن توفرت اكتملت بها المرحلة السابقة؛ فإذا ما أعتنم النظام الإسلامي في أمر الناس بالمعروف من قبيل الإحسان للفقراء والإنفاق والتزام الأمانة والمحبة والتعاون والقيام بالأعمال الصالحة والتواضع، والتحلي بالحلم والصبر ودعوتهم لالتزام هذه الخصال، فإن كانت قلوبكم عاشقة ومتعلّقة بهذا المعروف اتسم أمركم ذاك بالصدق، ومَن نهى عن المنكرات من قبيل الظلم والعدوان على الآخرين، وسلب الممتلكات العامة، والتطاول على

نواميس الناس، وممارسة الغيبة والكذب والنميمة، والتآمر على النظام الإسلامي، والتحالف مع أعداء الإسلام، ودعا الناس إلى الابتعاد عن هذه الفعال، فإن حمل فؤاده بغضاً لها إذ ذاك يكون صادقاً في نهيه، وفي مثل هذه الحالة يكون عمله منسجماً مع الأمر والنهي. أمّا إذا تباين القلب واللسان ـ لا سمح الله ـ فحينها يدخل المرء في عداد المشمولين بهذا الحديث **«لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له»**[1]؛ فاللعنة الإلهية تحيق بمن يأمر الناس بالمعروف لكنه لا يعمل به، وينهاهم عن منكر لكنه يرتكب ذلك المنكر، وهذا الأمر من الخطورة بمكان[2].

الحكومة الولائية

□ لقد قيل الكثير حول مسالة الحكومة الولائية ولا شك أن بعضها قد يكون خاطئاً وبعضها الآخر صحيحا فما هو في نظركم معنى الحكومة الولائية؟

إنّ معنى الولاية باختصار هو أنّ الإسلام لا ينحصر في الصلاة والصيام والزكاة والأعمال الفردية والعبادات، بل إن له نظاماً سياسياً وحكومة قائمة على أحكام الشريعة الإسلامية، فالحكومة هي الولاية في العرف والاصطلاح الإسلامي. فكيف هو شكل حكومة الولاية؟ إن الولاية هي تلك الحكومة التي يرتبط فيها الحاكم مع أبناء الشعب بأواصر الحب والعاطفة والفكر والعقيدة. وأما الحكومة التي تفرض نفسها بالقوة، والتي

---

(١) الوسائل: ج ١٦، ص ١٥١.

(٢) كلمة القائد في جموع غفيرة من أهالي مشهد وزوار الإمام الرضا (عليه السلام)، في تاريخ: ١٤٢٠/١٢/١٨هـق، ٢٠٠٠/٣/٢٤م.

يأتي بها انقلاب، والتي لا يؤمن فيها الحاكم بعقيدة شعبه ولا يقيم فيها وزناً لأفكاره ومشاعره، والتي يتمتع فيها الحاكم بإمكانات خاصة ومزايا معينة حتى في عرف الشعب ـ كما هو شأن حكومات العالم اليوم ـ ويجد فيها فرصته لإشباع نزواته الدنيوية، فإنّها حكومات لا تمتّ إلى معنى (الولاية) بشيء؛ لأن الولاية تعني تلك الحكومة التي تجمع بين الراعي والرعيّة بالروابط الفكرية والعقائدية والعاطفية والإنسانية والقلبية، ويتعاطف فيها الناس مع الحاكم ويحبونه ويعتبرونه محور كل هذا النظام السياسي ويعدّون عمله تكليفاً إلهيّاً وينظرون إليه كعبد من عباد الله. فالاستكبار لا وجود له في (الولاية)، والحكومة التي يراها الإسلام هي أسمى ديمقراطيةً وشعبيةً من كل ديمقراطيات العالم، ولها عُلقة مع أفكار ومشاعر وعقائد ومتطلبات الشعوب الفكرية، وهي الحكومة التي في خدمة الشعب.

لا ينبغي أن تكون الحكومة مطمعاً ماديّاً بالنسبة للحاكم أو الولي أو المؤسسات الحكومية، فهذا يخرجها عن الولاية؛ وإذا جعل الحاكم الإسلامي منصبه وسيلةً لتحقيق مآربه المادية وطريقاً للتحكّم والتعالي والوصول إلى سدّة الحكم، فإنّه لن يكون وليّاً عندئذ، ولن تكون حكومته حكومة ولائية. إن ولي الأمر في الحكومة الإسلامية ـ أي ذلك الشخص الذي يُوكَل إليه أمر إدارة النظام السياسي ـ لا يفترق عن باقي أفراد الشعب من الناحية القانونية، ومع أنه يمتلك حقّ القيام بالكثير من الأمور الكبرى من أجل الشعب والبلاد والإسلام والمسلمين، إلاّ أنه لا يعلو على القانون.

لقد حرّف البعض معنى الولاية منذ اليوم الأول وحتى الآن، ولاسيّما بعد قيام نظام الجمهورية الإسلامية، وأعطوا لها تعريفاً مغايراً وكاذباً، فقالوا بأنها تعني الحجر على الناس لأنهم يحتاجون إلى وليّ وقيّم، وقد صرحت

بهذه الأقوال شخصياتٌ بارزة ومشهورة فيما يصدرونه من كتب وصحافة! وكل هذا لا يعدو أن يكون كذباً محضاً واتّهاماً للإسلام والولاية!

لقد طرح الرسول ﷺ قضية الولاية بصورة رسميّة في الغدير ونصّب أمير المؤمنين بصفته مصداقاً لها، ولاشكّ في أنّ ثمّة الكثير من التفصيلات التي تعرفونها؛ فإذا كان هناك من لم يطّلع عليها ـ ولاسيّما من الشباب ـ فيجدر به أن يتابعها في المؤلفات والكتب الاستدلالية والعلمية وهي كثيرة ومفيدة[1].

علي عليه السلام والولاة

□ كما تعلمون هناك فرق في صفات الحاكم وحقوقه وواجباته بين الأنظمة المختلفة والنظام الإسلامي فما هي أهم صفات الحاكم الإسلامي ومميزاته التي كان يشترطها أمير المؤمنين عليه السلام في عماله على الولايات الإسلامية؟

إن المنصب الحكومي ـ كما يراه أمير المؤمنين عليه السلام ـ ينبغي أن لا يتحول إلى وسيلة لنيل الدعة والاعتياش والتكسب الدنيوي، فهو ليس مهنة كسائر المهن؛ إنه تحمل للمسؤولية التي لا يسع العمل بها أن يكون وسيلة لأن يجني المرء المكاسب ويجمع الأموال ويؤمِّن مستلزمات حياته وحياة أسرته عن هذا الطريق، أو يعيش حياة السلامة. إذن ما الهدف المتوخّى من تسنّم المناصب في النظام الإسلامي؟ انه تطبيق العدالة وتوفير الحياة الآمنة للجماهير، والتمهيد لإقامة مجتمع إنساني تتفتح فيه القابليات الضرورية

---

(١) كلمة القائد في جموع غفيرة من أهالي مشهد وزوار الإمام الرضا عليه السلام، في تاريخ: ١٤٢٠/١٢/١٨هـق، ٢٠٠٠/٣/٢٤م.

لسمو بني البشر وهدايتهم وصلاحهم؛ وإذا ما عرفنا أن هذا الهدف هو الذي يعنيه أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، إذ ذاك يتحقق المعنى المتوخّى من كل تلك الكلمات الصادرة عنه ﴿عليه السلام﴾.

لقد عبّر أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ عن استعداده لتحمّل أحلك الظروف وأقساها على أن لا يلقى الله سبحانه وهو ظالم لأحد من العباد، يقول ﴿عليه السلام﴾: **«وَالله لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ»**[1].

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول ﴿عليه السلام﴾: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ»**[2]؛ أي لا يحق لذوي المناصب في النظام أن يقرنوا أنفسهم مع الأعيان والنبلاء، ويقولوا مادام هؤلاء يتمتعون بمثل هذه الحياة والرفاهية فالأحرى بنا نحن المسؤولين في الجمهورية الإسلامية أو النظام الإسلامي أن نعيش مثلهم، ومادام الزعماء والوزراء في سائر الدول التي تحكمها نظم غير إلهية يحيون بهذا المستوى من الحياة أو يتمتعون بأسباب الدعة أو الامكانيات المادية فلابد أن نجري جريهم.. كلا، فلا يحق لهم مقايسة معيشتهم إلى ما يعيشه الأعيان والنبلاء والمتمكنون أو المنحرفون؛ إذن مع من يتحتم عليهم مقارنة حياتهم؟ «أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس»؛ مع البسطاء من الناس، والتعبير بـ «ضعفة الناس» لا يعني العيش مثلهم، فربما لا يستطيع المرء العيش بحيث يقتّر على نفسه، بل مقارنة النفس ومقايستها إليهم، لا الأعيان والأشراف أو هذا

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة:٢٢٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة:٢٠٩.

الثري وذاك التاجر؛ فصاحب المنصب في النظام الإسلامي لا ينبغي له العيش كالأعيان والأشراف والمتمكنين وأثرياء المجتمع أو كالمسؤولين في الدول التي لا يحكمها نظام إسلامي.

إنها ثقافة خاطئة أن يمتلك مَن يصل إلى المسؤولية أو المنصب الحكومي داراً فارهة أو وسيلة نقل من طراز حديث، أو يتنعم بإمكانيات معاشية خاصة، فذلك لا ينسجم مع التعاليم الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تقتصر على ذلك العصر بل تمتد إلى جميع الأعصار، ولم يكن العوز وقتذاك يطال الناس بأجمعهم، بل إن الفتوحات درّت على البلدان الإسلامية ثروات طائلة وكان هنالك من الأثرياء والتجار مَن عاشوا حياة مرفهة، وسواء كان ذلك عن طريق الحلال أو الحرام فلا شأن لنا بأفعالهم.

وفي زماننا هذا يأتي نداء أمير المؤمنين عليه السلام ليقول ينبغي أن لا تتّسم معيشتكم بالدعة، وهذا ما يُعنى به المسؤولون في النظام الإسلامي، إذ عليهم مقايسة أنفسهم مع ضعفاء الناس وليس مع الأغنياء.

يقول عليه السلام في كتاب آخر بعثه للأشعث بن قيس: «**وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَة، وَلكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ**»[1]؛ فالمسؤولية في النظام الإسلامي عبء يلقى على عاتق الإنسان يتعين عليه تحمله من أجل هدف أو نية خاصة. وهذا هو الفهم الصحيح للحكومة والمسؤولية الإسلامية.

على المسؤولين في النظام الإسلامي أن لا يتخذ سلوكهم وممارساتهم طابع البذخ والبهرجة، والأدهى من ذلك أن تتّسم به حياتهم بحيث يتحول ذلك إلى ثقافة، وهذه المرحلة تفوق من حيث الخطورة المرحلة التي تسبقها أو لا تقل عنها على أقل تقدير؛ فلو فرضنا أن أحد كبار المسؤولين

(١) نهج البلاغة، قسم الكتب، [الكتاب: ٥].

ومن ذوي المناصب العليا في الحكومة الإسلامية سلك سبيل البذخ في حياته من حيث البهرجة التي تطغى على محل سكناه أو محل عمله، أو طبيعة الحياة العائلية، أو كيفية تزويج الأبناء ـ المهر والأثاث ـ وما شابه ذلك مما يعد خروجاً عن النهج الإسلامي، إذ ذاك يتحول هذا التصرف إلى ثقافة تلفت أنظار الآخرين نحوها فيتعلمون منه، حينها ترتفع معدلات المهور ويصعب الزواج فتتعقّد الحياة، وهكذا تسري مردودات هذا التصرف في ثنايا المجتمع شيئاً فشيئاً، سواء على المدى البعيد أم القريب.

إن أهم ما يركز عليه أمير المؤمنين عليه السلام هو: على الحاكم أن لا يتخذ من الحكومة وسيلة للاعتياش وجني العوائد المالية وجمع الثروات، وعليه أن يعتبرها مسؤولية وعبئاً ملقى على عاتقه، وأن يصبّ جل اهتمامه على البلوغ بهذا العبء إلى الغاية المرجوة.

النقطة المحورية لهذه المسؤولية تتمثل في مراعاة حقوق الناس والتزام العدالة والإنصاف في القضايا الخاصة بهم، والسعي والجد لتلبية متطلباتهم؛ فالأصل بالنسبة للحاكم الإسلامي طموحات الناس ومتطلباتهم، ولقد صرّحتُ بذلك قبل عدة أيام أمام مسؤولي البلاد؛ فالوجه الأول لمسألة حاكمية الشعب هو أن الشعب يبادر لانتخاب المسؤولين، أما الوجه الثاني فهو إذا ما وصل المسؤولون إلى مناصبهم فعليهم أن يركزوا همّهم في تلبية حوائج الناس والعمل من أجلهم، وهذا ما تفوح به كلمات أمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد نقل عنه عليه السلام قوله لمالك الأشتر: «**مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَاده... وَكَانَ لله حَرْباً**»[1]. وبالرغم من أنه عليه السلام يوجه خطابه لولاته ـ ومنهم مالك الأشتر، والأشعث بن قيس، وعثمان بن حنيف

---

(١) نهج البلاغة، قسم الكتب، الكتاب: [٥٣] من عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النَّخَعي رحمه الله.

وغيرهم ـ فإن الخطاب يشمل أيضاً كافة المسؤولين ممن يمسكون ببعض الأعمال على مختلف المستويات.

إذا ما أراد الحاكمون وأصحاب المناصب في النظام الإسلامي الاضطلاع بهذه الواجبات فهم بحاجة إلى خصلة أخرى هي الاخلاص لله والعمل في سبيله وإدامة الاتصال به؛ فلا يقتصر ارتباط القائم على الأمور وصاحب المنصب في النظام الإسلامي على العلاقة مع الأمة، فإذا لم يوثق علاقته بالله تعالى تعثّر العمل من أجل الناس وخدمتهم ـ وتلك هي مسؤوليته الجوهرية التي ينبغي تعزيزها بالارتباط الوثيق مع الولاية ـ من هنا فإن أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما ورد في نهج البلاغة ـ يضيف في كتابه لمالك الأشتر «**وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ**»[1]؛ أي لا توكل حالة الارتباط بالله والإنابة إليه والتضرع له إلى أوقات تعبك وكسلك، ثم يقول عليه السلام: «**وإن كانت كلها لله**»[2]؛ أي وإن كانت جميع أعمالك لله حينما تكون مسؤولاً وذا منصب في الحكومة الإسلامية، والشرط في ذلك «**إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعيّة**»[3]، ولكن في نفس الوقت دع لأعمالك التي هي من العبادات متّسعاً من الوقت للخلوة مع الله سبحانه. هذه هي الصورة لذوي المناصب في النظام الإسلامي وفي قاموس أمير المؤمنين عليه السلام[4].

---

(١) نهج البلاغة، قسم الكتب، الكتاب: [٥٣] من عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النَّخَعي رحمه الله.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) حديث القائد، في تاريخ: ١٤٢١/٩/١٨هـ ق، ٢٠٠٠/١٢/١٨م.

مرحلة ما بعد الحرب

□ ما هو هدف الثورة الرئيسي في هذه الفترة أي بعد إيقاف الحرب مع العراق؟

إنَ هدف الثورة الرئيسي في هذه المرحلة هو صنع البلاد المثلى والنموذجية، حيث الرفاه المادّي إلى جانب العدالة الاجتماعية وحيث القيم الإسلامية والأخلاقية وقيم الثورة هي السائدة.

إنّ التساهل في أيٍّ من هذه الأركان الأربعة يهدد الثورة بالاضمحلال والفناء.

إنّ الرفاه المادّي لا يعني إشاعة ثقافة الاستهلاك التي تحاول الثقافة الغربية الإيحاء بها؛ إنّ المعنى الحقيقي للرفاه هو: البناء، استخراج المعادن واستثمار المصادر الطبيعية، وتوفير السلامة والأمن الاجتماعي، وإنعاش التجارة وتشجيع الإنتاج الوطني من خلال اعتماد الطاقات الإنسانية الذاتية، والارتقاء بالقابليات والطاقات إلى المستوى المطلوب، والارتفاع بالمستوى الثقافي والعلمي العام إلى درجات عليا، ومكافحة كل مظاهر الفقر والتخلف.

وإنَ العدالة الاجتماعية لا تعني سوى ردم الهوّة السحيقة بين مختلف الطبقات، والقضاء على كل مظاهر الحرمان، والقيام بمبادرة جادة لإصلاح أوضاع المستضعفين والمحرومين والحفاة حماة الثورة الحقيقيين.

إضافة إلى تشريع القوانين القضائية اللازمة لإقرار العدالة والأمن الاجتماعيين، ومكافحة كل المظاهر العدوانية وهضم حقوق المظلومين، والوصول بالقضاء إلى المرحلة التي يكون فيها ملاذاً لكل من

تُهضم حقوقه أو يعتدى على حقّه، في حياة آمنة مطمئنة.

إنّ روح الثورة وشعاراتها، أن لا يجنح الشعب والمسؤولون ومن أجل حياة مرفّهة إلى الاستسلام لعنجهية القوى الدولية والتغافل عن مؤامرات الاستكبار والإعراض عن رسالة الثورة العالمية.

إنّ اليوم الذي يصبح فيه الرفاه المادّي ـ لا سمح الله ـ الهدف الأساس للجمهورية الإسلامية، وتناسي شعارات الثورة وأهدافها العالمية، هو يوم الانحطاط الشامل وضياع كل الآمال. أسأل الله أن لا يأتي مثل هذا اليوم، ولاشكّ في أنّ الشعب الإيراني ما يزال يضحّي بالغالي والنفيس من أجل إسلامه العزيز، واستقلاله وكرامته.

كما أنّ التحلي بقيم الإسلام الأخلاقية، يعني إشاعة روح الفضيلة والتقوى والاستقامة والحلم، واجتناب الشهوات المحرّمة، والابتعاد عن الحرص وحب الدنيا والجبت في المجتمع وجعلها القيم الحاكمة في الحياة.

على هذه الأركان الأربعة ينهض المجتمع الإسلامي وينمو ويتبلور صرحه الكبير، وتظهر فيه الأشياء الجميلة ليكون قدوة للأمم جميعاً[1].

---

(١) نداء القائد إلى الشعب الإيراني بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل الإمام الخميني قدس سره، في تاريخ: ١٤٠٩/١٢/١٠هـق، ١٩٨٩/٧/١٤م.



القسم الثالث

الثورة الإسلامية

أسباب الثورة:

□ الكثير منا نحن الشباب الذين لم ندرك فترة قيام الثورة ولم نعايش النظام البهلوي الذي كان حاكما في بلدنا ونريد أن نعرف لماذا قمتم بالثورة وما هي مآخذكم على ذلك النظام؟

إن أهمية البعد الإيراني للنظام الإسلامي نابعة من أنه نظام سياسي مستقر ثابت أصيل تبلور على أيدي الشعب نفسه وليس نظاماً مفروضاً على الجماهير؛ مناهض لأيديولوجية الملكية؛ فالملكية لها أيديولوجيتها التي تشاهدونها في الأنظمة الملكية القائمة في العالم بشتى أنماطها وضروبها؛ أي الاستبداد، والمنافع الخاصة، والغطرسة حيثما دعتهم الحاجة لهذه الغطرسة؛ فيوم يبرز أمامنا شخص مثل أنو شيروان الذي جرت المحاولات لتسميته (العادل) وهو قد قتل في يوم واحد عشرات الآلاف من المزدكيين بدافع حقد شخصي تولّد لديه منذ شبابه! فهو يروي: أن أبي قباد كان قد أمرني وأنا شاب بتقبيل قدم مزدك ـ وكان أبوه من أتباع مزدك ـ ولما تزل رائحة قدم مزدك الكريهة عالقة في مشامّي، وحيث بلغت السلطة الآن فإنني أنتقم، ليس من مزدك نفسه، بل من عشرات الآلاف من المزدكيين!

ونحن نفتخر بملوك الصفويين ـ وأنتم تعلمون أننا نعظم شأن الملوك الصفويين لأنهم من أتباع أهل البيت وقد حافظوا على استقلال إيران ووحدة ترابها ـ ولكن انظروا إلى الشاه عباس الشخصية البارزة فيهم،

أي ظلم اقترفه بسبب طغيانه! فلقد بالغ في قتل أقاربه وسمل عيونهم ما دفع بعضهم إلى إخفاء بعض الأمراء في الجحور والتكتم عليهم لئلاّ يطلع الشاه عباس على أخبارهم! وقد أمر ـ على سبيل المثال ـ بقطع رؤوس أبناء (إمام قلي خان) الأربعة ووضعها أمامه، في حين كان إمام قلي خان من زمرة الذين أسدوا خدمة عظيمة للدولة الصفوية ومن قدامى خدّام الصفويين وقادتهم وسياسييهم، لكن البلاء أصابه بسبب روح الدكتاتورية والاستبدادية المستحكمة لدى الملك! فالظلم والجور لم يقتصر على محمد رضا وأبيه رضا خان، بل هما في قاموس الملكية ناجمان عن الاستبداد والسلطة المطلقة وعدم الالتزام بأية مسؤولية وفقدان العهد مع الله والشعب.

لقد نهض النظام الإسلامي بوجه أيديولوجية الملكية التي ابتلي بها بلدنا قروناً متوالية قبل مجيء الإسلام وبعده؛ فكان الإسلام في المدينة يستبطن الحرية أو ما نعبر عنه اليوم بحاكمية الشعب بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ هكذا هو حال مركز النبوة ومنطلقها. أما المناطق النائية عنها من قبيل خراسان أو أصفهان أو فارس حيث يحكمها وال من الأمويين فقد كانت تعوزها هذه الحالة، بل إن كل والٍ جعل من نفسه ملكاً مستبداً يفعل ما يحلو له. ولم يكن ـ بطبيعة الحال ـ إيمان الشعب الإيراني بالإسلام من أجل سواد عيون هؤلاء الولاة والأمراء وإنما كان حبّاً لرسالة الإسلام، وتلك قصة لها تفاصيلها.

ومنذ مئة عام وما تلاها برزت في بلادنا آفات أخرى ناجمة عن أيديولوجية الملكية التي يمثل الاستبداد ركناً أساسياً فيها، أحدها التبعية والآخر فساد الملك وحاشيته وأزلامه، سواء الفساد الجنسي أو الأخلاقي أو

المفاسد المالية الفظيعة. لقد كانوا ملوكاً ولهم السلطة المطلقة على الشعب، لكنهم أذلاء صاغرون أمام الأجانب، «أسد عليَّ وفي الحروب نعامة»! وكانت الأدوار ترسم لهم على صعيد أهم القضايا، ليس ذلك من قبل رئيس جمهورية، بل من قبل سفير! فكان السفير البريطاني يأتي إلى البلاط ويقول: إن مصلحتكم تقتضي كذا وكذا؛ والملك يفهم ما تعنيه (مصلحتكم)! وبالإضافة إلى التبعية المطلقة والطاعة للأجانب كان عدم الكفاءة يضرب بأطنابه إلى ما شاء الله.

إنني أقولها لكم: إنه في السنوات المئة الأخيرة التي سبقت الثورة لم تتخذ في البلاد أية خطوة جادة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، واليوم حيث تفتحت بصائركم في الوسط الجامعي نحو الحقائق العلمية فإنكم تعاينون مدى تخلفنا وتأخرنا؛ لقد كان بالإمكان قطع هذه الأشواط والالتحاق بقافلة العلم، وكان بالإمكان تجربة العلم والعلماء والمحققين وبلوغ الاستقلال في العلم والتحقيق في بلادنا، لكنهم لم يفعلوا، بل قاموا بما يعاكسه.

ما وردنا خلال فترة دخول العلم الحديث إلى بلادنا كان عبارة عن التقليد والاقتباس، ـ ولا أقصد اقتباس أثر نفيس فهو ضروري، وإنما اقتباس الفكر والذوق ـ وذلك ما يعني سلب القدرة على الإبداع من الشعب وإفراغه من الشجاعة على قول ما هو حديث، وأخذوا يطرقون على رأسه ويلقنونه: أن إذا ما رمت أن ترتقي وتحقق آدميتك فعليك أن تفعل ما فعله الغربيون ولا تتعداه قيد أنملة! وهكذا لقنوا شعبنا وأوساطنا العلمية، وسدُّوا الأبواب أمام الإبداع والتطور والازدهار العلمي.. فلابد من إبداع العلم والفكر، فهؤلاء هم الذين لم يفسحوا المجال للإبداع العلمي لا على صعيد العلوم التجريبية ولا العلوم الإنسانية ولا السياسية ولا الاجتماعية، لذلك كان الوضع كما ترونه الآن.

لقد طويت هذه الصفحة في غضون السنوات العشرين التي أعقبت انتصار الثورة بالرغم من المصاعب التي برزت، وإلا فإن غاية آمال وطموحات المرء قبل مجيء الثورة وازدهار البلاد بالشجاعة والعزيمة والقدرة على التفكير والثقة بالنفس والاعتماد على مواهب الفرد الإيراني ـ وهذه كلها من بركات الثورة ـ لم تكن تتعدى القدرة على العمل بالوصفة التي طبقها الغربيون؛ أي لم يسمح أي أحد لنفسه بتجاوز هذا السياق. إذن فما كان سائداً هو الاستبداد والتبعية وفقدان الإبداع والتطور والكفاءة، غير أن الثورة الإسلامية وقفت بوجه كل ذلك وتمردت عليه، ولم تكن هذه الثورة وهذا النظام من فعل فئة أو طبقة معينة بل فعل الشعب بأكمله(١).

سبيل الإمام سبيل الرسول

مع أن الكثير من التحركات الإصلاحية للقادة الإسلاميين تهدف إلى أمر واحد أو أمور متقاربة جدا إلا أننا نجد أن حركة الإمام الخميني قدس سره استطاعت أن تصل إلى هدفها مما يجعل لها ميزة على النهضات الإسلامية وخاصة في هذا العصر الحديث ،بنظركم ما هي أوجه الاختلاف بين نهضة الإمام وباقي التحركات الإسلامية من حيث استخدام الوسائل وطريقة التفكير؟ طبعا هذا لا يعني أننا ننتقص من دور أولئك العظام وإن لم يصلوا إلى ما كانوا يبتغون ويهدفون .

إن النهضة الإسلامية في إيران بقيادة منقذ العصر سماحة الإمام الخميني قدس سره وتبعاً لأسلوب النبي الأعظم والرسول الخاتم وقمة الخلقة

---

(١) ١٤٢٢/٨/١٧هـ ق، ٢٠٠١/١١/٤م، أصفهان (جامعة العلوم الطبية).

العالمية والآدمية الرسول الأكرم محمد ﷺ تجلّت في شكل ثورة تامّة المعالم وتلك هي طبيعة الثورة. فهي إن قامت على أساس منطقي متين فإنها انطلقت مثل البركان وزلزلت كلّ أركان البيئة، وأصابت بحرارتها ولهيبها كلّ مكان وكل شخص.

وإننا نجد المصلحين الإسلاميين والمفكرين الذين ثاروا في المائة والخمسين سنة الأخيرة بدوافع متعددة وحملوا لواء الدولة الإسلامية وإحياء الفكر الإسلامي من أمثال السيد جمال الدين، ومحمد إقبال[1] والآخرين رغم ما حملوا من قداسة ثمينة غالية، ابتلوا بنقص كبير في عملهم يتلخص في أنهم بدلاً من إشعال ثورة إسلامية، اكتفوا بدعوة إسلامية، وراحوا يبتغون إصلاح المجتمعات المسلمة لا بالقوة والقدرة الثورية وإنما بالسعي التوعوي وبمجرد الوسائل القلمية والخطابية، وهو أسلوب محمود ومثاب عليه إلا أننا يجب أن لا نتوقع منه نتائج كتلك التي أنتجها عمل الأنبياء أولي العزم الذين صنعوا المنعطفات الأصلية للتاريخ. إن أسلوبهم في حالة صحته وتخلصه من العيوب السياسية والنفسانية إنما

---

(١) هو إقبال بن نور محمد، ولد في سيالكوت ـ إحدى مدن البنجاب الغربية ولد في الثالث من ذي القعدة ١٢٩٤هـ الموافق ٩ من تشرين أول نوفمبر ١٨٧٧م. اعتنق الإسلام أحد أجداده في عهد السلطان زين العابدين بادشاه (١٤٢١ ـ ١٤٧٣م). رحل إقبال إلى أوروبا وحصل على درجة الدكتورا من جامعة ميونخ في ألمانيا ، وعاد إلى وطنه ولم يشعر إلا انه خلق للأدب الرفيع والشعر البديع وكان وثيق الصلة بأحداث المجتمع الهندي حتى أصبح رئيسا لحزب العصبة الإسلامية في الهند، ثم العضو البارز في مؤتمر الله أباد التاريخي حيث نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس ورأى تأسيس دولة إسلامية اقترح لها اسم باكستان ، توفي إقبال ١٩٣٨ بعد أن ملأ الآفاق بشعره البليغ وفلسفته العالية. المصدر: (موقع ويكيبيديا على الانترنيت).

يستطيع فقط أن يشكّل أرضية لحركة ثورية لا أكثر. ولذا يلاحظ أن سعي المخلصين من هذه المجموعة الدائب واللامحدود لم يستطع مطلقاً أن يوقف الحركة المعاكسة والمتجهة نحو انحطاط الشعوب المسلمة، أو يرجع للمسلمين العزة والعظمة اللتين ذكرهما هؤلاء وذرفوا الدموع على أمل تحققهما دون جدوى، بل حتى لم يستطع ذلك السعي أن يقوي من عقيدة الجماهير المسلمة، ويسخّر طاقاتها لخدمة الهدف الكبير أو يوسع من المساحة الجغرافية الإسلامية، وهو أمر يبتعد كليّاً عن أسلوب الرسول الأعظم ﷺ كما هو واضح لكل من امتلك بعض الإطلاع على تاريخ البعثة والهجرة النبوية الشريفة.

خصائص الثورة الإسلامية

إن إمامنا الراحل ـ ولكي يجدّد حياة الإسلام ـ اتّبع بكلّ دقّة ذلك الطريق الذي طواه الرسول الأكرم ﷺ أي طريق الثورة.. ذلك أن الحركة مبدأ في الثورة؛ الحركة الهادفة المدروسة المتصلة، التي لا تعرف الكلل والملل والمترعة بالإيمان والإخلاص.

وفي أتون الثورة لا يكتفى بالكلام والكتابة والتوضيح وإنما يُعدُّ طيّ المواقع خندقاً خندقاً للوصول إلى الهدف مبدأ ومحوراً لها، أما الكلام والكتابة فهما يخدمان هذه الحركة لكي تصل إلى هدفها وهو تحكيم دين الله والقضاء على القوى الشيطانية للطاغوت.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

ولقد تمتعت الثورة الإسلامية الإيرانية بخصائص مهمة تنسجم كلّها مع الحركة الإسلامية في الصدر الأوّل:

الأولى: الهدفية السياسية أي الإرادة الحازمة لتحكيم دين الله، وسحب القدرة من يد الشياطين الظلمة الفاسدين وإقامة الحاكمية والقدرة السياسية للمجتمع على أساس من القيم الإسلامية.

أما الثانية: فهي استمداد القوى الإنسانية اللازمة لتحقيق هذا الهدف من الجماهير المؤمنة الواعية والمتحرقة والمضحية ـ لا من الأحزاب والتجمعات والتكتلات السياسية ـ فكان القائد الحكيم يبحث عن عوامل النصر بعد التوكل على الله بين القوة الشعبية العارمة ويعمل خلال جهاده طوال خمسة عشر عاماً على تكوين جند الرحمن من عباد الله وزجّهم في زحمة الصراع في سبيل الله ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والثالثة: هي وضوح الخطوط العامة الأصيلة للمجتمع المطلوب أمام الجميع، وتعني استقرار الشريعة الإسلامية المتضمنة للعدل الاجتماعي والاستقلال السياسي والغنى الاقتصادي والتكامل العلمي والأخلاق، وطرح شعار (لا شرقية ولا غربية جمهورية إسلامية) ويعني التبديل الواقعي والشامل لأسس الحياة الجاهلية إلى أسس إسلامية قويمة.

أما الرابعة: فهي أن القائد الحكيم والفقيه وهو العبد الصالح والنموذج الإسلامي كان في طليعة هذه الحركة إيماناً وعملاً، وقد حوّل الإيمان روحه إلى روح كبرى استطاعت أن تترع القلوب الفارغة من الإيمان والأوعية الخالية وتملأها من فيضان إيمانها في الساحة العملية واخترق شعاع إيمانها الجُدر السميكة الرفيعة لحالة اليأس واللاإيمان، فملأ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

آفاق الكفاح والمحبّة بالحيوية، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...﴾[١].

والخامسة: إن صدق القائد وصفاءه ووعيه وقفت أمام أيّ اعوجاج ومساومة وتعامل مع العدو وبالتالي لا يوجد مقتضى للانحراف عن الهدف وبذلك اتّجه صراط الثورة المستقيم نحو أهدافه بكلّ ثقة واستقامة ودونما أيّ اعوجاج.

هذا هو بالضبط ما حدث في إيران حيث استطاعت القيادة بتقواها وصدقها في العمل أن تتمتع بالتأييد وتبدأ حركتها وتستطيع من خلال جهاد وسعي متواصل على مد خمس عشرة سنة أن تكتّل الجماهير الشعبية العظيمة وبشكل تدريجي في خدمة الهدف وهو إقامة الحكم الإسلامي وتشكيل النظام الإسلام وتطبيق الأحكام الإسلامية وإسقاط الحكومة الطاغوتية الفاسدة العميلة في إيران والتي كانت تدعمها القوى الاستكبارية الناهبة لثروات بلادنا.. خلال أحد عشر عاماً مرّت بعد انتصار الثورة الإسلامية، استطاع أن يواجه بصلابة مجموعة معقّدة لا سابقة لها من المؤامرات وأنواع العداء والخيانة والهجوم والحصار والمقاطعة والهجوم العسكري والتشويش الإعلامي وغير ذلك ويخرج من حلبة هذا الصراع التاريخي منصوراً مظفراً[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) بيان القائد بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخميني قدس سره في تاريخ: ١٤١٠/١١/٦هـق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

دور الجماهير في انتصار الثورة

□ ما هو العنصر الأساس الذي استفاد منه الإمام من أجل الوصول بالثورة إلى الانتصار رغم كل ما واجهه من صعوبات وقمع على يد العدو؟

سأتطرق إلى ما ينبغي للشعب الإيراني معرفته ـ وقد أثبت معرفته به على مدى السنوات الثلاث والعشرين الماضية والحمد لله ـ ، وكذلك سأتطرق إلى ما ينبغي لأعداء هذه الثورة وهذا الشعب معرفته:

فما يعلمه شعبنا وعليه التمسك به جيداً ـ وقد تمسك به لحد الآن والحمد لله ـ هو أن خلاص هذا البلد وبلوغه المستوى الذي يجدر بهذا الشعب إنّما يتيسر في ظل الإسلام والجمهورية الإسلامية والنظام الإسلامي وحسب؛ وليعلم الشباب الذين لم يُدركوا مرحلة انتصار الثورة ولم تُبصر أعينهم سنوات ما قبل الانتصار أنه لولا الثورة الإسلامية وإمامنا العظيم ولو لم يرفع الإسلام راية الثورة والتغيير في هذا البلد لما كان هنالك أملٍ في استئصال السلطة الجهنمية للامتهان الأمريكي والحكومة الدكتاتورية البهلوية القاسية عن هذا البلد؛ فلقد جرى اختبار كافة السبل في وطننا ففشلت وأخفقت بأجمعها؛ ففي فترة من الزمن أطلّت مختلف الأحزاب السياسية والتيارات الموالية للشرق والغرب والحركات المسلحة برأسها داخل البلاد، لكن أيّاً منها لم يفلح في تقديم شيء لهذا الشعب؛ لذلك فقد ازداد القمع والاضطهاد وطأةً في الوطن، حتى أن الشباب عندما أقدموا على الكفاح المسلح جرى قمع تلك الحركات المسلحة بشدّة، وتفاقمت هيمنة النظام البهلوي، فاستحوذ اليأس على القلوب شيئاً فشيئاً؛ والشعب هو القوة التي كان بمقدورها الوقوف بوجه النظام البهلوي بالمعنى الحقيقي

للكلمة؛ أي كان على الشعب بأسره النزول إلى الساحة كي يفلح في دحر النظام البهلوي الفاسد العميل الدكتاتوري والجائر ومن خلفه أمريكا؛ ولم يكن ثمة محفل أو مركز في إيران له القدرة على تعبئة الشعب سوى علماء الدين وحاملي رايته عبر رفعهم لشعار الدين، وهذه تجربة طويلة شهدها بلدنا، يجب التمعن بها بعين الدقة.

فعلى صعيد الحركة الدستورية، لولا العلماء لما قامت هذه الحركة ولا قدّر لها بلوغ النصر؛ وحينما أقصى المتغربون وصنائع الإنجليز في إيران علماء الدين والشعارات الدينية عادت هيمنة الاستبداد والتسلط والنفوذ الأجنبي. وكذا الحال في حركة تأميم النفط، إذ كان للشعب حضوره في الساحة مادام علماء الدين وسط الميدان ـ حيث كان المرحوم آية الله الكاشاني[1] من أبرز محاور الكفاح ـ ولكن حينما سحبت يد عالم خبير وواعٍ وشجاع نظير المرحوم الكاشاني، بسبب سوء التصرف وشذوذ الطبائع وحبّ التفرّد، انسحبت الجماهير أيضاً وبقي قادة الحركة الوطنية لوحدهم، فصنع العدو معهم ما يحلو له.

---

(١) السيد أبو القاسم بن السيد مصطفى الحسيني الكاشاني: ولد سنة ١٣٣٠هـ وتوفي سنة ١٣٨١هـ نال مرتبة الاجتهاد في الخامسة والعشرين من عمره، شارك في ثورة العشرين وكان عضواً في المجلس العلمي الذي شكّله الإمام الشيرازي لقيادة الثورة، كما اهتم وبمساعدة العلماء الآخرين بتأسيس حزب سياسي منظّم ليسهل من عملية التعبئة الجماهيرية، ضد الإنجليز، فله باع طويل في نصرة الثورة، وبعد انتكاسة الثورة طارده الإنجليز فهرب إلى إيران، كان أيضاً مشاوراً للآخوند الخراساني في نهضة المشروطة، وكانت له مواقف مشرفة في إيران من قضية تأميم النفط. يعدُ من تلاميذ الشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد كاظم الخراساني والميرزا حسين الخليلي.

طالما نزل الشعب في إيران إلى الساحة بنداء من الدين، ففي ظلاله وجد العدالة، وحيثما كان العلماء الطليعة في أي تطورٍ لم يتخلَّ عنهم الشعب وذلك لثقته بهم؛ ولذا فحينما اقتحم إمامنا العظيمُ الميدانَ كمرجعٍ وعالم دين، وإنسانٍ مجرَّب، طاهر صادق راسخ العزيمة، وتبعه العلماء في اقتحام الميدان، نزلَ الشعب بأسره إلى الساحة ولم يعد بمقدور العدو المقاومة.. يومذاك نجح الحضور الجماهيري في استئصال جذور الاستبداد من الوطن.

أيّها الإخوة والأخوات الأعزاء، إن الاستبداد في بلادنا كان على الدوام معتمداً على مساندة القوى السلطوية الأجنبية؛ فاستبداد الحكم البهلوي ودكتاتوريته وطغيانه، ومن قبله الحكم القاجاري بأسلوب آخر، إنّما قام بسبب اعتماده على القوى الأجنبية؛ فرضا خان كان معتمداً على الإنجليز، ومحمد رضا كان في البداية معتمداً على الانجليز ثم اعتمد على أمريكا، فكان يضمن للأمريكان مصالحهم ونفوذهم، وهم يقومون أيضاً بحمايته، وكانوا يفعلون بهذا البلد ما يشاؤون، فأخضعوا الشعب لوطأة الاضطهاد خمسين عاماً؛ وأوقفوا عجلة تطوره العلمي والصناعي والثقافي والأخلاقي في مرحلة كانت المثلى من بين المراحل وأكثرها نضجاً لبلوغ هذا التطور على الصعيد الدولي، وأبقوا على هذا الشعب وهذا البلد متخلفاً، وكان جلّ همّهم في حياة الدعة والرفاهية وجمع الثروات وتقديم الخدمة لأسيادهم الأجانب، وهؤلاء إنّما استتبّ لهم الأمر بشكل تام في إيران عبر اعتمادهم على القوى الأجنبية، ولم يكن شأن أيّ كان اجتثاثهم وتحطيم هذا البناء الأعوج الضار المليء باللعنة والبغضاء والشؤم؛ فأطلّ الإمام العظيم حاملاً راية الهدى الإسلامية.. ولذا فإن مبادئ الإمام هي مبادئ الإسلام، وعدالته

عدالة الإسلام، وحاكمية الشعب التي جاء بها هي حاكمية الشعب الإسلامية.

من أنكى الإجحاف بحق إمامنا العظيم ونظامنا الإسلامي هو اتهام وسائل الدعاية الأجنبية للإمام والنظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية بالاستبداد والبعد عن حاكمية الشعب.. فإنه لمّا انتصرت هذه الثورة بما هي عليه من عظمة وقوة في إيران، أجري أول استفتاء شعبي على يدي الإمام مما لا سابقة له في أي ثورة؛ فانظروا أن أي انقلاب أو أدنى تغيير يحدث في أي بلد يؤدي إلى تأخير الانتخابات سنتين أو ثلاث.. وفي بلدنا لم تكن للجماهير معرفة بصناديق الاقتراع، إذ كانت الانتخابات التي جرت في عهد النظام الطاغوتي صورية وكاذبة، فلم تتوجه الجماهير نحو صناديق الاقتراع كي تدلي بصوتها بالمعنى الحقيقي للكلمة، وكل من أرادوا إدخاله للمجلس العميل جاؤوا به من خارج صناديق التصويت.. فيما دفع الإمام بالجماهير نحو صناديق الاقتراع بعد شهرين من انتصار الثورة فصوّتوا لصالح الجمهورية الإسلامية، وفي غضون عام واحد توجه الشعب خمس مرات نحو صناديق الاقتراع، وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة مضت على عمر الثورة توجه أبناء شعبنا ثلاثاً وعشرين مرة إلى صناديق الاقتراع لانتخاب أعضاء مجلس الشورى الإسلامي، وأعضاء مجلس الخبراء، ورئيس الجمهورية، وأعضاء المجالس البلدية، وكذلك لتعيين الدستور ونظام الجمهورية الإسلامية؛ فأي نظام ـ وإن كان ديمقراطياً بظاهره ـ يعوّل بهذا الحجم على إرادة الشعب ورأيه؟ إن أعداء هذه الثورة والشعب الصلفين الوقحين يقترفون هذا الإجحاف ويتهمون الثورة والنظام ومهندسهما ومؤسسهما العظيم برفض حاكمية الشعب[1]!

---

(١) كلمة القائد دام ظله إلى المؤتمر الدولي للإمام الخميني قدس سره في الذكرى السنوية الثالثة عشر لرحيل الإمام، في تاريخ: ١٤٢٣/٣/٢٢هـ ق، ٢٠٠٢/٧/٣م.

مميزات الثورة

□ ما هي الميزة أو الفارق بين الثورة الإسلامية وباقي الثورات الكبرى التي حدثت في العالم؟

إن ميزة الثورة الإسلامية العملاقة، التي جعلت منها ظاهرة فريدة على مر القرون الأخيرة في أنظار المراقبين والخبراء، لم تكن قد شوهدت من قبلُ في أيٍّ من الثورات الكبرى في العالم، لا في الثورة الفرنسية، ولا في الثورة الشيوعية السوفيتية، ولا في الثورات الصغرى التي كانت تتحرك تبعاً لهاتين الثورتين وعلى خطاهما.

فعليكم أن تعرفوا أنّ دأب سياسات الهيمنة قد تركّز ومازال على تمييع الحركات الشعبية الناشدة للعدالة في شتى بقاع العالم في بوتقتها السياسية والثقافية، وهي في الواقع إنما تقضي على هوية هذه الحركات؛ وهذا ما حصل في إيران أيضاً؛ فالحركة الناشدة للعدالة التي انطلقت في إطار الحركة الدستورية[1] في إيران قبل مئة عامٍ كانت حركة شعبية ودينية، فقام الخط السياسي المهيمن على العالم يومذاك ـ أي الانجليز ـ بتذويب هذه الحركة القائمة على المبادئ الإسلامية في بوتقته السياسية والثقافية ومسخها وتحويلها إلى حركة دستورية على الطراز الانجليزي، فكانت عاقبة ذلك أنْ آلت الحركة الدستورية ـ وهي حركة مناهضة للاستبداد ـ إلى قيام دكتاتورية رضا خان التي فاقت دكتاتورية القاجاريين سوءاً وشقاءً وقساوةً.

---

(١) هي المشروطة، وقد تقدم ذكرها في صفحة ٤٩.

وهكذا شأن حركة تأميم النفط[1] التي التحقت على أيـدي القـائمين عليها بليبرالية أمريكا، فأضحت النتيجة أنْ غدر الأمريكيون أنفسهم بنهـضة التأميم وتواطأوا مع الإنجليز الذين كانوا يمثلون الجهـة التـي تقـف بوجـه النهضة الناشدة للعدالة في إيران، وقضوا على حركة التأميم.. وعلـى أثرهـا ألقت دكتاتورية محمد رضا القاسية والسوداء بظلالها الثقيلة على هذا البلـد وهذا الشعب معرِّضةً إيّاه للضغوط على مـدى بـضعٍ وثلاثـين سـنة. فيمـا صودرت الثورات الناشدة للعدالة لشعوب آسيا وأفريقيا التي دامت عشرات السنين من قبل الـشيوعيين وسياسـة الهيمنـة للاتحـاد الـسوفيتي الـسابق، وانتهت إلى الدكتاتوريات التي كانت تعمل لصالح الاتحاد الـسوفيتي. هـذا هو المنهج المتبع عالمياً مع الحركات الشعبية التي تنشد العدالة.

كانت براعة إمامنا العظيم في أنه وضع إطاراً متماسكاً لهذه الثورة ولـم

---

(١) حركة تأميم النفط في إيران إبان حكومة الدكتور مـصدق، إنـه اقتـرح مـن جانبـه لأول مرة موضوع التأميم في ديـسمبرـ كانون الأول عام ١٩٥٠. لدى إقرار البرلمـان الإيرانـي بمجلسيه الشورى الوطني والشيوخ، مبدأ تأميم النفط، إلا أنّ حكومة العمال البريطانية آنذاك، عارضت منذ الوهلة الأولى المصادقة على مبـدأ تـأميم الـنفط فـي مجلـسي إيـران الـشورى الوطني والشيوخ باعتباره قراراً باطلاً وغير مشروع. لاسترضـاء الحكومـة الجديـدة الإيرانيـة، وكسب موافقتها على توقيع إتفاقية جديدة، دعت شـركة الـنفط الإنكليزيـة ـ الإيرانيـة، أي: الإنكلوـ إيرانية علناً لمناصفة الأرباح (مبدأ خمـسين ـ خمـسين).. هـذه الـدعوة كانـت قـد طرحت أولاً أواخر أيام حكومـة رزم آرا... تقـدمت الـشركة فـي ٢٥ ابريـلـ نيـسان ١٩٥١ باقتراح جديد يتضمن ٣ بنود. الإقتراح وإن كان يلحظ مزايا جديدة لإيـران يتنـافى ومبـادئ تأميم النفط..، لذا أقرت لجنة النفط في مجلس الشورى الـوطني (النـواب) بالإجمـاع نتيجـة إصرار الدكتور مصدق طرح قانون تأميم النفط يوم السادس والعشرين من ابريل نيـسان عـام ١٩٥١. يوم الجمعة السابع والعشرين من ابريل ـ نيسان عام ١٩٥١.

يسمح بذوبانها في بوتقة القوى والخطوط السياسية السلطوية، فكان مغزى شعار (لا شرقية لا غربية جمهورية إسلامية) أو شعار (استقلال حرية جمهورية إسلامية) ـ اللذين رسمتهما تعاليم الإمام وإرشاداته على شفاه الجماهير ـ أنّ هذه الثورة ترتكز إلى أصول ثابتة وصلبة لا صلة لها بالمبادئ الاشتراكية في المعسكر الشرقي يومذاك ولا بأصول الرأسمالية الليبرالية للمعسكر الغربي. وهذا هو السبب في ما أبداه الشرق والغرب من عداء وتزمّت إزاء هذه الثورة.

لقد أقيمت هذه الثورة على قواعد صلبة، فجعلت من تطبيق العدالة والحرية والاستقلال ـ وهي من أهم القيم بالنسبة للشعوب ـ ومن المعنويات والأخلاق غايتها. هذه الثورة مزيج من الدعوة للعدالة والتحرر وحاكمية الشعب والمعنويات والأخلاق، ولكن ينبغي عدم الخلط بين هذه العدالة وبين العدالة المزعومة الوهمية التي كان شيوعيو الاتحاد السوفيتي السابق أو الدول التي كانت تدور في فلكه يرفعون شعارها؛ فهذه عدالة إسلامية لها تعريفها الخاص بها، وكذا ينبغي عدم التشبيه بين الحرية في نظام الجمهورية الإسلامية وحرية الغرب بما تعنيه من إطلاق عنان السلطويين والأثرياء ومن تحلل في سلوكيات البشر وأفعالهم؛ فهذه حرية إسلامية تنطوي على حرية اجتماعية ومعنوية وفردية لها قيودها وإدراكها وهديها ومفهومها الإسلامي. كما ينبغي عدم الخلط بين المعنويات والأخلاق التي جعلتها الجمهورية الإسلامية من مبادئها وبين حالات التديّن المتحجر الخالي من المنطق والجامد الذي يسود الكثير من المجتمعات، وهو تديّن قشري يطفو على اللسان فقط ويشوبه الجمود وعدم تلمّس طريق السعادة للمجتمع والإنسان. فقيد (الإسلامية) هذا الذي

يأتي بعد العدالة والحرية والمعنويات ثرّ في مغزاه، ولابد من العناية به.

هذه المبادئ انبرى الإمام لبيانها أمام الجماهير والواعين قبل انتصار الثورة، وعلى أساسها أرسى الجمهورية الإسلامية بعد انتصار الثورة، وظلّ متمسكاً بهذه المبادئ وجاهد من أجلها مادام على قيد الحياة[1].

ما السر في انجذاب القلوب السليمة للثورة الإسلامية وقادتها مع وجود القصور والتقصير؟

إنّ طبيعة الإسلام الأصيل هي طبيعة جذّابة تماماً تجذب إليها كلّ القلوب البريئة من كلّ غرض وحقد، وهذا هو بالضبط ما طرحه إمامنا وشعبنا مرّة أخرى على الصعيد العالمي وعرضه على القلوب والعيون الظمأى الباحثة عن الحقيقة.

إنّ مدرسة الثورة التي أسسها الإمام تأبى أيّ نمط من الإسلام السفياني والمرواني، إسلام المراسم والمناسك الخاوية، الإسلام المسخّر للتبر والقهر، وبالتالي الإسلام الذي تسيّره أيدي القوى المغيرة على أرواح الشعوب، وتحتضن بكل شوق الإسلام القرآني والمحمّدي ﷺ إسلام العقيدة والجهاد، الإسلام المعادي للظالمين، والعون للمظلومين، الإسلام المقارع للفراعنة والقوارين، وتدعو ـ في خلاصة الأمر ـ إلى الإسلام المحطّم للجبابرة والمقيم لحكومة المستضعفين.

---

(١) كلمة القائد دام ظله إلى المؤتمر الدولي للإمام الخميني قدس سره في الذكرى السنوية الثالثة عشر لرحيل الإمام، في تاريخ: ١٤٢٣/٣/٢٢هـ ق، ٢٠٠٢/٧/٣م.

معالم الإسلام المحمدي الأصيل

في ثورتنا الإسلامية يحلّ إسلام الكتاب والسنة محلّ إسلام الخرافة والبدعة.

إسلام الجهاد والشهادة محلّ إسلام القعود وتقبُّل الأسر والذل.

إسلام التعبد والتعقل محلّ الإسلام الهجين والجاهل.

إسلام الدنيا والآخرة محل الإسلام الراكن للدنيا أو الرهبانية.

إسلام العلم والمعرفة محل إسلام التحجّر والغفلة.

إسلام الدين والسياسة محل إسلام التحلل واللامبالاة.

إسلام القيام والعمل محل إسلام الخور والملل.

إسلام الفرد والمجتمع محل إسلام المراسيم الرسمية الخاوية.

والإسلام المنقذ للمحرومين محلّ الإسلام الألعوبة بيد القوى.

وخلاصة الأمر الإسلام المحمَّدي ﷺ الأصيل محلّ الإسلام الأمريكي. وهكذا كان طرح الإسلام على هذه الشاكلة وبمثل هذه الواقعية والجدّية سبباً لثورة الحقد المجنون لأولئك الذين تعلّقت قلوبهم وآمالهم بزوال الإسلام من إيران ومن كلّ الأقطار الإسلامية، أو كانوا لا يقبلون منه إلاّ ما عبّر عن اسم بلا مسمّى وأسلوب لاستغفال الناس وتحميقهم، فوجدناهم لا يألون جهداً ولا يتركون فرصة تمرّ منذ انتصار الثورة الإسلامية وحتى اليوم إلاّ واستغلوها للهجوم وتوجيه الضربات والتآمر والتخطيط الماكر ضدّ الجمهورية الإسلامية، ومركز حركة العالم الإسلامي: إيران[1].

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام قدس سره ١٤١٠/١١/٦هـ ق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

كيف قامت الثورة؟

بعونك يا لطيف، إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. أبـي العزيـز، إننـي حينمـا جئتُ إلى هذا العالم، كان قد مر على وقوع هذه الثورة بضع سنوات. ومـع ذلك فإنني افتخـر بـالثورة التـي تحققـت بقيـادة الإمـام العزيـز وبهمّـتكم وبتضحيات شعبنا العزيز. إنني من جيـل مـا بعـد سـنوات الملحمـة ومـن شباب ما بعد الثورة؛ ومعنى هذا إنني لم أدرك الثورة إلاّ مـن بعـد مـا نمـا عودها وأثمرت شجرتها المعطاء، ولهذا السبب:

كثيراً ما يتبادر إلى ذهني هذا السؤال، وهـو: لمـاذا وقعـت فـي بلـدنا ثورة، وكيف نزلت تلك الحـشود الهائلـة مـن الرجـال والنـساء والـشيوخ والشباب إلى الشوارع، وفجّرت فـي قلـب التـاريخ تلـك الثـورة الكبـرى بزعامتكم انتم القادة العظماء؟ أرجو منكم أن تقدّموا لي بكلامكم الجـذّاب جواباً شافياً لسؤالي. مع فائق الشكر.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا واحد من أكثر الأسئلة بداهة ومنطقاً مما يراود أذهان الشباب من أسئلة في الوقت الحاضر.وقد طرحت ابنتنا العزيزة سؤالها هذا على نحو بديع وبعبارات بليغة. أسأل الله لها التوفيق. وسأحاول الإجابة عن سؤالها هذا على قدر ما يسمح به وقت المجلس.

كانت ثورتنا نهضة جماهيرية كبرى ضد حكومة اتصفت تقريبـاً بكـل ما قد تتصف به حكومة سيّئة مـن سـلبيات؛ إذ كانـت: فاسـدة، وعميلـة، وفرضت على الشعب بانقلاب عسكري، وكان ينقـصها التـدبير والكفـاءة. وسأقدّم في مـا يلـي شـرحاً لكـل واحـدة مـن الخـصائص الأربعـة التـي ذكرتها آنفاً.

كانت الحكومة السابقة فاسدة مالياً وأخلاقياً، ويكفي من فسادها المالي أن الشاه نفسه وأسرته كانت لهم يد في أغلب الصفقات الاقتصادية الضخمة للبلد، وكان هو وإخوته وأخواته من الذين جمعوا أكثر الثروات، وكان رضا خان قد جمع خلال فترة حكمه البغيض الذي امتد على مدى ستة أو سبعة عشر سنة أموالاً طائلة. ولا بأس أن تعلموا أن بعض مدن البلاد ـ كما تشير الوثائق والمستندات ـ كان ملكاً صرفاً لرضا خان؛ فمدينة فريمان على سبيل المثال كانت برّمتها ملكاً خاصاً لرضا خان! وكانت أفضل الأملاك وأخصب الأراضي في هذا البلد ملكاً له؛ حيث كان له ولع شديد بمثل هذه الأملاك وبالمجوهرات. في حين كان لأولاده مشارب أكثر شمولاً؛ إذ كانوا يرغبون في أية ثروة كانت ويستحوذون على كل ما تطاله أيديهم، وأوضح دليل على ذلك أنهم حينما خرجوا من البلد كانت ثرواتهم في المصارف الأجنبية تقدر بمليارات الدولارات. ولعلكم تعلمون أننا حاولنا من بعد الثورة استرجاع أموال الشاه، ولكن كان من الطبيعي جداً أن لا يُلبى طلبنا. كان مجموع أموال هذه الأسرة يقدر حينذاك بعشرات المليارات من الدولارات. واتجه كل واحد من أعضاء تلك الأسرة نحو دولة معيّنة وصاروا من كبار الأغنياء هناك. ومن الطبيعي أنهم لم يحصلوا على تلك الأموال بكدّهم ولا بعرق جبينهم، وإنما استحوذوا عليها بأساليب غير مشروعة. فكيف كانت إذن طبيعة نظام غارق في مثل هذا الفساد المالي وكيف كان يتعامل مع أبناء الشعب.

أما فسادهم الأخلاقي فقد كان معروفاً من خلال عصابات التهريب التي كانت تمارس نشاطها بإمرة إخوة الشاه وأخواته، وكانت هناك فضائح أخلاقية وجنسية يندى لذكرها الجبين. وقد نشر في ما بعد بعض أفراد

الحاشية والمقربون من تلك الأسرة شيئاً من تلك الفضائح في ما كتبوه من مذكّرات.

كان الفساد الإداري مستشرياً في كل الأرجاء؛ ولم تكن الكفاءة تراعى عند اختيار المدراء والمسؤولين، وكل ما كان يؤخذ بنظر الاعتبار في مثل هذه الشؤون هو علاقاتهم الشخصية وتوجهات الأجهزة الجاسوسية والأمنية الأجنبية.

لاحظوا إذن مدى سوء الحكومة التي كانت تأخذ الرشاوى، وتكتنز الثروات، وتتعامل بالتهريب وتخون الشعب. ولو شاء المرء تدوين كل هذه الأمور بأدلّتها وشواهدها لاستلزم ذلك مجلدات ضخمة.

وكانت القطيعة بينهم وبين أبناء الشعب سبباً لعمالتهم للأجانب واستنادهم إليهم للحفاظ على سلطتهم؛ فمن الحقائق التاريخية المسلّم بها هي أن الإنجليز هم الذين جاؤوا برضا خان إلى السلطة، وهم الذين ثبتوا محمد رضا على رأس الحكم. ومن بعد عهد مصدق خطف الأمريكيون زمام الأمور من الإنجليز ودبّروا تلك المؤامرة وتسلطوا على شؤون البلاد وأصبح هنالك عشرات الآلاف من المستشارين الأمريكيين في أهم المراكز العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية، ويشغلون مواقع حساسة ويحصلون على أموال طائلة؛ وكانوا في الحقيقة هم الذين يسيّرون شؤون البلاد ويوجهونها حسب ما يشاؤون. وكان الأمريكيون والإسرائيليون هم الذين أسسوا الجهاز الأمني في إيران.

وعلى الصعيد السياسي كانت الحكومة خاضعة لتوجيهات الإنجليز، في حين خضعت في الآونة الأخيرة لتوجيهات الأمريكيين. وكانت سياستها على الصعيد الإقليمي والعالمي، بل وحتى في المجالات

الاقتصادية ـ من قبيل أسعار النفط وكيفية بيعه، والكيفية التي يجب أن تكون عليها أوضاع شركات النفط الأجنبية في إيران ـ قائمة على تنفيذ ما يُملى عليها. وكانت طبعاً تأخذ مصالحها الخاصة بنظر الاعتبار. ولم تكن تلك التضحيات من أجل الأجانب أنفسهم، وإنما لغرض الحفاظ على حكومتهم. ولهذا فسحوا المجال للأجانب وبسطوا أيديهم تماماً للتطاول على البلد وعلى الشعب، واعتمدوا عليهم في كل شيء.

هذا فضلاً عن أن تلك الحكومة جاءت بواسطة انقلاب عسكري وفرضت على الشعب فرضاً؛ فقد جاء كل من رضا خان، ومحمد رضا إلى السلطة عبر انقلاب عسكري. ومن الواضح أن الحكومة التي تفرض على الشعب من خلال انقلاب عسكري لا تحترم آراء الشعب ولا معتقداته ولا إرادته، ولم تكن ثمة صلة حميمة بين الحكومة والشعب؛ بل كانت العلاقة عدائية، علاقة أسياد وعبيد؛ لأن النظام كان ملكياً، وهذا هو معنى الملكية؛ أي أنها كانت حكومة مطلقة لا تقيّد بشيء أمام الشعب. وهكذا حكمت الأسرة البهلوية بلدنا على مدى خمسين سنة.

وأخيراً كانت تلك الحكومة لا تملك الكفاءة؛ فكل مواطن في هذا الدولة يعلم تماماً ـ وخاصة انتم الشباب ـ إننا يجب أن نبذل جهوداً لسنوات طويلة حتّى نتمكن من بلوغ المكانة اللائقة بنا في الحقول العلمية والصناعية والتقنية، والتقدم في ميادين البحوث والدراسات. وهذا التخلف الذي نعيشه ناجم عن حكم استمر خمسين سنة لنظام غير كفوء لم يستثمر طاقات هذا الشعب، ولا الإمكانات الهائلة في هذا البلد. وأنتم اليوم تلاحظون الطاقات العلمية المتفجرة لدى شبابنا في المسابقات العلمية العالمية، بينما لم يكن يُعتنى بهذه الطاقات ولم تستثمر في تلك الآونة،

وإنما تُستعمل في إطار رغباتهم ومآربهم الخاصّة، ولهذا هاجر الكثير من أصحاب الطاقات والكفاءات، بينما بقي الكثير منهم، ولكن بدون أن تزدهر طاقاتهم وكفاءاتهم أو أن ينتفع منها في عمل ما.

لقد تركوا وراءهم بلداً مدمّراً تماماً. وفي مرحلة ما بعد الحرب كان أكبر همّنا يتركّز على بناء ما دمّرته الحرب، ولكننا وجدنا الدمار الذي خلّفته الحرب يقل كثيراً عمّا خلّفته الأسرة البهلوية من دمار طوال سنوات حكمها على هذا الشعب.

وفي عام [١٣٤١ـ ١٩٦٢م] عندما ارتفعت صيحة الإمام أخذت حيّزها في القلوب وتفجّر غضب الجماهير؛ إذ كان البعض قد ألف الأوضاع حينذاك، بينما أثارت سخط الكثيرين من أبناء الشعب. واعلموا أن الإمام حينما رفع صوته لم يكن حينها مرجع تقليد معروفاً؛ فعلى الرغم مما كان له من وجاهة وشهرة ومكانة مرموقة في قم بين العلماء والفضلاء وطلبة الحوزة العلمية، إلا انه لم يكن معروفاً لدى عموم أبناء الشعب، ولكن بما أن تلك الصيحة كانت صيحة حق وكانت منطلقة من إرادة الجماهير وقائمة على أسس الدين، فقد دوّت أصداؤها في كل الأرجاء تلقائياً وتداولتها الألسن وتناقلتها الأيدي وانتشرت في كل مكان وغرست حب الإمام في القلوب. فالإمام الخميني الذي لم يكن يتمتع بتلك الشهرة في عام [١٣٤١ـ ١٩٦٢م]، أضحت له مكانه في القلوب في خرداد عام [١٣٤٢ حزيران ١٩٦٣م] إلى درجة دفعت بالشعب إلى النهوض ضد الحكومة في الحادثة المعروفة بحادثة الخامس عشر من خرداد[1]، التي أسفر عنها

---

(١) ١٥خرداد: في سنة ١٣٤٢ش،١٣٨٣هـ[١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام قُدِّسَ سِرُّه وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد الآلاف من المواطنين.

مقتل الآلاف من الأشخاص في سبيل الإمام. وقد جاء هذا كله اثر أحقية تلك الصيحة.

لقد بين الإمام للشعب تعاليم الإسلام ومعنى الحكومة ومعنى الشخصية الإنسانية، وشرح له طبيعة ما يجري عليه وكيف ينبغي أن تكون حياته؛ وهي حقائق لم يكن الآخرون يجرؤون على التصريح بها، إلا أنه صرّح بها جهاراً لا همساً ولا على شكل منشورات ولا بأساليب سرية وخلايا تنظيمية كما تفعل الأحزاب عند طرح الأمور لكوادرها، لقد اتبع الإمام الخميني أسلوب الجرأة والصراحة في بيان الحقائق للناس، ولهذا لبّى أبناء الشعب نداءه.

لقد مرّت خمسة عشر سنة عصيبة منذ أن بدأ الإمام نهضته إلى حين انتصار الثورة؛ وخلال تلك الفترة فهم تلاميذ الإمام وأنصاره وأصدقاؤه وعموم أبناء الشعب عمق ومضمون رسالة الإمام، فتداولوها ونشروها بين مختلف الأوساط والشرائح الاجتماعية. وأدى تداولها وتدارسها والثبات عليها إلى خلق مشاكل جمّة لأولئك الناس؛ فاستشهد الآلاف منهم، وطال التعذيب أضعاف ذلك العدد.

لقد كان عهداً عصيباً حَقاً، حتى أن البعض لم يشعر بالطمأنينة والراحة في بيته حتّى ليلة واحدة، ولم يخرج من بيته يوماً وهو آمن من أنه لن يصيبه في ذلك اليوم مكروه.

وكان الإمام يقود تلك المسيرة بعزم وحكمة وشجاعة طوال تلك المدّة، إلى أن تعاظمت في السنة الأخيرة الأمواج الجماهيرية الهادرة؛ وحيثما نزل أبناء الشعب إلى الساحة بدوافع إلهية ودينية وبعيداً عن المطامع المادية، لا يمكن لأية قوّة أن تقف بوجههم، أو كما قال الإمام

إنهم لم يستطيعوا بكل ما لديهم من معدّات وتجهيزات الوقوف بوجه شعبنا الأعزل. وهكذا وقعت هذه الثورة وانتصرت[1].

الوحدة رمز النصر

□ ما هو رمز انتصار الشعب الإيراني، وكيف يمكن المحافظة على هذا المنهج؟

إن وحدة الكلمة هي رمز انتصار الشعب الإيراني خلال المراحل المختلفة، وهي اليوم أيضاً أهمّ وسيلة لدى شعبنا لمواجهة كلّ أنماط التحريك والتآمر ضدّه، وتتجلّى أهمية الوحدة والتلاحم بين الشعب والمسؤولين أكثر عندما نسترجع في خاطرنا مرحلة السنوات العشر التي مرّت بها الثورة، ونتأمل في حوادثها وظواهرها التي تكسف عن الطبيعة الثابتة للجمهورية الإسلامية تجاه أنواع التآمر المعادي الداخلي والخارجي.

إنّ على الشعب الإيراني ومسؤولي البلاد وإدارييها أن يجتمعوا حول محور المبادئ الأساسية لنظام الجمهورية الإسلامية، ويركّزوا كلّ طاقاتهم وقواهم لتحقيقها والدفاع عنها حتى لا تستطيع أية رغبة أو أي شعار أو دافع فردي أو فئوي، أو قومي أو طائفي أن تمنع أي فرد أو مجموعة عن النشاط الدائب لتحقيق تلك المبادئ، والوصول إلى أهداف نظام الجمهورية الإسلامية.

وعلى الشعب الإيراني الرشيد كلّه ـ وخصوصاً أولئك الذين يرصد الآخرون أقوالهم وأفعالهم وتستأثر باهتمام ورصد الآخرين وحكمهم ـ أن

---

(١) كلمة القائد أمام نخبة من الشباب الإيراني بمناسبة اليوم الثاني من عشرة الفجر، في تاريخ: ١٤١٩/١٠/١٧هـ ق، ١٩٩٩/٢/٣.

يوحدوا صفوفهم، ويزيدوا من رصّها وتلاحمها، ويتواصوا ويتعاونوا ويتحركوا بكلّ عزيمة وقوة لرفع خطوات رصينة على طريق تحقيق الأهداف الإسلامية السامية، ويصيبوا بالتالي كلّ الأعداء المتربصين بهم الفرص باليأس القاتل.

إنّ وسائل الإعلام الخبرية الأجنبية ـ وهي إنّما تعبّر عن الميول والسياسات والنوايا العدائية والأغراض الخبيثة لقادة السياسات العالمية ـ لتركّز على كلّ كلمة وكلّ إشارة تفوح منها رائحة الاختلاف والفرقة، أو يمكن تحميلها هذه الصفة، وبالتالي فهي تعمل على تكبير هذه النقاط الصغيرة وطرح استنتاجاتها من التحليلات الكاذبة عن الأقوال والكتابات في إيران.

فرغم تمتع إيران ـ والحمد لله ـ بوحدة وتلاحم فريدين نجد هذه الوسائل تسعى باستمرار لعرض صوره مشوّهة مليئة بالخلافات والصراعات الداخلية في إيران أمام الشعب الإيراني والعالم، وتكوين أرضية للخلاف والنفاق عبر هذه الوساوس، إلاّ أن كلّ هذا إنّما يعبّر عن عجز العدوّ ـ اليوم ـ عن سلوك مختلف السبل لإضعاف الجمهورية الإسلامية، ممّا يدفعه للتربُّص ورصد الخلافات الداخلية كيما يحقّق هدفه في كسر هذا التلاحم العام.

إنّ على شعبنا الإيراني الرشيد، والمسؤولين والمتصدين لإدارة الأمور في البلاد، وممثلي الشعب في مجلس الشورى الإسلامي، والخطباء والكتّاب أن يردّوا ـ كما كانوا من قبل ـ على هذه الأطماع المعادية الفجّة بالردّ المناسب ويحافظوا ـ بكل وجودهم ـ على هذه الوحدة وهي موهبة إلهية ورحمة إلهية شاملة للشعب الإيراني[١].

---

(١) بيان القائد بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخميني قدس سره في تاريخ: ١٤١٠/١١/٦هـ ق، ١٩٩٠/٥/٣١م.

الثورة الفريدة

☐ كيف انتصرت الثـورة الإسـلامية ضـد نظـام يتمتـع بالـدعم اللامحدود من قبل القوى الكبرى خاصة وأننـا نـرى تفـوقهم والـذي يحول دون وصول أي من الشعوب الثائرة إلى هدفها المنشود؟

إحدى النقاط الّتي قليلاً ما تمّ التعرّض لها فـي هـذه الثـورة هـي أنّ ثورتنا العظيمة كانت ثورةً استثنائيّة في نوعيّة الانتصار الّذي حقّقتـه، يعنـي أنّ ثورةً شعبيّة بهذه الأبعاد الشعبيّة العظيمة انتصرت من خلال تواجد أبناء الشعب في الشوارع وفـي المـدن والقـرى وممارسـة الجهـاد ضـدّ النظـام الحاكم. فمثل هذه الثورة لم يكن لها نظير ولا سابق في الثورات المعاصـرة على أقلّ تقدير.

فجميع الثورات الأخرى الّتي وقعت فـي العـالم حتّـى ذلـك التـاريخ (تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة) ومنها الثـورات اليـساريّة والماركـسيّة فـي أمريكا اللاّتينيّة وأفريقيا وآسيا والمنـاطق الأخـرى مـن العـالم كانـت مـن نوع آخر.

فهذه الثورة لم تنتصر بواسطة مجموعة ثوريّة مسلّحة، طبعاً كان يوجد في إيران بعض الأحزاب الّتي كانت تقوم بالأعمـال المـسلّحة إلاّ أنّ تلـك المجموعات والأحزاب كانت قد شُلّت عـن العمـل تمامـاً حـوالي عـامي (١٣٥٤ـ ١٣٥٥هـش)[1]، وبإمكانكم أن تسألوا أولئك الّذين كان لهم تواجد فعّال في مجال الثورة في تلك الأيّام فقد شاهدنا ذلـك بـأم أعيننـا. وعلـى

---

(١) ١٩٧٥ و١٩٧٦م.

الشباب الّذين لا يملكون معلومات مباشرة عن الأوضاع والظروف في تلك الفترة أن يسألوا الّذين كانوا يعيشون في قلب الأحداث في تلك الأيّام.

ففي الأعوام (١٣٥٤، ١٣٥٥ وحتّى ١٣٥٦هـش) خرجت المجموعات الّتي كانت تقوم بالنشاطات المسلّحة من ساحة المواجهة تماماً؛ سواء أولئك الّذين كانت لهم أفكار ماركسيّة، أو الّذين كانوا يحملون أفكاراً التقاطيّة، وقد تحوّل نشاطهم إلى أن يفجّروا قنبلة في زاوية ما من هذه البلاد أو القيام باغتيال شخص في مكان ما، وكلّ تلك الأعمال والنشاطات بالقياس إلى ما يقع اليوم في دولة كالدول العربيّة (ولا نريد ذكر أسماء). فأنتم تسمعون أنّ الإسلاميين في تلك الدول العربيّة يقومون ببعض الأعمال المسلّحة ولديهم مواجهات مع السلطات الأمنية هناك وما كان يقع في إيران في تلك الفترة لا يساوي عُشر ما يقع هذه الأيّام في تلك البلدان العربيّة، فلاحظوا كم أنّ هؤلاء الإسلاميين قريبون من الانتصار، عند ذلك يكون بإمكاننا أن ندرك كم كان من الممكن أن تنتصر تلك المجموعات المسلّحة في إيران، وأساساً كان تصوّر انتصار حركة مسلّحة في إيران تصوّراً مستحيلاً ولم تكن توجد إمكانية لوجوده.

وإضافة إلى ذلك فإنّ الانقلاب العسكري لم يكن ممكن الوقوع أيضاً، فبعض هذه الثورات أو ما يسمّى بالثورات تبدأ بالانقلاب العسكري، بينما كان العسكريون في إيران يعيشون في إطار محدود تماماً حُدّد لهم من قبل الأمريكان في إيران. فكثير من العسكريين كانوا ناقمين على النظام الشاهنشاهي الظالم ولاسيما الشباب والمراتب الأصغر إلاّ أنّ أحداً لم يكن يجرأ على التفكير في مواجهة النظام.

ولو أردنا أنّ نقيس وضع الجيش في إيران افترضوا أنّه كان يعيش في ظروف مماثلة لما يعيشه الجيش العراقي اليوم[١] فهو أسير تماماً في قبضة النظام الحاكم في العراق، طبعاً كان العسكريون في إيران أشدّ أسراً منهم في العراق اليوم؛ لأنّ الرقابة عليهم لم تكن من قبل سلطة عليا فحسب بل كان للأمريكان تواجد وإشراف مباشر في داخل الجيش، وكان يتواجد آلاف الأمريكيون في أكثر المعسكرات ولاسيما المعسكرات المهمة والحسّاسة وفي بعض القوّات أيضاً. على هذا لم يكن متصوّر أن يقع انقلاب عسكري في إيران، كما أنّ الأحزاب السياسيّة التي كانت توجد في إيران كانت عاجزة عن التحرّك تماماً. فالأحزاب الوطنيّة الّتي تشاهدونها اليوم وهي تستغل الحرية والكرامة الموجودة لدى الجمهوريّة الإسلامية، وهؤلاء (السادة) الّذين يتحدّثون ضدّ الجمهورية الإسلاميّة وتُجرى معهم المقابلات ويوزّعون المنشورات ويتّهمون الجمهوريّة الإسلاميّة بمصادرة الحرّيات، هؤلاء السادة كانوا موجودين في تلك الفترة أيضاً، ولم يصدر منهم في ذلك التاريخ أي تحرك - يمكن أن يسمّى تحرّك - في سبيل تحرير إيران. فقسم منهم كانت تربطه علاقات صداقة مع رجال البلاط وكانوا مشغولين مع بعضهم في اللّذات والشهوات، وبعضهم كان قد انشغل بأعماله المعيشيّة، وبعضهم كانوا مهندسين وأخصّائيين، وقد كانوا يأخذون الأموال من أجهزة البلاط ويحصلون على لقمة العيش عن هذا الطريق.

وقد مرّت تلك الفترة على هؤلاء إلى أن قامت الجمهورية الإسلاميّة - والحمد لله - ووجد جوّ سياسي مفتوح وأصبح جميع أبناء الشعب سياسيين. والآن فقد انطلقت ألسنة هؤلاء. إنّ الشعب الإيراني لا يثق بهذه

---

(١) أبان حكم المقبور صدام حسين.

الأحزاب السياسيّة وبما أنّه لا يثق بها ولا يتّجه نحوها فإنّها تحاول صبّ حقدها ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة، فالشعب هو الّذي لا يثق بهم وبأحزابهم وليس ذلك من تقصير أحد، فهل منع أحد الناس من أن يثقوا بتلك الأحزاب؟

وأفضل تلك الأحزاب في تلك الفترة هي الأحزاب الّتي كان يوجد فيها شخصان أو ثلاثة يمتلكون شيئاً من الشجاعة، فكانوا يصدرون بياناً في قضية ما، وطبعاً هذا البيان لم يكن يوزّع على مستوى واسع بل كان يتداوله مؤيّدوهم فقط. مثلاً كانوا يعترضون على مسألة ما في بيانهم، ثمّ كانت تأتي السلطات وتعتقلهم وتلقيهم في السجون وبعد ذلك تطلق سراحهم، أو أنّها كانت تطلق سراحهم بعد إجراء مقابلة معهم، أو أن تنتهي فترة محكوميتهم فيُطلق سراحهم، فكان أمثال هؤلاء من أفضل تلك الأحزاب. ومن ناحية أخرى لم يكن عمل هذه الأحزاب يثير تحركاً شعبياً في أوساط الشعب الإيراني؛ لأنّ الشعب الإيراني شعب متديّن ويؤمن بالعلماء. وهذه هي النقطة الّتي أدّت فيما بعد إلى الانفجار العظيم للشعب ضدّ النظام الشاهنشاهي الفاسد.

ثمّ دخل الساحة مرجع تقليد يتّفق الجميع على صلاحه، عالم دين ذو شأن عظيم كلّ من عرفه عرفه بالصلاح؛ حتّى أنّ أعداءه كانوا يعترفون بأنّه إنسان صالح، كلّ ما في الأمر أنّهم كانوا ينسبون إليه بعض العيوب، مثلاً يقولون: إنّه لم يعر لنا أهمّية في المسألة الفلانيّة، أو إنّه يؤمن بالنظريّة الفلسفيّة الفلانيّة، إلاّ أنّه إنسان صالح ومتّق على مستوى عال وله مكانة علميّة رفيعة. والأهمّ من كلّ ذلك أنّه دخل ساحة المواجهة مسدداً بالتسديد الإلهي. وعلى طول خمسة عشر عام استطاع أن يحرك معه عدداً من تلاميذه وزملائه على مستوى مراجع الدّين الآخرين.

وحينما شاهد الناس أنّ العلماء هم المحركون للثورة بـدأوا يـدخلون ساحة المواجهة شيئاً فشيئاً في بداية الأمر ثمّ أخذوا يدخلون بأعداد كبيرة، وفي نهاية المطاف دخل عامة أبناء الشعب إلى ساحة المواجهة.

نفي عام (١٣٥٦ هـش)[١] قامت السلطات الشاهنشاهيّة بإبعـادي إلـى مدن مختلفة من البلاد، وحينما عدت من المنفى في أواسط أو أواخر عـام (١٣٥٧هـش)[٢] ذهبت إلى مشهد المقدّسة وما شاهدته في مشهد لـم أكـاد أصدقه، وعلى الرغم من سماعنا للأخبـار حينمـا كنّـا فـي المنفـى، إلاّ أنّ الحقيقة على الأرض كانت حقيقة عظيمة، فقد كانت التظـاهرات متواصـلة في مشهد ليلاً ونهاراً، وأنّ الناس هناك كانوا قد اعتادوا على الخـروج فـي التظاهرات، وفي كلّ مكان كان الأمر كذلك. فطهـران كانـت هـي المحـور ومن ثمّ المدن الكبيرة والصغيرة وحتّى القرى والأريـاف كانـت تقـام فيهـا التظاهرات والمسيرات.

افترضوا أنّ الدعوة كانت تُعلن إلـى القيـام بتظـاهرة مـن قبـل الإمـام ـ الّذي كان في باريس تلك الأيّام ـ أو من قبل العلماء الكبار في طهران أو المدن الأخرى فكان الناس يخرجون على أثر ذلك إلـى الـشوارع كالـسيل العارم، ومن ثمّ أخذت دوائـر الدولـة تلتحـق بالـشعب تـدريجيّاً والتحـق الموظّفون. ثمّ أخذ منتسبوا الجـيش بـاللّحوق فـي ركـب الثـورة، وحتّـى المسؤولين في النظام السابق أخذوا يلتحقون بصفوف الثورة أيـضاً. وهـذا هو معنى انهيار نظام من الأنظمة، فقد انهار النظام الشاهنشاهي.

ففي اليوم الّذي هرب فيه الشاه من إيران كان النظـام منهـاراً ومنتهيـاً،

---

(١) ١٩٧٧م.

(٢) ١٩٧٨م.

وقد رأى (الشاه) بأنّه لا فائدة من البقاء في إيران، فصنعت القوى الاستعماريّة من إنسان مسكين وسيء الصيت (شاهبور بختيار)[١] صنماً، وكان مخططاً أن يبقوه في السلطة عدّة أيام، وقد بقي في تلك السلطة أربعين يوماً فقط. وحينما عاد الإمام إلى البلاد إنتهى كلّ شيء بإشارة صغيرة منه. فبسبب تواجد الشعب في ساحة المواجهة كان النظام قد انهار وتمزّق من الداخل.

فلماذا دخل الناس إلى ساحة المواجهة بهذه الصورة؟ لقد كان دخول الشعب من أجل الدين، من أجل أنّ الشعار كان شعاراً إسلاميّاً، من أجل تواجد العلماء في الساحة ومن ثقة الشعب بهم. ففي أوساط الشعب كان يوجد عدد كبير ممّن يقدّم العون والمشورة للعلماء؛ حتّى أنّهم في بعض المدن كانوا يرشدون العلماء. إلاّ أنّ عامّة الناس شاركوا في الثورة؛ لأنّهم كانوا يرون العلماء في المقدّمة، وفي القمّة كان يقف الإمام الّذي كان مرجعاً للتقليد وعلى مستوى ديني رفيع، كما كانوا يشاهدون في كلّ مدينة العلماء المحترمين وهم يتقدّمون صفوف الثورة، وهكذا وقعت هذه الثورة العملاقة.

حسناً، كانت هذه الثورة ثورة استثنائيّة، ثورة قامت نتيجة لتواجد أبناء الشعب وتضحياتهم، وهذا التواجد كان ناشئاً من العقائد الدينيّة لأبناء الشعب، حتّى إنّ نفس السياسيين الّذين كانت لهم معنا اجتماعات في تلك الأيّام، وحتّى تلك المجموعات المسلّحة واليساريين والشيوعيين الّذين كانوا جميعاً تربطهم معنا علاقات وصداقات؛ سواء كان ذلك في داخل السجون أو خارج السجون كلّ هؤلاء كانوا يعترفون بأنّه لم يكن من

---

(١) هو آخر رئيس وزراء لشاه إيران المقبور.

الممكن أن يقع في إيران ما وقع إلاّ بقيادة شخص كالإمام، وطرح هذه الشعارات الدينيّة. هذه حقيقة وقعت أمام أعين الجميع. وكلّ من له مستوى علمي لا يمكنه أن يقول غير هذا.

وفي الأيّام الأولى لانتصار الثورة لم يقل أحد غير هذا باستثناء بعض الزمر الوقحة الّذين أخرجتهم الثورة من السجون الّتي كانوا قابعين فيها لسنوات طويلة (٤ أو ٥ سنوات). وبمجرّد خروجهم من السجن قاموا برفع أعلامهم أمام الجماهير فقامت الجماهير بتمزيق تلك الأعلام ورميها بعيداً، ومن ذلك الحين أضمروا العداوة لأبناء الشعب وابتعدوا عنهم وأخذوا يفجّرون القنابل في بيوت الناس ومحلاّتهم التجاريّة وفي الساحات العامّة في طهران والمدن الأخرى. فباستثناء هؤلاء المعاندين الّذين لم يكونوا على استعداد لقبول الحقّ فقد كان أيّ إنسان ينظر بعين الإنصاف إلى هذه الثورة كان يرى تلك الحقائق واضحة أمامه.

طبعاً إلى جانب هذا أقول: إنّ هناك عوامل وأسباب كثيرة ساعدت على انتصار الثورة، فكلّ من تكلّم بكلمة فقد ساعدت كلمته بمقدار كلمة في انتصار الثورة، ولكن مساعدة الثورة بكلمة واحدة ومائة كلمة وبكتاب شيء، وتحريك أمواج الثورة شيء آخر. وأساساً لا يمكن القياس بين الاثنين فلا يكونوا هؤلاء كذلك الرجل الذي ألقى رِجل جرادة في قدر طعام مائة نفر ثم قال أنا صاحب الطعام فيعتبروا أنفسهم من المحركين للثورة ومن قادتها. طبعاً جميع أبناء الشعب كانوا هم أصحاب الثورة، أولئك الذين وضعوا أرواحهم في مواجهة العدو، فهل يوجد شيء أكبر من هذا؟ افترضوا أنني ألقيت ألف محاضرة وخطاب، فهل لهذه المحاضرات والخطابات قيمة بقدر نفس إنسان؟ هذا الإنسان الذي تقدّم وقدّم نفسه

وسبقنا، فلو أردنا أن نتحدث بإنصاف، ويجب أن نتحدث هكذا وبهذه الصورة[١].

ثمرات للثورة

□ ما هي أهم الإنجازات الإستراتيجية التي قامت بها الثورة أو كانت نتيجة لانتصار الثورة الإسلامية في إيران؟

إنّ أول عمل لهذه الثورة هو إلغاء الامتيازات الظالمة التي حصل عليها الأجانب طوال هذه السنوات في هذه البلاد، وهذا شيء طبيعي، فكل محبّ لوطنه كان ناقماً من أن يرى بريطانياً (مثلاً) جاءت وسيطرت على النفط الإيراني، وكل محبّ لوطنه كان يصيبه الحزن حينما يعلم بذلك. فكثير من رجال الدولة في الفترات السابقة وأعضاء مجلس الشورى الوطني في دوراته الثلاث الأولى ـ قبل أن يسيطر رضا شاه ـ الذين كانوا ممثلين حقيقيين ومنتخبين من قبل الشعب، كانوا معارضين لمنح الإمتيازات للدول الأجنبية، وحتى أن كثيراً من الشخصيات الوطنية الحقيقية لم يكونوا على استعداد لمنح الإمتيازات للأجنبي، إلاّ أنّهم لم يكونوا يجرأون على إبراز ذلك؛ لأن الشعب لم يكن يساندهم بسبب عدم وجود مكانة شعبية لهم بين أوساط الشعب. فحينما كان رئيس الوزراء يتفوّه بكلمة يُشمّ منها رائحة معارضة المصالح الأجنبية، كان يعزل من منصبه مباشرة، وعندما كان رجل دولة يتكلم بكلام تُشمّ منه رائحة الاعتراض على الإمتيازات الأجنبية كانوا يبادرون إلى عزله فوراً.

فلو كان هذا الشخص كالمرحوم السيد المدرّس قدس سره مقاوماً وصامداً

---

(١) كلمة القائد، في تاريخ: ٣/٩/ ١٤١٥هـق، ٣/٢/١٩٩٥م.

بالرغم من الاعتداء عليه ونفيه ومن ثم قتله وهو صائم على يد شقي مثل رضا شاه، إلاّ أنّ هؤلاء لم تكن لهم شجاعة مدرّس وإيمانه، فحينما كانوا يتفوّهون بكلمة وينظر إليهم الأجنبي بعين الغضب كانوا يبادرون إلى السكوت فوراً، ولهذا فقد ازدادت الامتيازات الأجنبية في إيران يوماً بعد يوم.

نبذة عن السيطرة على النفط

أيّها الإخوة والأخوات في جميع أرجاء البلاد! لقد اكتُشف في هذه البلاد مصدر للثروة باسم النفط، وكان هذا المصدر كالكنز الذي عثر عليه الشعب، وبمجرد اكتشاف هذا الكنز في هذه البلاد توافد الأجانب على إيران ولاسيما الإنجليز ـ وتبعية هذا الأمر تقع على عاتق الإنجليز ـ وسيطروا على هذا الكنز واستخرجوه ونهبوه لسنوات طويلة من دون أن يفكروا أنّه مغتصب وأنّه ملك للشعب الإيراني. فهل هذا الأمر لا يحزّ في النفس؟

إن مسألة النفط هي إحدى المسائل المؤلمة جداً بالنسبة للشعب الإيراني، وهي مسألة لم توضّح لحد الآن بصورة كاملة، فقد جاء المستعمرون وأبرموا اتفاقية مع رجال الدولة الخائنين في العهد القاجاري لمدة ستين عاماً، وهي إتفاقية دارسي الأولى، أي أنّه أصبح لهم الحق ـ ولمدة ستين عاماً ـ بأن يأخذوا النفط الثمين الذي كان يحتاج إلى المال، والمال كان يحصل من خلال عمل المصانع وعجلة تلك المصانع كانت تتحرك بالنفط. ولهذا فقد كان النفط الإيراني أثمن شيء بالنسبة لبريطانيا، فجاءت إلى إيران وأخذت النفط بقيمة زهيدة جداً بحيث لو أنّها كانت

تأخذ برميل من الماء لكلّفها أكثر من قيمة برميل من ذلك النفط، وكما قلنا فقد أبرموا إتفاقية لمدة ستين عام في هذا المجال.

وبعد ذلك جاءوا برضا شاه إلى الحكم لأنّهم ـ الإنجليز ـ كانوا يبحثون عن شخص يتمكن من القضاء على الخارجين والمتمردين على الحكومة المركزية والذين كانوا قد تمرّدوا في مختلف أنحاء إيران في زمن الحكومة القاجارية، وكان كل واحد منهم يتخذ لنفسه مسلكاً معيناً بحيث أصبح من الممكن أن يشكّلوا ـ في السنوات الأخيرة من عهد تلك الحكومة ـ خطراً على المصالح البريطانية في إيران. فلذا كانت بريطانيا تريد شخصاً يضع حداً لتصرفات هؤلاء، ويُجلس كل واحد منهم في مكانه، وكانت تريد أن يكون ذلك الشخص استبدادياً لا يعرف سوى منطق القوة ويكون في الوقت ذاته عميلاً وتابعاً لهم، فوقع اختيارهم على رضا خان وأعدّوه الإعداد الذي يريدون وأوصلوه إلى المكانة التي كان يجب أن يصل إليها ومن ثم جعلوه حاكماً مطلقاً على إيران.

فأصبح قائداً للجيش في أول الأمر ثم رئيساً للوزراء وأخيراً نصبّوه ملكاً على إيران. وبعد مرور عدة سنوات فكّر رضا شاه أن يأخذ من بريطانيا مبالغ أكبر من المال ـ إذا أمكنه ذلك ـ ثمناً للنفط الذي كانت تأخذه من إيران، طبعاً عمالته كانت محفوظة في محلها، ولكن قد يفكر العميل في بعض الأحيان أن يأخذ من أسياده أكثر مما منحوه، وبما أن طبيعة رضا شاه كانت طبيعة استبدادية، فقد تعامل مع هذه القضية بنفس المنطق، فطرح المسألة أولاً في مجلس الوزراء ثم قام بإلغاء ملف اتفاقية دارسي في المدفأة وأحرقه.

فكم كان متبقياً من مدة تلك الاتفاقية؟ لقد كان متبقياً منها ثلاثين عاماً،

فقال رضا شاه إن هذه الاتفاقية غير عادلة ويجب على بريطانيا أن تمنحنا أكثر من هذا.

ومن كان ممثلاً للحكومة الإيرانية في تلك الاتفاقية؟ كان الطرف هي إحدى الشركات البريطانية، وبمجرد أن قام رضا شاه بهذه الخطوة، تدخلت الحكومة البريطانية وأثارت ضجة ضده ومرّغت أنفه بالتراب بحيث جعلته يقوم بتمديد العمل بتلك الاتفاقية ـ التي بقي على نهاية العمل بها ثلاثين عاماً ـ ستين عاماً أخرى. هذا ما قامت به بريطانيا في مسألة النفط، واستمر تصرفها هذا حتى زمن النهضة الوطنية ومجيء الدكتور مصدق إلى الحكم حيث نُقضت هذه الاتفاقية. وبعد ذلك جاءت حكومة الانقلاب العسكري [الذي أطاح بالدكتور مصدق]، فعاد الإنجليز ولكن بالاشتراك مع أمريكا هذه المرة ودخل الأمريكان هذه اللعبة أيضاً منذ سنة (١٣٣٢هـش)[1]. وهنا أريد أن أقول: إنّ الشعب الإيراني لو لم يمح عن قلبه الحقد والبغض ضد الحكومة البريطانية، فإنّ الحق معه كما يرى ذلك كل إنسان عاقل.

فهذه الحكومة الظالمة والمعتدية وهؤلاء الذين يقبعون اليوم في زاوية من العالم ويتحدثون بأحاديثهم المغرضة والفارغة ضد الحكومة والشعب الإيراني، وقد نسوا ما ارتكبوه بحق هذا الشعب، طبعاً إنّ الله سبحانه وتعالى قد أذلّهم وسلب منهم تلك القوة والقدرة بحيث لم يبق لبريطانيا في الوقت الحاضر احترام أو قوة تذكر في العالم.

وبمجرد ما شعر الأمريكان بأن الساحة مفتوحة أمامهم وأنّ الإنجليز لا يستطيعون السيطرة عليها وحدهم، بادروا إلى دخول تلك الساحة أيضاً، ومنذ

---

(١) ١٩٥٣م.

عام (١٣٣٢هـ.ش) وحتى انتصار الثورة الإسلامية سيطرت أمريكا وبريطانيا على آبار النفط الإيراني وقاموا بنهب هذه الثروة بكل ما وسعته قدرتهم وإمكانياتهم، فهل تريدون من الشعب الإيراني أن يصفّي قلبه مع هؤلاء؟

إذن كان النظام البهلوي عميلاً لهذه الدول ومحمد رضا بهلوي كان يتصرف وكأنه شرطياً لأمريكا في إيران، فكانوا يأمروه بتعيين رئيس الوزراء الفلاني وعزل رئيس الوزراء الفلاني. وهو ينفّذ كل ما يطلبون منه، ولو كان يريد في بعض الأحيان أن يعزل رئيس الوزراء إلاّ أنّ الأمريكان لم يكونوا موافقين على ذلك، كان يذهب إلى أمريكا ويلتقي بهذا وذاك ويتباحث مع هذا وذاك حتى يسمحوا له بعزل رئيس الوزراء الفلاني. هذه هي الحالة التي كانت سائدة في البلاد، والسفير الأمريكي والبريطاني في طهران هما اللذان كانا يحددان الخطوط الأساسية لسياسة البلاد.

فهل تدركون الآن لماذا يغضب الأمريكان؟ وهل تدركون لماذا يقوم المسؤولون الأمريكان بجولات في العالم ـ ولاسيما وزير خارجيتهم القبيح والكريه ـ ويصرّحون بأننا نريد الضغط على الحكومة الإيرانية حتى تغير من سياساتها، فما هي السياسات التي يريد هؤلاء أن تتغير؟ ففي يوم من الأيام كان حاكم هذه البلاد ـ ذلك الشخص الذي كان موجوداً في إيران ـ باسم شاه إيران، ذلك المسكين المسود الوجه الذي كان يمتثل الأوامر التي كانت تصدر إليه من سفير أمريكا وبريطانيا، وينفذ كل ما يقولون له في المسائل الأساسية للبلاد. بينما هم يواجهون اليوم نظاماً لا يعير أهمية لأهداف أمريكا في أي عامل من عوامل سياساته الأساسية، يواجهون نظاماً كانت أول خطوة قام بها هي إلغاء الامتيازات التي حصلوا عليها في إيران، وهذه حقيقة لا شك فيها في الثورة الإسلامية.

القضاء على الاستغلال الاقتصادي

أمّا المسألة الثانية فهي: بما أن الثورة أوجدت نظاماً شعبياً، وبما أن هذه الثورة كانت تعتمد على الشعب، وبما أن قائد هذه الثورة كان محبوباً عند الشعب والشعب يقف خلفه، فلذا لم تنتظر (هذه الثورة) مرور الوقت لإلغاء الامتيازات الأجنبية، بل قامت بإلغاء تلك الامتيازات بعد انتصارها مباشرة. طبعاً إننا لم نقطع علاقاتنا مع أمريكا في بداية الثورة بل بقت هذه العلاقة وإلى عدة أشهر بعد انتصار الثورة قائمة مع أمريكا، وإنّما ألغيت الامتيازات الأمريكية فقط.

إلاّ أنّهم كانوا يريدون نهب النفط الإيراني، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون الاستفادة من عوائد الاستثمارات الظالمة التي كانت موجودة في إيران والتي كانت مستثمرة من قبل نفس الحكومة الإيرانية، فقلنا لهم لا يمكن ذلك، كانوا يريدون أن يكون لهم وجود في الجيش ولاسيما في القوة الجوية، فقلنا لهم لا يمكن ذلك. كانوا يريدون أن تكون قاعدتهم التجسسية ـ السفارة الأمريكية السابقة ـ فعّالة ونشطة، فقلنا لهم لا يمكن ذلك.

فبقيت سفارتهم بعد انتصار الثورة مفتوحة لعدة أشهر وكان لهم سفير ومسؤولون وموظفون في تلك السفارة. وبعد ذلك ذهب طلبة الجامعة وسيطروا عليها، فوجدوا أن تلك السفارة كانت مركزاً للارتباط مع العناصر المعادية للثورة ولنظام الجمهورية الإسلامية، كانت وسيلة للأخذ والعطاء السياسي، وسيلة لدعم هذا الشخص وربطه بذاك، وهي نفس المهمة التي كانت تقوم بها السفارة البريطانية قبل الثامن والعشرين من مرداد [١٣٣٢ ش وهو يوم وقوع الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكومة الدكتور

مصدق] فقد كانت تتصل بهذا وذاك وتربط هذا بذاك وتعطي الأموال لفلان وتسلّم السلاح لآخر وترسم الخطط لفلان. كل ذلك من أجل أن يقع شيء ضد الجمهورية الإسلامية. ولذا فقد أطلق الشعب الإيراني اسم وكر التجسس على تلك السفارة[1]، ولم يكن الواقع غير ذلك، فذلك المكان كان حقاً وكراً للجاسوسية.

إذن المسألة الثانية هي قيام الجمهورية الإسلامية بإلغاء المصالح الأمريكية والبريطانية في إيران، وأن أغلب الذين ألغيت مصالحهم غير الشرعية في إيران كانوا من هاتين الدولتين. طبعاً إننا احتفظنا بعلاقاتنا مع دول العالم، وإلى الآن لنا علاقات سياسية مع بريطانيا، إلاّ أنّ هذه العلاقة برأيي من نوع العلاقات المتزعزعة، والسبب في ذلك هو أن البريطانيين لا يستطيعون الامتناع عن إبراز عدائهم للثورة الإسلامية، وبين الحين والآخر يقومون بلدغنا، وتصرفات الحكومة البريطانية هي هكذا دوماً. وبرأيي فإنّ الأفضل للحكومة البريطانية أن تكون حذرة أكثر في تعاملها مع إيران؛ لأنّ ماضيها في إيران ماض أسود وسيء للغاية. وبما أن الشعب والحكومة الإيرانية احتفظت بعلاقة سياسية مع تلك الدولة، فعلى البريطانيين أن يتصرفوا بحذر كبير. فلا يتحدثوا بشيء يشعر من خلاله الشعب الإيراني بأنّهم ما زالوا يحتفظون بنفس أهدافهم الخبيثة التي عملوا وفقها عشرات السنين، وإن كانت بريطانيا ليست بريطانيا تلك الأيام، لأنّ بريطانيا تلك الأيام قد انتهت.

---

(١) السفارة الأمريكية.

الإحساس بالعزة

المسألة الأخرى التي أود التعرض لها في ما يرتبط بالثورة أيضاً هي أنّ من الميزات المهمة لهذه الثورة هي منحها العزة للإسلام والمسلمين على المستوى العالمي، وهذا أمر واقع ولا يرقى إليه الشك.

فالمسلمون في أي مكان من العالم سواء كانوا مجتمعات إسلامية أو دول إسلامية أو شخصيات إسلامية كان ينتابهم الشعور بالانفعال من الظروف التي كانت تمر بهم، ولم يكونوا يعيرون أهمية لوجودهم ورسالتهم، وكانت هناك مجموعة من المفكّرين المسلمين المخلصين تدافع عن الإسلام؛ ولكن لم يكن دفاعهم قائماً على أساس الشعور بالعزة والاقتدار، بل كان قائماً على أساس الحب والتحرق على الإسلام فقط، لأن الإسلام كان يعيش الغربة. وفي كل هذا العدد من البلدان الإسلامية في أفريقيا وآسيا وفي الشرق الأوسط كم من الأنظمة جاءت إلى الحكم وكم من الأنظمة انهارت، وفي جميع هذه البلدان كان الإسلاميون يعيشون العزلة والانزواء. افترضوا بلداً كالعراق (مثلاً) كان يحكم فيه نظام ملكي ثم سقط ذلك النظام وجاءت جماعة أخرى إلى الحكم، ثم ذهب هؤلاء وجاء آخرون إلى الحكم و... إلى أن وصل الأمر إلى البعثيين، ففي جميع هذه الأحداث والتحولات لم يكن للإسلاميين أي دور. وبالرغم من وجود هذا العدد من المسلمين ـ لأنّ الغالبية العظمى من الشعب العراقي هم من المسلمين ـ ، إلاّ أنّه لم يكن لهم أي دور في جميع هذه التحولات.

أو في مصر ـ وإن كان يوجد فيها إخوان المسلمين ـ حدث هناك تغيير حيث سقط النظام الملكي وقام النظام الجمهوري الثوري وكان عبد

الناصر موجوداً أيضاً، وبعد ذلك توفي عبد الناصر وجاء شخص آخر، ثم ذهب ذاك الشخص وجاء شخص ثالث. ففي هذه الفترة ـ قبل انتصار الثورة الإسلامية ـ كانت جميع هذه الأحداث تقع بمنأى عن الخط الإسلامي والعناصر الإسلامية، ولم تكن للعناصر الإسلامية أية مكانة فيها.

فنفس الثورة المصرية كان للعناصر الإسلامية دور فعّال فيها، ولكن بمجرد قيام الحكومة الجديدة أبعدت تلك العناصر عن الساحة وسجنت بعضهم وأعدمت البعض الآخر وأخرجت الآخرين عن الساحة، فلم يكن للإسلام وجود. ولكن حينما انتصرت الثورة الإسلامية: أولاً شعر كل مسلم واع أينما كان في العالم بأنّه أصبح يتمتع بالعزة والاقتدار. فكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة كانوا يقولون لنا في السنوات الأولى لانتصار الثورة: إننا وبمجرد سماعنا لصوت الإمام من الإذاعات وهو يعلن قائلاً: «إنني سأقيم حكومة أو جمهورية على أساس الإسلام» شعرنا وفي أي مكان كنا بأننا قد انتصرنا، وكل مسلم وأينما كان شعر بأنّه قد انتصر وحصل على العزة والكرامة.

وصحيح بأنّ قادة المسلمين والشخصيات الإسلامية من المفكرين الإسلاميين والشعراء والفنانين والسياسيين وعلماء الدين في السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من انتصار الثورة الإسلامية حينما كانوا يأتون إلى إيران ـ وما زالت الحالة كذلك كل ما في الأمر حدثت أنّه في الوقت الحاضر أمور جديدة نتيجة لمرور الوقت، وسأتعرّض لذلك فيما بعد ـ وبمجرد ما كانت تقع أعينهم على الإمام أو على تلك الحسينية ـ حسينية جماران ـ أو تقع أعينهم علينا أو على المسؤولين في البلاد أو على مراسم صلاة الجمعة كانوا يشرعون بالبكاء، وكانوا يقولون ماذا فعلتم بالعالم

الإسلامي. فكانوا يشعرون بالعزة من انتصار الثورة، ونفس هذا الشعور بالعزة والكرامة هو الذي أدى فيما بعد إلى أحداث تبعث على الحماس في آسيا وأفريقيا، تلك الأحداث التي أصبحت الشغل الشاغل للأمريكيين والمستكبرين في العالم في الوقت الحاضر.

وهم حينما يقولون إنّ الجمهورية الإسلامية تهدد مصالحنا، وإنّ إيران تشكّل خطراً علينا، كل ذلك بسبب القلق الذي ينتابهم من هذه الثورة.

فانظروا إلى الجزائر هناك وإلى مصر، وانظروا إلى فلسطين المحتلة حيث كانوا يتصورون أن كل شيء قد انتهى هناك، بينما تشاهدون الآن الحماس الذي عليه المسلمون هناك والكفاح العظيم الذي يخوضونه ضد العدو. وانظروا إلى قلب أوروبا وما يجري في البوسنة والهرسك وكيف أن جمعاً من المسلمين وبدوافع إسلامية ـ بالرغم من أنّهم لا يعرفون الشيء الكثير عن الإسلام إلاّ أن الدوافع إسلامية والشعور إسلامي، وهو نفس الشعور الذي منحتهم إياه الثورة الإسلامية ـ كيف أنّهم وقفوا ضد أعدائهم. حتى إنني حينما دخلت إلى شوارع سراييفو وسمع الأهالي بمجي رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران إلى هناك ـ لأننا كنا ضيوفهم وقد قامت الإذاعة والتلفزيون والصحف في سراييفو بنشر صور وتفصيلات زيارتنا لبلغراد وبعد ذلك طلبت زيارة البوسنة والهرسك ـ فملأوا الشوارع في سراييفو، فكان الرجال والنساء يبكون ويصفقون؛ بسبب الشوق الإسلامي والروح الإسلامية التي كانوا يمتلكونها. فهذه العزة الإسلامية والاعتزاز بالإسلام والتفاخر والمباهات بالإسلام قد أحييت لدى المسلمين من جديد وأصبح الإسلام عزيزاً، وشعر المسلم بأنّ الإسلام سبب للعزّة. وهذه كانت من بركات الثورة الإسلامية وتمثّل أحد أبعاد هذه الثورة

المباركة وكما يقال فإنّ هذه النقطة تمثّل العمق الإستراتيجي لثورتنا والذي يريد المستكبرون أن يسلبوه منا.

فلو كانت لدى الإنسان خيمة ـ مثلاً ـ ولديها عشرات الحبال المرتبطة بأوتاد قوية وثابتة في عشرات الأماكن، فكيف تكون هذه الخيمة من القوة والاستحكام بحيث لا يستطيع أي إعصار أن يحركها. وعندما تلاحظون بأن الشعوب الإسلامية في أوروبا وآسيا وأفريقيا تتكلّم لصالح الثورة وتدعم فتوى الإمام[1] بهذه الصورة وتستقبل آخر جمعة من شهر رمضان [يوم القدس] والأمور الأخرى بهذا الشكل الرائع وتطلق الشعارات الإسلامية، كل ذلك يُمثّل عمقاً إستراتيجياً للجمهورية الإسلامية، هذا العمق الذي لا يتحمّل الأعداء مشاهدته[2].

أهمية الشعارات

□ ما هي أهمية الشعار بالنسبة لحركة الشعوب ونهضتها حيث إن هناك من يدعوا إلى ترك الشعارات جانباً ويواجه الآخرين بعبارة (لقد ولى زمن الشعارات) محاولاً إيجاد نوع من التضاد بين الشعار والعمل؟

للشعارات التي ترفع في أي بلد وفي أي نظام، أهمية فائقة، والتعامل مع الشعارات المختلفة في أي بلد يحظى بحساسية ورونق خاص. وإذا كان ذلك الشعب أو المسؤولون لا يتقنون كيفية التعامل مع الشعارات، فإنهم سيتعرضون لأضرار جسيمة.

وبطبيعة الحال يتناهى إلى الأسماع أحياناً ما يردده البعض: أنّ اليوم

---

(١) فتوى إعدام المرتد سلمان رشدي.

(٢) كلمة القائد، في تاريخ: ١٤١٥/٩/٣هـ.ق، ١٩٩٥/٢/٣م.

ليس يوم شعارات وإنّما يوم عمل. وهذا الكلام غير صحيح، وإن كان بعض من يتلفظ به تحدوه نيّة مخلصة، ومراده أنّ البلد لا يمكن إدارته بالشعارات وحدها، وهو كلام صحيح؛ إذ إطلاق الشعارات لا يُصلح شأن البلد، بل ولا يصلح حتّى شأن قرية ولا يديرها ولا يبنيها، فلابدّ إلى جانب الشعار من العمل، إلاّ أنّ البعض يفسّر هذا الكلام ـ عن سذاجة ـ بشكل آخر، أو ربما فسّره البعض الآخر عن غرض؛ وكأنّهم يريدون الإيحاء إلى الشعب بوجوب التخلّي عن الشعارات. وهذا خطأ؛ فالشعار كالراية، مرشد ودليل، والعمل بلا شعار كالشعار بلا عمل.

ولأجل أن يعرف شعب مَساره، وما ينبغي له فعله، فلابدّ له من الحفاظ على شعاراته بصراحة ووضوح. وإذا فقدت الشعارات، يصبح الحال كحال جماعة من الناس تسير في الصحراء من غير دلالة. الخاصية المميّزة للشعار أنّه لا يدع شعباً أو بلداً يسير في الطريق المنحرف. إذن فليكن هذا شعار أيضاً: الشعار والعمل؛ الشعار إلى جانب العمل، والعمل في ظل الشعار.

كان الشعار الأساسي للشعب الإيراني هو: (الاستقلال) و(الحرية)، الذي انتهى بشعار (الجمهورية الإسلامية). ومع تقادم الزمن وتقدّم الثورة أضحى هذا الشعار أكثر وضوحاً وجلاءً، أي تولدت من تلك الشعارات، شعارات جديدة ترسم معالم الطريق ومن جملة تلك الشعارات هو شعار: مقارعة الاستكبار.

لا شكّ أنّ لكلمة الاستكبار معنى واسعاً. وفي القرآن الكريم جاءت مشتقات هذه الكلمة ـ الاستكبار ـ، كما واستعمل القرآن نفس كلمة الاستكبار في عدة مواضع، ويبدو أنّ الاستكبار هو غير التكبّر، وربّما يمكن

القول: أن التكبر أكثر ما يُشير إلى صفة قلبية ونفسية، أي أن يعتبر الإنسانُ نفسه أفضل من الآخرين، أمّا كلمة الاستكبار فهي أكثر ما تعني بالجانب العملي للتكبّر، أي أنّ من يتكبّر ويرى نفسه أفضل من الآخرين، ينظّم سلوكه مع الآخرين بشكل يجعل هذا التكبر واضحاً وجلياً في العمل؛ فيحتقر الآخرين، ويهينهم، ويتدخّل في عملهم، ويبرز نفسه أمام الآخرين وكأنّه هو الذي يتّخذ القرارات.

وهذا هو معنى الاستكبار الذي جاء في الآية الشريفة التي تتحدث عن المستكبرين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا، اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾[1] أي أنّهم استكبروا أمام النبي ﷺ وكلام الحق. لم يقولوا نحن أفضل، بل أظهروا هذه الأرجحية والأحقية ـ التي اعتقدوها أو اعتبروها لأنفسهم ـ في إطار العمل، وفي هذا الصراع الطويل وغير المتناهي لجبهة الكفر والعناد والطغيان ضد رسالة الحق والمعنوية والنور والهداية. هذا هو معنى الاستكبار.

قد يتخذ الاستكبار في كل زمن ولدى كل شعب معنى خاصاً؛ فمعناهُ عندنا ـ أبناء الشعب الإيراني ـ في أحداث الثورة وما قبلها وبعدها وحتّى هذه الساعة، هو القوى السلطوية في العالم، التي كان لها دور جائر ومتجبّر في قضايا هذا البلد وفي مصير وشؤون هذا الشعب. كان هذا هو معنى الاستكبار بالنسبة لنا.

لو أردنا العثور على المستكبر من بين دول العالم، لما واجهنا أية صعوبة؛ إذ أنّ أمريكا ـ التي أطلق عليها الإمام ﷺ اسم الشيطان الأكبر ـ أبدت تكبّرها أمام النداء الحق للشعب الإيراني، فالاستكبار الذي تبلور في

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٢ و٤٣.

زماننا هو الاستكبار الأمريكي. وقبل الثورة كان الحال على هذه الشاكلة أيضاً، وبقى على نفس المنوال في أيام الثورة وحتّى يومنا هذا.

إذن على الشعب الإيراني أن يحافظ على شعار مقارعة الاستكبار كراية ومشعل. ولكن لماذا؟ لأنّ هذه الراية إذا لم تبق منشورة، وإذا اضمحلّ هذا الشعار وفقد، تاه الشعب في الطريق. والبرهان على ذلك واضح؛ إذ أنّ عدوّنا وإن كان عداؤه بيّن وغير خاف على أهل البصيرة، إلاّ أنّ سافر العداء، له أساليب في الخداع والتمويه. وأغلب الشعوب التي خدعت والحكومات التي أخطأت، إنما كان سبب خطئهم هو عدم معرفتهم بأساليب العدو بشكل صحيح. إن لم نعرف أساليب العدو، وتنصلنا عن مجابهة العدو الذي يبغي القضاء علينا، فمن الطبيعي أننا سنسلك في المسار الذي يحبّذه العدو، أي طريق الهلاك والدمار والفساد.

إذن فمقارعة الاستكبار شعار دائم. غاية ما في الأمر هو أنّ الشعب الواعي يختار على الدوام الطريقة الأصوب في التعامل مع الشعارات، فقد ترى إنسان تارة يلهج بالشعار فقط، وهذا لا عبرة فيه. إلاّ أنّك تراه تارة أخرى يسبر غور الشعار ويتعمق فيه ويعمل على أساسه، وهذا هو الصحيح. وقد أدى شعار مقارعة الاستكبار ـ حيث ذكرتُ أنّ مُجسّد معنى الاستكبار اليوم هي دولة أمريكا المعتدية ـ بالأمريكيين وزعماء أمريكا إلى انتهاج عدّة طرق من أول الثورة وحتّى الآن في سبيل تقويض هذا الشعار وإزالته من أجواء إيران، لماذا؟ لأنّه طالما بقي هذا الشعار مرفوعاً، ومادام ذهن الشعب مشبّعاً بـ(الموت لأمريكا)، لن يتسنى لأمريكا التسلط مرّة أخرى على هذا البلد وخيراته[1].

---

(١) كلمة القائد بمناسبة اليوم الوطني لمقارعة الإستكبار العالمي، في تاريخ: ١٤١٧/٦/١٧ هـ ق، ١٩٩٦/١٠/٢٩م.

فوارق هامة

□ لقد شهدت بلادنا إيران خلال العقود الأخيرة حركتين سياسيتين دعتا إلى استقلال البلاد وإنهاء الديكتاتورية وكادتا أن تنجحا الحركة الدستورية وحركة تأميم النفط ومع أن من قادة هاتين الحركتين بعض رجال الدين إلا أنهما فشلتا في بلوغ الهدف الذي كانتا تسعيان إليه وبعيداً عن تحميل هذا الطرف أو ذاك مسؤولية ما حدث، ما هو بنظركم السبب الحقيقي وراء عدم الصمود والاستمرار بعد أن من الله تعالى عليهم بالنصر؟

إن جانباً مهماً من القضية يتلخص فيما أتطرق إليه الآن، وهو ما أريد أن يوضع في الاعتبار لاسيما من قبل شبابنا؛ لقد أدرك العدو ما السر الذي يكمن وراء الانتصار الذي حققه الشعب الإيراني، لذلك فقد انبرى لفصل السياسيين ومسؤولي الحكومة عن العلماء والدين، فأفلحوا ـ وللأسف ـ في فصلهم عن آية الله الكاشاني وأحدثوا شرخاً بينهم، فمنذ أن استطاع المرحوم آية الله الكاشاني النزول بالجماهير إلى الساحة في الثلاثين من تير[1] عام (١٣٣١ هـ.ش) وحتى يوم ٢٨ مرداد[2] عام (١٣٣٢هـ.ش) استطاع عملاء أمريكا في طهران إطاحة مصدق[3] وإنهاء حكمه ولم يبد الشعب أي

---

(١) الشهر الرابع من السنة الشمسية.

(٢) الشهر الخامس من السنة الشمسية.

(٣) محمد مصدق (١٨٨٠ـ ١٩٦٧). حصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة لوسان في سويسرا، وعاد إلى إيران عام ١٩١٤ عين وزيرا للاقتصاد وبعدها وزيرا للشؤون الخارجية لفترة وجيزة. كما انتخب عضوا في البرلمان عام (١٩٢٣). عارض انتخاب رضا خان (شاه) لإيران، فأجبره الشاه على اعتزال الحياة السياسية عام (١٩٤١)، ونجح إلى حد ما

تحرك، ولم يدم المقام أكثر من سنة وشهر واحد عمد خلالها الدكتور مصدق إلى زيادة الفاصلة بينه وبين السيد الكاشاني بفعل تحرك العناصر المناهضة لاستقلال البلاد وبفعل المؤامرات التي كان يحيكها أعداء الشعب؛ إلى أن كتب المرحوم آية الله الكاشاني رسالة له قبل وقوع حادثة ٢٨ مرداد بعدة أيام، قال فيها: إنني أخشى الانقلاب عليك بسبب الوضع الذي تعيشه ويفتعلون بوجهك المشاكل. فرد الدكتور مصدق: إنني أعتمد على دعم الشعب الإيراني! وهنا كان مكمن خطئه، فأنامل العلماء من أمثال آية الله الكاشاني هي التي كانت تدفع بالشعب للنزول إلى الساحة والمخاطرة بأرواحهم؛ وفي ٢٨ مرداد حيث أقصي الكاشاني وكان جليس الدار ـ وفي الحقيقة فإن حكومة مصدق هي التي أقصته وأبعدته عنها ـ فإن عدم تواجده في الميدان كان هو السبب في عدم نزول الجماهير إلى الساحة مجدداً؛ لذلك فقد تمكن الإنقلابيون ممن جندتهم أمريكا من المبادرة والسيطرة على قطاع من الجيش والقيام بالانقلاب، فأرسلوا حفنة من أوباش طهران وشذاذها فأطاحوا مصدق، أعقبت ذلك دكتاتورية محمد

في خلع الشاه عندما كان رئيسا للوزراء في الفترة (١٩٥١ـ ١٩٥٣). عاد مصدق إلى الحياة العامة عام (١٩٤٤)، عندما انتخب مجددا للبرلمان، في عام (١٩٥١) أجاز البرلمان الإيراني تأميم النفط، فزادت قوة مصدق وشهرته، الأمر الذي أجبر الشاه على تعيينه رئيسا للوزراء. واستمرارا لمسيرة الصراع على تطوير الحكومة الإيرانية بين الرجلين حاول الشاه صرف مصدق من عمله رئيسا للوزراء عام (١٩٥٣)، فخرجت الجماهير المؤيدة لمصدق إلى الشوارع مدافعة عنه، ومجبرة الشاه على مغادرة البلاد. بعد أيام قليلة، وبدعم من الولايات المتحدة، نحي مصدق عن الحكم، وعاد الشاه إلى البلاد وحكم على مصدق بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة، وبعد انتهاء المدة فرضت الإقامة الجبرية عليه في منزله بقية حياته إلى أن توفي عام (١٩٦٧).

رضا التي استمرت خمسة وعشرين عاماً سحق خلالها هذا الشعب تحت أقدام الدكتاتورية وأفرغ التأميم من محتواه لأنهم أخذوا بتقديم النفط لاتحاد مالي وفقاً لما رسمه الأمريكان، وحصل ما كان يصبو له العدو، وما ذلك إلاّ بسبب الابتعاد عن الدين وعن العلماء، وإن في ذلك لعبرة.

وحصل نظير هذه القضية في مستهل الحركة الدستورية إذ كان الفعل للجماهير التي فرضت الحركة الدستورية على حكام القاجار المستبدين بتواجدها، وإلا فلم يكن مظفر الدين شاه ذلك الشخص الذي يذعن لها، بل التواجد الشعبي وضغوطه هو الذي أرغمه على القبول بها، فلقد نزل العلماء الأعلام بالجماهير إلى الساحة حتى وقعت الحركة الدستورية، فبادرت حفنة من المثقفين الأذلاء حيال الإنجليز ومن خلال دعاياتهم وصحفهم وأساليبهم إلى زرع اليأس والتشاؤم في نفوس العلماء والمتدينين من أبناء الشعب إزاء الحركة الدستورية، فكانت النتيجة أن حلت في بادئ الأمر دكتاتورية تزامنت معها الفوضى والاضطرابات، أعقبتها بعد عدة سنوات دكتاتورية رضا خان السوداء الذي تسلط على رقاب الشعب؛ إن كلاًّ من هاتين الحادثتين تمثل تجربة، ولكل منهما تحليلها وقصّتها.

إنني أتألم حينما أرى عدم اطلاع شبابنا على هذه القضايا، فمعرفة المرء ما سلف من ممارسات العدو على الدوام تؤدي إلى معرفته لمكره في زمانه وإن تغيرت الأساليب؛ فإنكم تشاهدون المباريات الرياضية حيث يجتمع المدربون لمراقبة الفريق الخصم بدقة لمعرفة خططه؛ وفي غضون المئة عام الأخيرة وإلى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية خاض الشعب الإيراني مواجهتين على أقل تقدير مع أمريكا وبريطانيا، إحداهما هي قضية

الحركة الدستورية، والأخرى تأميم النفط، وفي كلتاهما تآمر أولئك فحرموا الشعب الإيراني التنعم بلذة انتصاره، وفي كلتا الحقبتين جاؤوا بدكتاتورية قاسية وسوداء لتحكم البلاد.

فطنة الإمام ووعي الشعب حالا دون نجاح العدو

الحدث الثالث كان الثورة الإسلامية، وفيه أبدى الإمام فطنةً سدّ بها الأبواب، فعقب انتصار الثورة كان البعض يروج ـ وبإيحاء من الأعداء أنفسهم ـ لفكرة مفادها: ها هو الإمام قد عاد وبلغ بالثورة مرحلة الظفر ونزل بالجماهير إلى الساحة فأقيمت الجمهورية الإسلامية؛ وهنا انتهى دور الإمام، فليذهب إلى قم وينهمك بدرسه وبحوثه وشؤونه الخاصة! وهذا ما كان يعني أن يقع في الثورة الإسلامية ما كان وقع خلال الحركة الدستورية، فأدرك إمامنا العظيم وشعبنا المؤمن ومجاهدوه الذين خبروا التجارب التاريخية والسياسيون من الثوار الذين أدركوا ماذا يصنعون ومن أي الثغور ربما يشن العدو هجومه ثانية على البلاد، أدركوا مؤامرة العدو هذه، فجرى تدوين الدستور، فيما كان الإمام يشرف ويراقب مجريات الأمور ويسددها، والشعب بدوره بقي ملتفاً حول المبادئ الدينية وحَمَلة لواء المعرفة الدينية طوال هذه الفترة، وشبابنا بدلاً من أن يستجيبوا لمطامع العدو في الإعراض عن حقائق المعرفة الدينية وروائعها، والمارد الإسلامي الذي رفع راية العدالة في عالمنا المعاصر، فقد فاقوا سائر الطبقات وعياً وإصراراً رافعين راية الإسلام ودعوته على ربوع وطننا.

لم يسمح شعبنا بشبيبته لمعادلة العدو المتهالكة بأن تتكرر بحق الثورة الإسلامية، وأي معادلة هذه؟ الخطوة الأولى فيها فصل الجهاز السياسي للنهضة عن الدين والعلماء، والخطوة الثانية بث اليأس في نفوس الجماهير

إزاء ما طرأ من تغيير كما هو الحال مع الحركة الدستورية وتأميم النفط؛ فالإحباط الحاصل لدى الجماهير من شأنه الحيلولة دون تواجدها في الساحة. أما الخطوة الثالثة فتتمثل في بروز دكتاتور ظالم قاسٍ مكبل بقبضة العدو المستكبر المستعمر وذلك في ظل غياب الجماهير، ولقد استطاعوا تمرير هذه المعادلة بيسر على صعيد التغييرات التي لم يكن للدين دور فيها؛ فهم يزرعون الإحباط في نفوس الجماهير ويقصونها عن الساحة، وبالتالي يفعلون ما بدا لهم في ظل غياب الجماهير ويأتون بعملائهم إلى سدة الحكم، لكنهم عجزوا عن القيام بمثل ذلك بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران؛ فلم يتمكنوا من فصل الدين عن أصول حكومة الجمهورية الإسلامية وثورتها، ولم يستطيعوا بث اليأس في نفوس الجماهير التي أصرت على التواجد في الساحة، ومادامت الجماهير متواجدة في الساحة فلن يبقى أي مجال أمام العدو للقيام بأي تحرك حقيقي وفعال في بلادنا[1].

---

(١) كلمة القائد في جموع غفيرة من أبناء مدن كاشان وآران وبيد كل، ١٤٢٢/٨/٢٥هـ ق، ٢٠٠١/١١/١٢م.

الردة والإرتداد

□ إن الكثير من الحركات الإصلاحية والنهضات الاجتماعية بل حتى النجاحات التي حققتها الرسالات السماوية قد ابتلت من ضمن ما ابتلت به النكوص عن المفاهيم والمبادئ التي كان لها الفضل في انتشالها من مستنقع الذلة والمهانة فهل ترون أن ذلك يمكن أن تبتلي به الثورة الإسلامية؟

لقد ذكرت في القرآن الكريم حقيقة مُرّة وأشير إليها بتعابير متعدّدة، ولو أردنا أن نطلق عليها اسماً لأطلقنا عليها ـ من باب المثال ـ الردّة أو الارتداد.

وهذه الحقيقة ـ وللأسف ـ ترتبط بالمجتمعات والشعوب الّتي كانت تعيش حالات معنوية وإلهية وفاضلة، ولا ترتبط بشعوب العصر الجاهلي، بل بشعوب العهد الإسلامي. فقد تؤثر الجراثيم في سلامة هذه الشعوب، وهذا المرض يخصّ الدول والشعوب الّتي خطت بحركة عظيمة خطوة إلى الأمام، وبتعبير اليوم قاموا بثورة، وقرّبوا أنفسهم إلى الله، وبتعبير آخر يخصّ الذين أنعم الله عليهم. فانظروا كم هي مهمة هذه القضيّة بحيث إنّنا نكرّر جملة في سورة الحمد ترتبط بنحو ما بهذه الحقيقة المُرّة عشر مرّات على الأقل في اليوم، وهذه الجملة هي ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمَ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمَ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1]، فالّذين أنعم الله عليهم على قسمين:

الأوّل: هم الّذين أصيبوا بالمرض والغضب الإلهي، بعد أن أنعم عليهم

---

(١) سورة الحمد، الآية: ٦و٧.

وضلّوا بعد أن هداهم الله ، فنقول «لا تجعلنا من هذه الطائفة الّتي غضبت عليها».

والآخر: الّذين لم ينالهم الغضب الإلهي ولم يضلّوا بعد أن أنعم الله عليهم، فنقول: «اجعلنا من هذه الطائفة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ ومن ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء﴾[١] لا من الّذين قلت لهم ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٢]، فهؤلاء ـ بني إسرائيل ـ قد وصلت بهم الحالة إلى أن لعنهم الله لعناً أبديّاً، فقد ورد في الحديث أنّ المقصود من (المغضوب عليهم)[٣] هم اليهود، ـ طبعاً المقصود من بني إسرائيل واليهود، الّذين ابتلوا بتلك التجربة المُرّة والامتحان المرّ ـ وقد يتكرّر هذا الأمر مع المسلمين أيضاً، لذا فإنّ القرآن يحذّرهم من مغبّة الإبتلاء بذلك.

وإنّني قد أشرت في العام الماضي وبمناسبة ذكرى ولادة الإمام الحسين بن علي عليه السلام وقلت: إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام عبرة لنا، والعبرة أن يرى الإنسان كيف أنّ الحسين بن علي عليه السلام الّذي كان يجلس على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله أمام أنظار المسلمين، يُقتل بتلك الصورة الفجيعة بعد مرور نصف قرن من ذلك. فهذا الطفل الّذي يُبجّل إلى هذا المدى من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله أمام أعين النّاس، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله في حقّه إنّني أحبه فحسب ـ فالإنسان قد يحبّ شخصاً اليوم لكن قد يخرج حبّه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

(٣) البحار، ج: ٨٢، ص:٢١.

من قلبه غداً لمشكلة بينهما ـ، بل قال ﷺ: **«سيدا شباب أهل الجنّة»**[1]، والجنّة ثمرة لعاقبة العمل، فقد يكون الكثير صالحين في وسط الطريق لكنهم يتهاوون في النهاية، فعندما يقال: سيد شباب أهل الجنّة، فمعناه أنك تذهب من الدّنيا سيّداً ومحبوباً عند الله وتصبح سيّد شباب أهل الجنّة، وقد قال النبيّ ﷺ: ذلك بحقّ الحسين بن علي عليهما السلام، في حين أنّ هذه الأمة قتلت الحسين بن علي عليهما السلام بتلك الصورة الفجيعة أمام أعين الّذين رأوه على كتف النبيّ ﷺ. أليس من الهزل أن تساق بنات رسول الله ﷺ في الأسواق والطرقات وتهان إمرأة كزينب عليها السلام، فكيف آلَ الأمرُ إلى هذا الحدّ؟

إنّها عبرة، وأعظم من درس. إنّها نظرة إلى أعماق الروح ودقائق التاريخ والأحداث.

واليوم أيضاً، أودّ القول ـ وبمناسبة البحث حول الردّة والإرتداد ـ حول هذه الحادثة أنّ زينب الكبرى عليها السلام قد أشارت في الكوفة إلى هذا المرض، فقالت: **«إنّما مثلكم كمثل الّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً»**[2]، وهذا هو الارتداد. أي أنّ الخطر متربّص بأمة خاتم النبيين ﷺ بمقدار ما كان متربّصاً بأمة موسى عليه السلام. وإنّكم ـ ولله الحمد ـ قد رأيتم الإمام قدس سره عن قرب، ورأيتم كيف كان الإمام رحمه الله وببيان يهيب بالشعب على إنجاز عمل ما، وتتذكّرون ما كان يحدث عندما كان الإمام رحمه الله يقول شيئاً في الحوادث المهمّة. فمثلاً لو ضاعفنا شخص الإمام قدس سره إلى ما لا نهاية، لأصبح النبي ﷺ هذا الإنسان المتّصل بالوحي الإلهي والعالم

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٤ ص: ١٧٩.

(٢) الاحتجاج للطبرسي، ج: ٢ ص: ٣٠٣.

بجميع الحوادث الصغرى والكبرى، وكانت توحى إليه الآيات القرآنيّة، لكن على الرغم من أنّه ﷺ بنى المجتمع بكلّ صراحة ووضوح ودون أدنى إبهام إلاّ أنّه وقع بعده ارتداد فجيع وأليم لا يُنسى في التاريخ أبداً. فهذه هي جرثومة الردّة والارتداد[١].

الاقتصاد في العهد السابق

□ قبل فترة أطلقت وزيرة الخارجية الأمريكية[٢] فزاعة مفادها أن الشعب الإيراني كان يعيش ظروف اقتصادية ممتازة إبان الحكم البائد ما هو تعليقكم على ذلك؟

هذه الوزيرة الأمريكية تطري وتشيد كاذبة بنظام الشاه في حديثها حتى الآن، وتقول بأنه كان دكتاتورياً وسيئاً إلاّ أنه جعل الاقتصاد الإيراني مزدهراً! إن هذه أكبر كذبة تبعث على الضحك يتفوّه بها وزير خارجية في الظروف الراهنة! فهل أولئك هم الذين جعلوا الاقتصاد الإيراني مزدهراً؟ فليعلم الشباب بصفة خاصة ـ لأن الكبار لمسوا حقائق تلك الفترة عن قرب ـ أن النظام البهلوي ارتكب خيانة عظمى لا بحقّ الاقتصاد الإيراني فحسب بل وحتى في حقّ الأسس والقواعد الاقتصادية، وهو ما ظل أثره باقياً على مدى سنوات فيما بعد! لقد حوّل إيران إلى مخازن للصادرات الغربية الرخيصة والتافهة وجعلها سوقاً رائجة للبضائع الوفيرة وعديمة الفائدة مع ارتفاع أسعارها! كما قضى على الثروة الزراعية لهذا البلد الذي كان

---

(١) كلمة القائد بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام ويوم حرس الثورة الإسلامية ـ في تاريخ: ١٤١٥/٨/٢هـ ق، ١٩٩٥/١/٤م.

(٢) مادلين أولبرايت وزيرة خارجية أمريكا في الفترة الثانية من رئاسة بيل كلينتون.

قد بلغ يوماً مرحلة الاكتفاء الذاتي، ورغم مرور السنوات فإنّ زراعتنا لم تعد حتى الآن إلى ما كانت عليه في حالتها الأولى، وذلك لأن تيار الهجرة الذي تدافع على المدن بتشجيع منهم لم يكن بالأمر الذي يمكن إيقافه بسهولة ويسر؛ وبذلك جعلوا الشعب يعتمد على الأجنبي في زراعته. لقد كانت إيران في الحقبة الغابرة تستورد القمح من أمريكا بينما كان الاتحاد السوفيتي يقوم ببناء مخازن الغلال! أي التبعية للأجانب من حيث المحصول ومن حيث تخزينه. كما أنهم خرّبوا القرى يومذاك وأوقفوا تقدم صناعتنا الوطنية في الوقت الذي كان قد حان فيه أوان تطورها، أي أن ما كان ينبغي من تطور للصناعة لم يتحقق، وذلك حتى يظل الباب مفتوحاً أمام الواردات. لقد قضوا على الصناعات الوطنية الناشطة ولم يبقوا إلاّ على ما كان مرتبطاً بالخارج بقدر المنتوجات وربما أكثر. ثم إنهم أوقفوا المسيرة العلمية؛ فمع كل هذه الدعايات التي أثاروها حول الجامعات والطلبة لم تحظَ جامعات البلاد إلاّ بالقليل من النشاطات العلمية على المستوى العملي! فكانوا يقمعون ذوي العقول النيّرة والكفاءات العالية الذين يريدون العمل داخل البلاد أو يضطرونهم إلى العمل في الخارج. لقد فرضوا سيطرة الشركات الأجنبية على أغلب المصادر الاقتصادية للبلاد وبدّدوا الفائضات النفطية بلا مقابل.

وفي الواقع فإنّ أسعار النفط مازالت منخفضة حتى في الوقت الحاضر، ولا تحصل الدول المصدّرة للنفط إلاّ على نحو عُشر ما ينبغي لها الحصول عليه. وإنّني أعلمكم الآن بأنّ ما تحصل عليه الدول المستوردة للنفط من ماليات وضرائب يفوق ما تحصل عليه الدول المصدّرة للنفط من مبيعاتها النفطية من أرباح، ومازال الأمر على هذا المنوال، سوى أنّه لا يمكن

مقارنة اليوم بالأمس. إن قيمة البرميل الواحد من النفط كانت حتى أوائل الخمسينات وعلى مدى أعوام طويلة أقل من دولار واحد؛ ومن أجل أن يستطيع الأوربيون والأمريكيون تسويق بضائعهم بأسعار عالية فإنهم عمدوا إلى رفع أسعار النفط إلى ثمانية أو تسعة دولارات للبرميل الواحد، حتى يتمكن هؤلاء من شراء تلك البضائع حيث لم تكن لديهم القدرة الشرائية المطلوبة، وهكذا كان. لقد كانت الأموال الطائلة تودع في حساب الأمريكيين في عصر تسلط الشاه على إيران حتى يستورد بها قطع غيار الطائرات وكافة المتطلبات الأخرى بالسعر الذي تريده أمريكا، ولم يكن ثمّة مجال أصلاً للتصنيع. إن الاقتصاد الإيراني في ذلك الزمن كان أسوأ اقتصاد بالنسبة للشعب الإيراني، ولكنه كان على العكس من ذلك للناهبين. ثمّ تأتي تلك الوزيرة اليوم، وبعد مرور الأعوام الطوال، ومع كل أبحاث إحصائيي الاقتصاد الذين يعلمون كم من الويلات جرّها نظام الشاه على الاقتصاد الإيراني، لتقول بأن ذلك النظام عمل على ازدهار الاقتصاد الإيراني! فما الذي حدا بها لتصرح بذلك الآن؟ حتى يتصور الشباب الإيراني الذي قد يعاني من بعض الظروف الاقتصادية اليوم أن الوضع الاقتصادي كان جيّداً في عهد النظام السابق! فسيادة تلك الوزيرة تطلق هذا التصريح الشيطاني هكذا بكلّ بساطة لتوحي إلى الأذهان بأن الاقتصاد الإيراني كان منتعشاً في السابق! إن تلك الفترة كانت أسوأ فترة بالنسبة للطبقات المحرومة، وكانت أقسى فترة من حيث سلب ونهب الأجانب للمصادر الطبيعية في إيران ـ وخصوصاً على يد أمريكا ـ ولكن تلك السيدة السياسية جاءت الآن لتقول بأن الاقتصاد الإيراني كان مزدهراً[1]!

---

(١) كلمة القائد في جموع غفيرة من أهالي مشهد وزوار الإمام الرضا (عليه السلام) بمناسبة عيد الغدير الأغر، ١٤٢٠/١٢/١٨هـق، ٢٠٠٠/٣/٢٤م.

الجيل الثالث من أبناء الشعب

□ هل تعتقدون بأن الأجيال التي تلت الجيل الأول للثورة ابتعدت أو ستبتعد عن القيم الثورية وبالتالي سيساهم هذا الابتعاد في القضاء على الثورة الإسلامية؟

من الأمور التي اتخذها العدو محوراً لحربه النفسية ضدنا هو الحديث عن ابتعاد الجيل الثالث من أبناء الثورة عن مبادئها! ثم يتبعون مزاعمهم هذه بنسج فلسفي من قبيل تلك الفلسفات الكاذبة المزيّفة التي ينسجونها لتبرير كل منطق خاطئ، والغرض من ذلك أن لا يتجرأ أحد على تفنيذ أقاويلهم؛ إنهم يدعون استناد طروحاتهم إلى فلسفة، فما هي تلك الفلسفة؟ إنها الادعاء بإعراض الجيل الثالث من أبناء جميع الثورات عن مبادئها! يا له من كلام خاطئ أهوج! فلما وقعت الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م) لم يمتد بها الأمر حتى الجيل الثاني أو الثالث بل سرعان ما تراجع عنها الجيل الأول نفسه، فبعد أربع أو خمس سنوات انقلبوا على أصحاب الثورة ليمسك الانقلابيون الجدد بزمام الأمور لمدة ثلاث أو أربع سنوات، ثم تعرض هؤلاء لحركة مضادة أطاحت بهم، وما أن حل عام (١٨٢٠م) حتى تغيرت صورة الثورة بالكامل فنجح نابليون بالوصول إلى سدة الحكم ووضع تاج الملوكية على رأسه؛ أي أن البلد الذي كافح ضد الملكية وسحق لويس السادس عشر، بلغ به الأمر بعد عشرة أو اثني عشر عاماً بحيث يأتي (نابليون بونابرت)[١] ليتقلد تاج الملكية وينصب نفسه إمبراطوراً

---

(١) نابليون بونابرت (١٥ اغسطس ١٧٦٩ ـ ٥ مايو ١٨٢١م) قائد عسكري وإمبراطور فرنسي، ولد في جزيرة كورسيكا التي كانت فرنسا قد استولت عليها قبل ولادته بخمسة

ويحكم البلاد سنوات عديدة؛ واستمر الحال ما يقرب من ثمانين سنة تعاقبت خلالها الحكومات والعوائل المالكة للحكم على فرنسا وكانت تعيش حرباً مستمرة وغارقة بالفساد والابتذال، فلم تصل تلك الثورة إلى الجيل الثاني ناهيك عن الجيل الثالث، وذلك لخواء مرتكزاتها. وبعد مضي قرنين من الزمن يأتي البعض في داخل الجمهورية الإسلامية ـ ممن يفتقد الحياء ـ فيضع رتوشاً لتلك الرؤى التي عجزت في وقتها عن صيانة الثورة، في إطار عنوان برّاق ويقدمها للثوريين في إيران الذين نجحوا في إقامة أعظم ثورة ترتكز على أسس صلبة والمحافظة عليها إزاء العواصف الهوجاء سنوات متمادية!

ولم يكتب لثورة أكتوبر في روسيا أن تصل للجيل الثالث، فلم تمض عليها ست أو سبع سنوات حتى وصلت (الاستالينية) إلى سدة الحكم، إذ حل (ستالين)[1] الذي يشبّه به كل من يراد وصمه بالعنجهية والغطرسة والتعسف والابتعاد عن الإنسانية ـ وهو الصحيح ـ إذ كان (ستالين) مظهر

عشر شهراً. كان نابليون وطنيًا متطرفًا، هزم نابليون عام (١٨١٥م)، ونفي بعدها إلى جزيرة سانت هيلينا حيث مات بسرطان المعدة.

(١) الزعيم الشيوعي البارز والديكتاتور الأحمر الذي حكم الاتحاد السوفيتي حكماً فردياً مطلقاً بعد إزاحته لكل رفاقه إما بالنفي أو بالاغتيال أو بخلع كل سلطاتهم. اسمه الحقيقي فيساربو نوفيتش دجوغاشفيلي، أما اسمه المستعار فكان جوزيف ستالين ومعناه الرجل الفولاذي. عاش حياته بسيطاً كادحاً من أسرة فقيرة. مع بداية الثورة الروسية، كان ستالين منفياً في سيبيريا وفترة اعتقاله التي دامت من عام (١٩١٣م) وحتى قيام الثورة عام (١٩١٧م) جعلته بعيداً عن الإعداد للثورة ولهذا فإن دوره في التمهيد لقيامها كان ثانوياً ومتواضعاً رغم أنه كان عضواً في قيادة الحزب الشيوعي البلشفي الذي قاد ثورة أكتوبر. بعد وفاة لينين برز اسمه مع تروتسكي كأحد اثنين لخلافته، مات ستالين في العام (١٩٥٣م).

لكل هذه الصفات المستهجنة؛ فتبدلت الحكومة التي اصطلح عليها الحكومة العمّالية وأقيمت من أجل الطبقات المسحوقة، إلى حكومة فردية استبدادية مطلقة! فلم يك (ستالين) يسمح حتى للحزب الشيوعي الذي كان هو الحاكم في النظام السوفيتي، اتخاذ القرار في مجالات معينة بما كان عليه من سطوة وجبروت.

استمر (ستالين) في حكمه المطلق مدة ثلاثين وبضع من السنين لم يكن هنالك من يمتلك الجرأة على الاعتراض، ولعل أعمال النفي المدهشة قد طرقت أسماعكم؛ وأول كتاب صدر بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يتطرق إلى الأوضاع الخانقة التي كانت سائدة في فترة الاتحاد السوفيتي ـ ولا يخطر اسمه ببالي الآن ـ وقد ترجم كلا جزئيه إلى الفارسية وقرأته، وهو يتميز بجودة التأليف وتفصيله للأوضاع آنذاك، علماً أنه يتطرق إلى فترة ما بعد (ستالين) حيث تغيرت الأوضاع تغيراً تاماً، مع بقاء النهج الاستبدادي؛ وعليه فلا وجود لقضية الجيل الثاني أو الثالث، بل إن كل شيء قد انتهى منذ البداية.

أي فلسفة هذه؟ وعلى أية ثورة يمكن تطبيقها؟ وأي ثورة تلك التي جُرّبت وشوهد تراجع جيلها الثالث عن مبادئها؟ كلا، فإن ذلك يتوقف على الفكر الذي تحمله تلك الثورة؛ فالثورة التي تستطيع إقناع الجيل الثاني أو الثالث أو حتى العاشر بما تحمله من مبادئ أصيلة وصائبة، سيكتب لها الخلود، وأفكار الثورة الإسلامية من تلك التي تتميز بخلودها؛ فحب العدالة والتحرر والاستقلال ومقارعة التدخل الأجنبي أمور لا يعتريها الاندثار، إنها مفاهيم تتسم بديمومة استقطابها للأجيال، لقد اجتمع منظّروهم ـ الأعداء ـ لينسجوا ما يحلو لهم، فصدقهم السذج في الداخل وباتوا يرددون: أن

الجيل الثالث للثورة يرفض مبادئها، وبالرغم من انحسار جاذبية الثورة فإننا لا نستطيع إخراج الثورة من قبضة أصحابها ونقبض عليها نحن بأيدينا؛ وعندما أقول (نحن) فمن هم المقصودون؟ إنهم أولئك الذين تحكّموا ببلادنا سنين طوال! وهذه بتصوري عقلية في غاية السذاجة والبلاهة، فليطمئنوا على أن نفس ذلك الاندفاع والحماس والحيوية والإيمان والعواطف التي تحلى بها جيل الشباب في تلك الفترة لم تزل تنبض لدى جيلنا الشبابي المعاصر، وليعلموا أنهم إن رموا الثورة بحجر فإن شبابنا سيردّوه إلى نحورهم، فالثورة لن يطالها الهرم وستتوقد جذوتها من جديد لتصطلم ما اختزنوه من أفكار متهرئة[١].

---

(١) كلمة القائد في جموع غفيرة من الطلبة الجامعيين، ١٤٢١/١٢/٥هـق، ٢٠٠١/٣/١م.

فهرس الكتاب

القسم الأول: الإسلام

القسم الثاني: النظام الإسلامي

القسم الثالث: الثورة الإسلامية